حسين عثمان نيركسجاري

غابات من قامات الكـرد

مقالات و خواطر

الطبعة الاولى

نساء و اطفال
في زمن الخردل و السيانيد

على قمة جبل شاهق يطل على نهر (سيروان) انفجرت في قلب الامومة براكين و حرائق ، في هذا المشهد تكومت نساء على الطريق المار بقمة الجبل ، الاطفال في الحضن و الكيمياء في الرئتين و العتمة في المأقى ، ارتفع فجأة بكاء و حشرجة فماذا حدث ؟ ماهي الا صيحة واحدة حتى تدحرجت الى النهر اطفال ، و بغتة تهاوت أمهات و تدحرجن أيضا ليلحقن بأطفالهن في النهر .....!

يروي قائد ميداني للأنصار أيام الزلزال الكيمياوي في حلبجة عام١٩٨٨:-رأينا شاباً و شابة قد التصق رأساهما ، فوجدت أنهما عروسان و احتفلا بزفافهما قبل الكارثة بيوم واحد وقد ضربهما الغاز وكان لدينا أبرة واحدة فقط ، فتحيرنا لأى منهما نستعملها؟ لكن العروس أصرت أنها أحسن حالاً وألحت استعمالها للرجل ففعلناه ، وهما الان حيان يرزقان....!!

حسين عثمان نيركسجاري

السليمانية

HARFEN

حسين عثمان نيركسجاري

غابات من قامات الكرد

مقالات وخواطر

اسم الكتاب : غابات من قامات الكرد
الموضوع : مقالات و خواطر
المؤلف : حسين عثمان نيركسجارى
رقم الايداع : ١١٦٦ سنة ٢٠٠٧
طبع : مطبعة ديلان - السليمانية
التنضيد : كريم رؤوف
تصميم غلاف : هەريـم عثمان
السعر : ٣٠٠٠ دينـار
الطبعة الاولى – السليمانية

حقوق الطبع محفوظة للكاتب

الاهـداء الـــى :-

- روح والدي الذي حثني على حب الانسان.
- روح ابي العلاء المعري القائل:-

انما الخيـر تـرك الشــر مطـرحا

ونفض الصدر من غل ومن حسد

الكاتب في سطور

- من مواليد ١٩٣٧ / السليمانية
- خريج المدارس الدينية ثم معهد الادارة في السليمانية
- خدم في المجالات التربوية منذ عام ١٩٦٠ لعام ٢٠٠٦
- حالياً متقاعد يعيش في مدينة السليمانية
- منذ عام ١٩٥٨ ولحد الان يكتب مقالات ادبية وسياسية و تراثية.
- ترجم كتبا عربية الى الكردية او حقق ومنها :-
- مذكرات ميجر نويل في كردستان / بالاشتراك مع حسين احمد الجاف/١٩٨٤
- المستطرف الجديد / هادي العلوي / ٢٠٠٤
- عمائم ليبرالية / رفعت السعيد /٢٠٠٦
- قصة رجل حقيقي / بوريس بوليفوي / رواية /١٩٩٩
- الكتاب الاخضر / معمر القذافي / ١٩٩٨
- الكرد و الكردستان /درايفر / بالاشتراك مع حسين احمد جاف.
- هكذا تكلم هادي العلوي عن الكرد وكردستان / اعداد و تحقيق /٢٠٠٦
- بحث كتبه بروفيسور (رونالدمونش) رئيس جامعة بريمن الالمانية / ترجمه عن الالمانية د. هةزار معروف و ترجمها الى العربية و طبعها في كتيب بعنوان البحث (الدولة الكردية عامل استقرار في الشرق الادنى)

الفهرست

- أفضال من فاضل ٧
- كلمة لا بد منها ٨
- غابات من القامات ١١
- جمال عرفان و (م . نوري) من رواد التنوير والاقتصاد ١٧
- أن تبتغوا عظة فهاكم عظة التاريخ ٢٥
- سلمان الفارسي.. ٢٩
- كلمة وفاء لصحيفة البلاد ٣٥
- آية قرآنية ... كمادة أولى للدستور العراقي ٣٧
- الإمام أبو حنيفة.. رائد للاجتهاد والانفتاح على النص ٤٠
- هادي العلوي وسيرة صلاح الدين الايوبي ٤٧
- الشورى أم الديمقراطية ٥٢
- المسيحيون في ظل الدولة الإسلامية ٥٨
- الأوطان المغلقة بين الرحمة والنقمة ٦٥
- من يحاور من ؟ ٦٩
- رسالة إلى الرئيس معمر القذافي ٧٣
- صرخة بوجه القطيعة ٧٥
- شواطئ السياسة أم لجج البحار؟ ٧٨
- روما تحترق والبعض غارقون في أوهامهم ٨١
- زبد الوعود يداف في عسل الكلام ٨٥
- انقلاب ٨ شباط / ١٩٦٣ ٩٥
- الكرد والعرب ومراجعة الماضي ١١٢
- البعث ومشاريع للانتقام ١٣٠

- إلى البحث عن محرك جديد للتاريخ ١٣٣
- من حيثيات الأنفال ١٥٤
- صحوة في الضمير وموت في عز الجسد ١٥٧
- ختانان كنقمة وكرحمة وعفو للذبح والتدمير ١٦١
- (سترة) الحروب الصليبية على قميص عثمان ١٦٣
- حدود كردستان الجنوبية تأريخيا وجغرافيا ١٦٦
- سياحتنامة مصر ١٧٤
- اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ١٧٩
- إلى متى منطق (الحد الأدنى من الطموحات)؟ ١٨٣
- الجهاد: من الهجرة الى الدعوة الى الدولة ١٩١
- تجديد الموقف الاسلامي في الفقه والفكر والسياسة ٢٠٢
- الى متى هذا الخطاب الجلمودي العنيف؟! ٢١٣
- فقرة (ج) واتفاقية كامب ديفيد ٢١٩
- عبدالباري عطوان و حجارة من سجّيل ٢٢١
- إطلالة على الخالدين ٢٢٤
- مشروع للمحبة ٢٢٨
- مدينتك !! ٢٣٦
- (كوران) النحرير يستفتي ح برا ٢٤٠
- مرحبا بيننا يا نديم العشق والحرية ٢٤٦
- نحو آفاق ارحب للكتابة ٢٤٩
- رسالة من أنفالستان العراق ٢٥٣
- المسرحية التي لم تنته بعد... ٢٥٥
- على هدى — ديدباء وجورج أورويل ٢٦٣
- في ناقلة ٢٦٩

أفضال من فاضل

عندما استشرت الاستاذ محمد الملا عبدالكريم حول تسمية هذا الكتاب: اظهر لي موقفا في غاية الولع بجمال الكلمة والاخلاص لي ايضا، فعرض علي رغم انشغاله بعالمه الثقافي الخاص قيامه بمراجعة الكتاب من جميع جوانبه النحوية والجمالية والاملائية ولم يتح للاستاذ تسمية الكتاب فسميته انا تيمنا بعنوان مقالة، فألف شكر له لما تفضل به من جهود مضنية لاخراج هذا الكتاب واقول له بالمناسبة بيت الجواهري لمعروف الرصافي :

قساة محبوك الكثيرون انهم

يرونك ان لم تلتهب غير نافع

الكاتب

(كلمة لا بد منها)

شاء قدر الانتفاضة الكردستانية ان اشعر من الصميم بالحرية المطلقة فى الكتابة والتعبير عما حبسته فى سويداء قلبى فكان ما كان ...

كتبت بعد انتفاضة / ١٩٩١ باللغة العربية مقالات وخواطر سياسية وادبية , ورات النور فى الجرائد والمجلات الصادرة فى كردستان وخارجها. فى سنوات الثمانينات كنت مولعا بقراءة ومتابعة الصفحات الخاصة بالثقافة والادب فى الجرائد والمجلات العربية والكردية , فبلغ ولعى بها حدا أحتفظ ببعض من قصاصاتها لسنوات , فترسخت لدىَ حقيقة هي ان الجرائد مهما يكن دورها اليومي مشرقا فى توعية الجماهير – الا ان جلّ اهتمام القارئ بما تنشر فى الجرائد لا يدوم اكثر من بضعة أيام فقط , فبعدها تودع كل تلك الافكار النيرة والجهود المشرقة فى الرفوف العالية من ارشيف الجرائد في المكتبات العامة ومع ذلك الجرائد ضرورة يومية.

ومن هذا المنطلق وبعد الحاح من أصدقائى قمت فى أواخر عام / ٢٠٠٢ بجمع بحث مترجم منشور فى جريدة (الاتحاد) عامى ١٩٩٦– ١٩٩٧ وضمن كتيب بعنوان (الدولة الكردية عامل استقرار فى الشرق الادنى).

لست فى هذا المضمار أول من يقوم بهذا النوع من الاعمال , فلقد سبقنى كثيرون من الكتاب الافاضل قاموا بجمع مقالاتهم أو مقالات

الآخرين ونشروها ثانية ضمن كتب , اقول هذا وانا بمنأى عن قصد المقارنة بين مقالاتى ومقالات الآخرين , فشتان بين الثرى والثريا.

انقل هنا تجربة ناجحة جدا , قبل سنتين – وكم كان رائعا – ان قام الآخ (عبد الله زنكنه) بجمع المقالات التأريخية والخواطر التراثية للمؤرخ الفاضل الدكتور (كمال مظهر) والمنشورة فى مختلف الجرائد والمجلات العراقية بين دفتى كتاب بعنوان (صفحات من تأريخ الشعب الكردى) , وبذلك انقذنا من عناء الاحتفاظ بقصاصات واوراق مشوهة ومبتورة هنا وهناك , فقدم لنا زادا غنيا بالوعى التأريخى والتراثى لشعبنا وفى شكل جميل.

فعلى هدى من سبقونى بادرت الى جمع بعض من مقالاتى المنشورة باللغة العربية فى الجرائد والمجلات الكردستانية والعراقية منذ سنة ١٩٩٤, (ومنها الاتحاد, الثقافة الجديدة, التآخي, رؤية, طريق كردستان و...) ولم يتح لى ان احصل على جميعها. امل ان تكون تلك المقالات والخواطر ومضات فى مسيرة شعبنا الكردى المضرجة بالدماء والدموع.

النصر النهائى لشعبنا والخلود لشهدائه الابرار

حسين عثمان نيركسجارى

السليمانية

اذار/ ٢٠٠٧

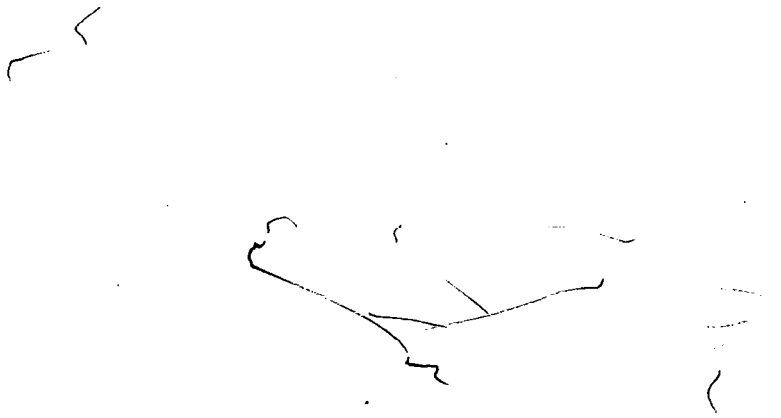

غابات من القامات
أو
﴿ مشاهد من حلبجة ﴾

يموت الشهيد ويعطي آخر نبضة للحياة" التي استخفّ بها لذاته وابهر بها لغيره, يموت الشهيد الكردستاني وهو ينكفئ على تراب الوطن" يلثمه ويغرس أصابعه في ثناياه ويعطي الحنان الأزلي لأمه الرؤوم, لتلك اللوعة الى الحياة اتشبث بكل شيء في تلك المدينة المخنوقة عمدا وإصرارا, واجهد نفسي لكي أجسدها امام ذاكرتي المثقلة بالعذابات, أريد هنا ان اكتب عن حلبجة وايتامها, وأراملها الباقيات معوقات او مشلولات او مفتولات السواعد, ان الشهيد هنا ليس الإنسان فقط بل البيوت والمدارس والمعابد والمكتبات... أيضا!!

(المشهد الأول)

شاء القدر ان أتخطى هطول النعاس وجحوظ العيون بل خروجها من المحاجر, شاء القدر ان أتخطى انهمار الموت الرؤام, والفضل في تلك المشيئة كان بعدي عن المدينة المغضوب عليها عدة كيلومترات, ها... أنا مهلهل الثياب, جريح الروح حتى العظم, امشي في الشوارع المزروعة بالجثث., ها هو الموت وعجرفة البرابرة قد اندفعت الى اقصى حدود البهيمية. نشاهد الطائرات تطارد الجموع المذعورة من الأطفال والنساء في العراء, الجموع تتقاذفها الجبال والوهاد السحيقة, فيبدو ان المحفل التتري قد امر الطائرات ان لا تدع في حلبجة حيا. يقول المتنبي:

تحرّج عن حقن الدماء كأنه يرى قتل نفس ترك رأس على جسم

الجموع تبحث عن ملاذ آمن في شعاب الجبال والوديان, ولكن أين الأمان والموت ينهمر من السماء مدرارا

(المشهد الثاني)

غابات كاملة من القامات البشرية قطعت, وغطت الدرابين ومداخل الدور الخارجية , عشرات الأطفال" الأثداء في أفواههم والموت في أحشائهم وهم في أحضان باردة. عيون الجميع جاحظة شاخصة الى السماء, عشرات من سيارات الجيب ولاندكروزر محشوة بالبشر كأنها تجمعت لحفلة عرس بهية, ذلك الحشد الهائل من السيارات التي تحاول الهرب من الجحيم وليس لها خيار سوى السير على القامات, فأوقف الخردل السيارات أيضا, ولم تخنق مكائنها وهي ما زالت تبكي وتولول وبصوت خافت على ركابها وعلى الضحايا تحت إطاراتها!!

يا ساسة المواخير, يا تجار الكلمة الصفراء! يا وعاظ السلاطين... اضحكوا ملء اشداقكم, الستم الساكتين عن الحق والمنظرين للجريمة! ان جميع مبادئكم محشورة في قول من قال: (الأكل مع معاوية ادسم والصلاة مع علي اكثر ثوابا).

(المشهد الثالث)

شاعر كردي عاش بداية القرن العشرين, له قصيدة طويلة بعنوان (لن اكون مريدا له), يقول احد ابياتها: (لا يقود الضرير ضريرا وتبقى الخطوات تتراوح), الفضاء جحيم مستعر تمطر الجماهير خردلا وسيانيد, ونجا الذين حاولوا الهرب بعكس اتجاه الرياح, ولكن كيف نجوا؟ جموع هائلة, من الرجال و النساء والأطفال يهربون من المدينة مهرولين مذعورين صوب العراء والبساتين , يولولون ويستغيثون بالأولياء والأنبياء, يجرون الأجساد التي اضناها الخوف والهرب, بعد لحظات فهم الجميع ان النور يحتضر في الحدقات, وان الموت قد تعرّى أمام الجميع وبات اقرب من حبل الوريد, أيقنوا ان بساتين (گولان وگريس ونورولي) قد تصبح قبورا جماعية لهم" وان بكاء الأطفال قد يوقظ (طوران) ونجمته الذائبة في الأفق. بل يوقظ محفل الشعراء في حلبجة: مولوي – حمدون – احمد جاف طاهر بگ ويخبرهم جميعا بان الجموع ستصلب

على اغصان الرمان والتين, وان مدينتهم ستصبح درب تبانة ارضيا, وانهم من جنبات تلك المروج والبساتين سيبعثون – ثم هل سيحاسبون؟! بعد بضع دقائق ينجلي المشهد بصورة أوضح: ترى غابة من القامات البشرية قد تبعثرت وانشطرت الى كتل صغيرة يقود فيها الضرير ضريرا" يقود فيها الآخرون آخرين وترى الخطوات لا تتراوح, كما قال شاعرنا الشعبي, بل هي غريزة البقاء. عشرات من الطائرات الإيرانية أنقذت الألوف من الأرواح وغسلت الحناجر والشرايين من السموم, بل أنقذت الأنوار المحتضرة في الحدقات, وأرسلت أسرابا من ملائكة الرحمن الى خارج العراق للعلاج. وستعود سيمفونية الحياة الطبيعية إليك يا مدينة الشعراء والنضال, يا مدينة الأولياء و الجمال

(المشهد الرابع)

يذكرنا السيد خيري منصور احد الكتاب الفلسطينيين بمسألة الشكل والمضمون وبأنهما يكملان احدهما الآخر فلا يجوز التضحية باي منهما" يذكرنا بحكاية شعبية قديمة ذات مغزى:-

(أمان تنازعتا على طفل واحتكمتا لدى حكيم نابه, فاصلح ذات البين قائلا: ﴿ يجب اقتسام الطفل بينكما ﴾, وما ان سمعت الام الحقيقية بالحكم حتى لاذت بالعويل وتخلت عن فلذة كبدها للأخرى.

هل تتخلى الوالدة عن أحفادها, واين انت يا (أم حلبجة) كي تربتي أصابعك الحنون على رؤوسنا؟ منذ ان حل طاعون الخردل والجنون في كل بيت وسرداب, منذ ان صهرت ارواح وذكريات واحلام بسيطة وعجنت بالدماء والدموع وقدموها حلوى لذيذة للمحفل التيموري, منذ ذلك الوقت انقذ اتجاه الرياح المعاكس للخردل آلافا من الناس الذين تسمّمت حدقاتهم وعشعشت العتمة في مآقيهم, والبحة في حناجرهم, لهول الزلزال ترك المئات من الأطفال الرضع وهم متصلبون في مهادهم, مئات الأمهات والآباء هربوا على جثث

اطفالهم واعزائهم الهامدة بحثا عن البقاء. ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾.

على قمة جبل شاهق يطل على نهر (سيروان) يتبلور مشهد تقشعر له الأوصال والضمائر حين انفجرت في قلب الأمومة براكين وحرائق لو لم تكن في كردستان المعذبة, لأحرقت انظمة وشرائع وعروشا, في هذا المشهد المفجع تكوّمت عدة امهات على الطريق المار بقمة الجبل, الخوف والطاعون جمعاهن, الأطفال في الحضن والسم في الرئتين ونصف العتمة في المحاجر, في هذا المشهد الغريب لم تتخل الام عن ابنها خشية التقسيم كما يحكي لنا خيري منصور" بل ارتفع فجأة بكاء حاد وحشرجة شقت عنان السموات, ترى ماذا حدث ... هل ماتت احدى الأمهات او طفلها, هل العذابات وغصة القلوب وسحابة الخردل تكاثفت واحدثت هذه العاصفة الرعدية على قمة هذا الجبل؟!

ما هي إلا صيحة واحدة حتى تدحرجت من العلياء إلى الحضيض اطفال فإذا هم خامدون, ارتفع البكاء والعويل من الأمهات والمتفرجين, وفجأة تهاوت امهات في المنحدر الحاد وتدحرجن ايضا فلحقن فلذات الأكباد في النهر!

بقى شيء واحد من مكونات المشهد- او بالأحرى ملحقاته.. وهي الكلمات الحمم التي قذفت بها الوديان والجبال:-

* من خمسة اطفال, من الزوج والأخوان, من كل ما بنيناه, ماذا بقي... خذه... اعده إلى خزانتك يا ارحم الراحمين!!

* يا الهي ما دمت قد تخليت عن شؤون عبادك الكرد وتركتهم لهؤلاء... فخذ ما منحته لنا, خذه...

خذ...خ...ذ

* .....!!

* .....!!

هذه الصيحات والحمم خلقت أصداء وانفجارات في الوديان الممتدة والكون الشاسع...

(المشهد الخامس)

عشرات من السيارات المليئة بالبشر نجت بعد ان سحقت في المدينة اكواما من الجثث البشرية واتجهت صوب الشمال والشرق. لقد استخدم العلماء معرفة اتجاه الرياح لتسيير الزوارق والسفن والطائرات والتنبؤ بسقوط الأمطار, ولكن العلماء العفالقة استخدموا تلك المعرفة للإجهاز على عدد اكبر من أبناء حلبجة, كان اتجاه الرياح ساعة الزلزال لغير صالح الشمال وشمال شرق المدينة, ولكي لا تذهب جهود الطائرات ومعامل الخردل والسيانيد سدى! اشبعت تلك الغازات السامة برائحة البرتقال والفواكه المعطرة!!

السيارات التي ابتعدت عن المدينة بضعة كيلومترات اعتقدت انها نجت" ولكنها توقفت خلف صفوف طويلة أخرى قد سبقتها وسدت الطريق, لوحظ ان دبيب الحياة في الصف الطويل قد مات" فما أن نزل السواق الجدد باحثين عن سبب التوقف حتى علموا ان جميع الجالسين في السيارات ساكتون كأنهم قد انتهوا من (التحيات) منتظرين أمام الجامع ليسلم على المصلين...

(المشهد السادس)

ماذا حل بالمجتمع الحيواني – ان صح التعبير – الذي يقاسمنا العيش في حلبجة في البيوت؟ هل أصابته النكبة ايضا؟ يقول علماء الطب ان بعضا من الحيوانات الأليفة والقوارض قد تسبب بنشر ميكروبات وفايروسات مرضية للإنسان. ساسة الخردل, العفالقة (النشامى) انتقموا من تلك الحيوانات التي سببت للإنسان أمراضا كثيرة!!

في حلبجة رقدت جثث الطيور والحيوانات بجانب الجثث البشرية في الأزقة والشوارع, ترى هل استغاث الإنسان لحظة الاحتضار بتلك الحيوانات أم عاتبت الحيوانات الإنسان لما جلبه من الكوارث على الجميع؟ وترى قطعانا من الحيوانات الأليفة النافعة تخرج من حلبجة او تتجول في أرجائها وهي ضريرة, أصواتها تثير الخوف والحيرة, انها تزعق في الم بهيمي مريع. يقال ان الحيوانات التي تفرز سموما وتلدغ كالأفاعي والعقارب لا تتأثر بالأسلحة

الكيمياوية, ومهما كانت الحقيقة حول هذه الفرضية" أستطيع ان اطمئن أبناء حلبجة الشرفاء ان الأفاعي والعقارب البشرية ذات الأرجل والأيدي" التي تعيش في المدينة وتتجسس على كل صغيرة وكبيرة" ان هؤلاء الجواسيس لم ينجوا فقد شملتهم بركات الخردل. لقد لفظوا آخر أنفاسهم النتنة أيضا وهرب البعض الى كبيرهم الذي علمهم الفسق والنميمة, وهرب آخرون إلى إيران ليواصلوا اللدغ وبث السموم في الأذهان والأفكار, ألا لعنة أبدية على جميع الذين يمتهنون العمالة والخيانة

(المشهد السابع)

هنالك أناس اعتادوا اللقمة المغموسة بالقيح والدم, انه المرض القديم في جسم الحضارة, إنها النفوس المريضة التي لا تستطيع جميع الشرائع ان تهذبها وتغرس فيها زهرة وخضرة, غير ان تلك حالات ضامرة هزيلة تطفو على سطح المجتمع وتشوه وجهه الناضر, و هناك هالات مشرقة من المواقف الإنسانية الرائعة. اذكر غيضا منها: بعد الانتهاء من القصف الكيميائي انهال على حلبجة رجال الأنصار (بيشمرگه) والجيش الايراني ورجال الاعلام من كل حدب وصوب, يحملون الأقنعة والإبر المضادة للخردل والسيانيد, رايت عشرات من أمثال البيشمرگه (عمر محمد علي عمر چاوشين) أعطى النساء والأطفال كل الأبر الموجودة بحوزته لإنقاذ حياتهم" أعطى قناعه الواقي الى شيخ ولم تمض ساعة حتى استشهد متاثرا بالخردل. كيف أنسى البيشمرگه (عثمان ملا صالح – دربنديخان) وهو يخلع حذائه ويعطيه الآخرين. يمشي حافيا محروق اليدين والرجلين (استشهد في انتفاضة ١٩٩١/٣/٧ عند الهجوم على منظمة الأنفال في السليمانية). كيف أنسى (هيبت شيخ محمد طه) وهي ترى صرة كبيرة من الذهب تسقط من أحد الجيران ساعة الزلزال, تلتقطها وتعيدها بعد شهرين لصاحبها كاملة في إيران غير منقوصة, فهناك الالوف من هذه المواقف النيرة...

وقدس اسمك يا حلبجة!!

من تراث التنوير والوعي الاقتصادي في كردستان:

﴿ جمال عرفان و (م . نوري) من رواد التنوير والاقتصاد ﴾

في الحرب العالمية الأولى احتل الإنكليز العراق, وبعد الحرب شكلوا إدارة مؤقتة في السليمانية ومناطق أخرى من كردستان العراق, واصبح (الميجر سون) رئيس تلك الإدارة, ولديه خلفية معلوماتية جيدة حول المنطقة وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية, حيث زارها وعاش فيها متنكرا, وكان في ادارته الجديدة يعتمد على ذلك الخلفية, بل كانت سببا حقيقيا لتعيينه في ذلك المنصبعلى ما اعتقد .

كسياسي انكليزي كان يعرف جيدا ان السلطة والادارة الحديثة تحتاجان الى الاعلام, وخاصة جريدة رسمية, لان الصحافة تقوم بالتعبير عن نهج وافكار رجال الحكم في المسائل السياسية والاقتصادية.. الخ, وكذلك فان ادارات البلديات والمحاكم والتربية والزراعة تحتاج الى الصحافة. من تلك المنطلقات, وربما لغاية في نفس يعقوب, قامت ادارة الانكليز باصدار اول جريدة في السليمانية باسم "ثيَشكةوتن" اي التقدم, وذلك اعتبارا من ١٩٢٠/٤/٢٩ , واستمرت كجريدة اسبوعية تنشر الاخبار العالمية والمحلية. كان مصدر الاخبار العالمية السلطات الانكليزية نفسها, أي من اجهزتها اللاسلكية ومصادرها الخبرية المتعددة.

ما يهم مؤرخينا وباحثينا هو أخبار تلك الإدارة والمقالات والأفكار المنشورة في تلك الحقبة, كما ان المواضيع والمقالات التي نشرت في الجريدة مهمة للباحثين الاجتماعيين والثقافيين والاقتصاديين الكرد حاليا وفي المستقبل.

اهتمت " ثيشكةوتن " بنشر الأدب الكلاسيكي, من قصائد نالي وسالم وكوردي وغيرهم, كما أتاحت للشعراء المحدثين أمثال م.نوري – نوري

شيخ صالح ورشيد نجيب فرصة ثمينة لنشر نتاجاتهم الشعرية, وكان م.نوري (١٨٩٦ – ١٩٥٨) في حقبة " ثيَشكةوتن " اكثرهم ثراء في الإنتاج والنشر.

كان العدد (١١٨) آخر اعداد الجريدة في ١٩٢٢/٧/٢٥ , ثم جاءت إدارة الشيخ محمود الحفيد واصدرت جريدة ناطقة باسمها هي "بانطي كوردستان" أي صوت كردستان في ١٩٢٢/٨/٢. ما اهتم به في هذا المقال واذكره بشيء من التفصيل هو المواضيع والاخبار الاقتصادية والتنويرية المنشورة في جريدة " ثيَشكةوتن " واعرض للقاريء الكريم مستوى الوعي الاقتصادي في تلك الايام.

بعيد الحرب العالمية الاولى واكمال احتلال العراق وكردستان – كان الاقتصاد مصابا بالشلل وخاصة القطاع الزراعي, بعد سنوات (القحط الكبير), وفي تلك الحقبة كان هناك رجال آلوا على انفسهم الدخول الى معترك النضال لرفع المستوى المعاشي للشعب. فإضافة الى مقالاتهم الاقتصادية, كانوا يقومون بدور التنوير السياسي والنضال القومي والإصلاح الاجتماعي, لقد شخَّصوا في تلك الأيام المظلمة ان اقتصاد كردستان يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة "الحقلية والحيوانية" فطلبوا من سلطة تلك الأيام تأسيس صناعة للتبغ, وتشكيل شركة مساهمة لتجارة وتسويق المحاصيل الزراعية عامة والتبغ خاصة, وتناول اثنان منهم, هما "جمال عرفان و م. نوري" الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بقصائد شعرية ايضا.

عندما تتكلم الأرقام

عند استعراض اعداد جريدة "ثيَشكةوتن" يتبين لنا ان مجموع اعداد الجريدة البالغ ١١٨ عددا, نشر في ٢٣ عددا منها ٢٥ مقالة اقتصادية حول تنشيط التجارة وإحياء الأرض والتبغ والقطن والقمح, هذا عدا الأخبار القصيرة حول الأوضاع الاقتصادية في العالم وفي العراق.

من مجموع المقالات الاقتصادية نلاحظ ان (١٣) منها كانت حول التبغ, ونلاحظ ان بعض هذه المقالات لم تكن مذيلة بالاسم الصريح, وان بعض المقالات كانت باسم الجريدة. عند تصفحنا اعداد الجريدة نلاحظ اثنين من

الرجال المخلصين يهتمان بالأوضاع المعاشية للشعب, ويفكران مليا بصورة عصرية وبإصرار في أوضاع كردستان الاقتصادية, كما نلاحظ من مجموع المقالات الاقتصادية ان (٦) منها كتبها (جمال عرفان) إضافة الى قصيدة طويلة, و(٥) منها كتبها (م.نوري) عدا قصائد طويلة عن أوضاع الفلاحين وحثهم على إحياء الأرض. الكتاب الاقتصاديون الآخرون هم (عولهادي), (فايق توفيق), رمزي (اعتقد انه رمزي فتاح), (مغاغي.م), (م. م), جريدة " پێشکەوتن ", الا ان مقالات عولهادي أطول وأقوى.

في هذه المقالات الاقتصادية يلاحظ اتجاهان واضحان:

الاتجاه الأول: يُحث الفلاحين على زراعة القطن, وتُذكر فوائده وقلة كلفة إنتاجه وسهولة زرعه وجمعه, في مقالة افتتاحية للجريدة جاء فيه ان المندوب السامي في العراق حدد مناطق خاصة لزراعة القطن, ولا يجوز زرع القطن في غيرها. وعن حيثيات ذلك القرار تذكر الجريدة انه بدون تلك الضوابط يغزو القطن الرديء الأسواق, فيسودها الغش والخديعة! من المعلوم ان صناعة الغزل والنسيج في تلك الأيام كانت شبه معدومة, وان الأسواق العراقية كانت تعتمد على استيراد الأقمشة من الخارج, وان قطن العراق وخاصة كردستان غير مرغوب فيه, ويحتمل انه كان فائضا عن حاجات المعامل الانكليزية ايضا.

الاتجاه الثاني: اغلب كتاب المقالات الاقتصادية يراهنون على زراعة التبغ, رغم ان المحصول يحتاج الى خبرات وتكلفة استثنائية, الا انه محصول خاص بكردستان, بل بمناطق خاصة منها, وان الفلاحين كانوا يعانون من فقر مدقع وان اكثر سكان مناطق جنوب ووسط العراق يفضلون تبغ كردستان على السكاير المعلبة, ربما لكونه ارخص سعرا.

لقد كان الاتجاه الثاني اكثر عقلانية واقوى من الاتجاه الاول. واستجابة لإلحاح الكاتبين (جمال عرفان) و (م. نوري), قررت السلطة الإنكليزية دعم الاتجاه الثاني, فنشرت الإدارة قرارها المرقم (١٥٥) وبتوقيع من المعاون المالي (رايت), وبموجبه يُشتري عشر إنتاج الفلاحين من التبغ,

وبالأسعار المحددة في الإعلان, وحسب تصنيف المناطق, وان سعر الحكومة غير مرتبط بسعر السوق.

من الواضح ان التبغ محصول صناعي رئيسي في كردستان, وهناك رغبة لشرائه في الأسواق, وان قوته نابعة من خصوصيته الكردستانية, وان تجارة التبغ في العراق نشيطة. لكن الحكومات المتعاقبة في العراق احتكرت شراءه وبيعه وتسويقه لنفسها, وان ذلك الاحتكار لم يؤد الى أي تطور في نوعية الإنتاج وتسويقه وتصديره, وكان من المفترض ان تهتم تلك الحكومات بهذا المحصول من جميع النواحي.

قبل (٧٩) سنة اكتشف (جمال عرفان) و (م. نوري) و(عولهادي) ومخلصون آخرون أهمية التبغ في الاقتصاد الكردستاني, وطالبوا السلطة وأصحاب المال والفلاحين بما يلي:

- إيجاد أسواق جديدة خارج العراق للتصريف.
- رفع كمية الإنتاج وتحسين نوعيته بإدخال البحوث العلمية واستخدام التكنولوجيا الحديثة, وجلب الاختصاصيين الزراعيين من الدول المتقدمة.
- تأسيس شركة مساهمة لشراء وتسويق المحصول, بل طالب (جمال عرفان) بالذات من القطاع الخاص بجلب مكائن للتصنيع, وشرح (م. نوري) تفصيلا كيفية تأسيس الشركة والآليات الضرورية لها.
- استثمار التجار والأغنياء أموالهم لإنعاش الاقتصاد, ولتصنيع الأنواع الجيدة من التبغ, والاحتفاظ بقسط مناسب من الإنتاج بقصد التأثير على العرض, ابتغاء رفع السعر في الأسواق. كل هذه التدابير تكون في إطار سياسات شركة خاصة وليس بالاجتهادات الفردية للمضاربين والطفيليين.

مافيا الربا والمضاربين

ان المقترحات التي طرحتها عصبة التنوير تلك, من الطبيعي ان تواجه رفض الفئات والشرائح المحافظة, التي احتكرت منذ سنين بيع وشراء المحاصيل الزراعية وخاصة التبغ. فكانوا في عز الشتاء يشترون من الفلاحين سلفا وبثمن بخس كامل إنتاجهم, لان الفلاحين لا يستطيعون تدبير تكاليف الإنتاج, وكان الشراء المسبق هذا تحايلا على الشريعة الإسلامية, لانه اقرب الى الربا بل اكثر جشعا, وتسمى هذه الصفقة في كردستان بـ (سه له م).

وفي موسم جمع الإنتاج تنهب تلك الشريحة عصارة اتعاب الفلاحين" بل أحيانا يكون الإنتاج دون ما باعوه في الشتاء, فتصبح الفروقات ديونا وكمبيالات على الفلاحين, وتستقبلها إضبارات المحاكم. وفي السنة التالية كان من الضروري ان يتحمل الفلاحون عناء السفر الى المدينة لتدبير الوساطات لدى هؤلاء الطفيليين بغية إقناعهم بشراء الإنتاج مرة ثانية وهكذا!!

دام هذا النظام الطفيلي البغيض إلى سنة ١٩٥٨, وبعد ثورة ١٤ تموز وبتحريض من المنظمات الفلاحية للحزب الشيوعي العراقي قدم فلاحو (شهرزور) والمناطق المجاورة طلبا الى رئيس الوزراء (عبدالكريم قاسم), يطالبونه بغلق الدعاوى القضائية وإلغاء الديون المجحفة وفوائدها, وبعد شهرين جاء القرار بغلق الدعاوى, وكاتب هذا المقال بحكم ارتباطه بالحزب الشيوعي آنذاك وبالريف شاهد على تلك المظالم, وشاهد على ما قام به الفلاحون بهذا الصدد.

رمزي يفضح ويحذر:

إن مافيا الربا والفئات التي تعمل في فلكها أعلنت حربا شعواء على عصبة التنوير تلك, وخاصة على (جمال عرفان), فكانوا يحرضون عليه, ويختلقون له تهما واقاويل. وللبرهنة على ما اقول, وتطميناً للقارئ الكريم, اعرض مقالا منشورا في جريدة " ئيَشكةوتن " العدد (٨٨) بتأريخ ١٩٣١/١٢/٢٩ بقلم رمزي وعلى صورة سيناريو:

بواسطة جريدة " ثيَشكةوتن ", الى (جمال بك عرفان)... رفيقي الشفيق...
" مقالتك الأخيرة حول التبغ قد هزت أفكاري وأثارتني لأكتب هذا المقال:.
" نعم ان هذا المحصول – التبغ – ح – من دعائم معيشتنا, وان الفكر والعقلانية لم تنفذا بعد الى حياتنا, وان أوضاعنا مازالت يحكمها القضاء والقدر, ولهذا السبب بالذات اصبح جدي الملا وابي الحاج لسنين أغنياء, وظلت عوائل كثيرة فقراء قانعين بالمعنويات وبما رزقهم الله ".

والآن يريد نسلهم الجديد (أحفادهم – ح) في القرن العشرين, عصر المدنية والتقدم, عصر السيطرة على القوانين الطبيعية – ان يحتفظوا بما ورثوه من آبائهم وأجدادهم – فاعتبروا يا أولي الألباب ". (انظر ايها القارئ الكريم كيف يحذر رمزي جمال عرفان)

بعد هذه المقدمة يكتب رمزي بأسلوب الحوار بين أفراد تلك الشرائح في مجالسهم الخاصة وبين احد "انصاف المثقفين" كما يقول رمزي, وفي ثنايا ذلك الحوار يتبين مدى غضب وحقد تلك الشريحة على عصبة التنوير وخاصة على "ابن عرفان أفندي" .

إني اعتبر بثقة واطمئنان ان مقالة رمزي تلك حزمة ضوء على جريمة اغتيال وقعت في العشرينيات بحق جمال عرفان, أحد ابرز رواد التنوير والاقتصاد في كردستان.

أخيرا لاطلاع القراء الكرام على بعض النصوص المنشورة في جريدة " ثيَشكةوتن " اترجم مقتطفات من تلك, المقالات. نشر (جمال عرفان) في العدد (٨٨) من جريدة " ثيَشكةوتن " في ١٩٢١/١٢/١٥ مقالا مطولا ومعنونا ببيت شعري:

في بغداد أسعار التبغ واطئة
فلم يبق سوى التصنيع ملاذ

"قبل سنتين كان سعره (٥٠), في السنة الماضية كان (٨٠), والآن (٤٠) (لم يذكر العملة) وفي السنة الآتية سيصبح السعر بالتأكيد (٢٠), نحن

وتبغنا.. فلابد أن نجد حلولا لأوضاعنا, معيشتنا مرتبطة بمداره... التبغ ولي نعمتنا بدون منة... ماذا نملك غير التبغ... انه المر الذي يصبح سكرا وملابس".

في مقال مطول آخر يقترح (جمال عرفان) تحسين النوعية وتوسيع السوق, ويطلب من السلطة ان تشتري كميات من تبغنا وتصدره الى اوروبا والدول التابعة لبريطانيا ويقول:

"لبلوغ تلك المقاصد علينا ان نترك عقلياتنا السقيمة جانبا ونتجه الى العقلانية والصناعة والفنون, لقد ولّت تلك الأيام التي يعتمد فيها الإنسان على الطبيعة فقط".

في مقال مطول آخر يطرح (جمال عرفان) المقترحات التالية :

١- ان جلب ماكنة صاجاخ (أعتقد انه قصد ماكنة التعليب – ح) شرط حياتي لاقتصاد كردستان فهي تمنحه دفعة جديدة نحو آفاق أسنى نورا.

٢- جلب متخصصين الى كردستان ولمدة ٢-٣ سنوات لتدريب وتأهيل الفلاحين على أساليب حديثة في الزراعة عامة والتبغ خاصة.

٣- يستطيع (القلمجيون) (أصحاب المال من التجار – ح) جلب ماكنة الصاجاخ.

في نهاية المقال يقدم كشفا حسابيا لاجمالي الإنتاج وتقديره بالنقود, ثم يقارن تبغنا وأسعاره مع السكاير التركية والأوروبية.

في جريدة " ئيَشكةوتن " العددان ٨٧ و ٨٨ وضمن سلسلة مقالات اقتصادية يكتب م. نوري (نوري شيخ صالح) دراسة قيمة حول أوضاعنا الاقتصادية, ودور التبغ في اقتصاد كردستان فيقول:

" نحن وأسوة بالشعوب الأخرى علينا أن ننظم تجارة تبغنا وباسم مدينتنا, على الذين يعملون في هذا الحقل – والذين يميلون مستقبلا الى العمل في هذا الحقل – عليهم جميعا أن يؤسسوا ويتعاقدوا على شركة خاصة, وعلى تلك

الشركة ان تطرح في السوق سندات الأسهم باسمها, وتبيعها بسعر (١٠ ليرات), وتفتح مركزا عاما لها في السليمانية ولتكن في (خان سوتاو) – مثلا – , وان تشتري الشركة التبغ من الفلاحين وبالسعر الذي تحدده الحكومة" .

ثم يذكر م. نوري جميع الآليات والخطوات اللازمة لتأسيس تلك الشركة مثل تعيين المدير العام المفوض, فتح فروع لها, كيفية تنظيم الحسابات النهائية والأرباح والخسائر وحسابات الكلفة والتسويق... الخ.

في مقالة اخرى يذكر م. نوري بالتفصيل, ان محصول التبغ وتجارته يخدمان في المحصلة النهائية جميع طبقات المجتمع ويقول:

" إن التبغ من دعائم معيشتنا... وأين تجارتنا, أين مكائننا ومصانعنا؟ وبدون التبغ كيف نشتري احتياجاتنا المتعددة؟

*****

﴿ أن تبتغوا عظة فهاكم عظة التاريخ ﴾

اطلعت على مقررات الكونفرانس الزراعي المنعقد في تموز ١٩٩٨ حول متابعة مقررات المؤتمر الزراعي الأول المنعقد في تموز ١٩٩٧ . بانعقاد ذلك الكونفرانس ساهمت الكوادر الزراعية في تدشين تقليد جديد وهو :(عقد كونفرانس للمتابعة والتقييم) واعتبرها ابداعا في وتائر العمل. يتبين من محاور اللجان المختصة ان هناك فقرات عصية على الكونفرانس ان يناقشها و يخطط لتفعيلها رغم أنها مهمة ، من تلك الفقرات : الفقرة الخامسة في محور : الخدمات والأراضي الزراعية:

حيث يقول"(حل المشاكل التاريخية بتعديل قانون الأراضي الجديد والذي ينتظر تصديقه و تفعيله) من قبل حكومة الإقليم.

كردستان تشتهر بأنها بلد زراعي منذ القدم لموقعها الجغرافي وملاءمتها حيث تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط الجيد ذي الربيع المعتدل و الصيف الحار الجاف والشتاء الممطر البارد ، والمشاكل التاريخية التي أشار إليها الكونفرانس هي أوضاع الملكية الزراعية في كردستان , ومعالجة البقية الباقية من العلاقات شبه الإقطاعية السائدة.

و بغية وضوح اكثر في رؤيا القراء و مخلصي شعبنا أقول: هناك دراسات (١) تشير أكثريتها الى ان مساحة الإقليم تتراوح ما بين (٨٠-٩٠) الف كم٢ ,والجزء المحرر تبلغ مساحته (٥٠) الف كم^{٢} ان مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في الإقليم و الجزء المحرر منها هي (٤,٧) مليون دونم. وان اكثر من ٨٥٪ من هذه المساحة هي أراضي ديمية ,وان أكثرية تلك الأراضي كانت ملكا للملاكين الكبار ,الا أن قانون الإصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨ وضع حدا للعلاقات السائدة .كان ذلك القانون ذا تأثير محدود على كردستان ,وتبع ذلك القانون ذو الرقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ حيث انخفض بموجبه الحد المقرر

من(٣٠٠) دونم سيحي الى (٤٠) دونما لكل صاحب ملك ,ومن(٣٠٠) دونم ديم الى (١٠٠) دونم, كان تزايد السكان وقلة الأراضي الصالحة للزراعة في كردستان من الأسباب الرئيسية التي دفعت بالنظام إلى إصدار القانون الأخير.

ان إحداث أية تغييرات بعد الانتفاضة في علاقات المنتجين بالأرض هي ضرورة قصوى ,حيث كانت جماهير الفلاحين تشكل الوقود الرئيسي لثورة شعبنا, ومن المفروض في أية إنعطافة سياسية واجتماعية واقتصادية ان يكون الفلاحون من أوائل المستفيدين منها .

ان القانون الذي ذكره الكونفرانس الزراعي لحل المشاكل التاريخية ودعا إلى تفعيله – لا يُعرف عنه اي شئ وتمت بلورته وتدوينه وراء الكواليس , في حين كان من الأفضل ان تطرح بنوده للمناقشة في وسائل الأعلام لاغنائه بآراء المختصين .

إنني استرعي انتباه المسؤولين الكبار في الحزبين الرئيسين الى ظاهرة – او بالأحرى انعطافة سلبية خطيرة – ان لم يقطع دابرها بحزم وارادة وطنية فستبرز في كردستان علاقات شبه اقطاعية من نوع جديد ,وستصبح تلك العلاقات الجديدة بمرور الوقت قوة متجذرة في المجتمع تصعب زحزحتها او تحجيمها الا بإشعال نزاعات دموية نحن في غنى عنها.

سأوجز تلك الظاهرة :

١– بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة لم يرجع جميع الفلاحين الى قراهم وعدم رغبة العناصر الشابة منهم الى ترك المدن والعودة الى القرية ,في حين هناك حقوق مكتسبة في القرى يصرّ أصحابها على عدم التخلي عنها .

٢– الملاكون القدامى والذين اصبحوا ورثة عديدين يعيشون في المدن و تبعثروا ,وليس لهم اية علاقة بالأرض بل حتى باهل القرية ,ان هؤلاء –ومن حقهم– لا يتخلون عن حقوقهم في الأرض والتي اكتسبوها في ظل القوانين المرعبة والأعراف القديمة .

٣- هناك أراض أميرية واسعة سيطرت عليها فئات صغيرة من رؤساء العشائر المتنفذة, مستغلين الأوضاع السياسية المتدهورة في مختلف الفترات; سواء قبل الانتفاضة ام بعدها.

الى هنا تعاملنا مع المشاكل الواقعية التي افرزتها الحياة ,فالطامة الكبرى في انه : برزت شريحة غنية تراكمت لديها الأموال, اما بحكم علاقاتها السابقة بالنظام وتكييف علاقاتها الجديدة بمؤسسات الحكم في الإقليم, او بسبب احتسابها على رجالات الثورة ومناضليها .

هذه الشريحة هنا وهناك بدأت بشراء الأراضي والحقوق المكتسبة المذكورة في الفقرات الثلاث أعلاه , وينفقون بانسيابية وسخاء عجيبين , للاستحواذ على قرى ومقاطعات واسعة ,وبالتالي حرمان الفلاحين من حق العيش أحرارا في قراهم, وهنا اعرض للسادة المسؤولين عظتين تاريخيتين عسى ان يتعظوا بهما:

أولا: كان الخراج عشر حاصلات الأرض التي اسلم أهلها من ارض العرب او العجم. رأى فريق كبير من أقطاب المسلمين وأصحاب الرسول (ص) ان تقسم أراضي البلدان التي فتحها المسلمون على المجاهدين باعتبارها من الغنائم ,وأبى عمر بن الخطاب (رض) هذا التقسيم ووقف وقفته الخالدة التي دلت على منتهى بعد النظر . لقد تحدى عمر في صرامة وسداد كبار اهل الحل والعقد من أصحاب الرسول وقال : (فكيف بمن ياتي بعدكم من المسلمين فيجدون الأرض قد اقتسمت بمن عليها وحيزت إرثا عن الأباء ؟ لقد رأيت انه لم يبق شئ يُفتح بعد ارض كسرى, وارى ان احبس الأرضيين بعلوجها أي"بعبيدها" واضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها)[٢].

---

[٢] انظر كتاب : "(من تاريخنا)" ,محمد سعيد العامودي /١٩٦٧/ المملكة العربية السعودية . ص ٢٤.

ثانيا: بعد أحداث الثورة الفرنسية الكبرى وتداعياتها وحروب عهد " نابليون " استحوذ كبار القادة العسكريين على اخصب الأراضي الزراعية في فرنسا ,مكونين بذلك ما يعرف في التاريخ الأوروبي ب" الإقطاعيات العسكرية " ولم تنج فرنسا من شرورها إلا ببحر من الدماء وفي انتفاضات وثورات طبقية .

إن تلك الظاهرة السلبية في القطاع الزراعي لا تُحارب بأوامر فوقية عليا بل تمسح آثارها بسن قانون تقدمي شامل يتناسب والمستجدات التي خلقتها أوضاع ما قبل الانتفاضة و ما بعدها.

وأخيرا ان تبتغوا عظة فهاكم عظة التاريخ ..

*****

من ينابيع التصوف:

سلمان الفارسي..
« والشعب الكردي يتيما الأمة الإسلامية »

يقول بعض من المفكرين الإسلاميين المحدثين في هذه الأيام عندما يتقربون الى مخاطبة الشعب الكردي, او بالأحرى عندما يدغدغون مشاعره الجريحة وكمواساة هذا الشعب لما عاناه على ايدي المسلمين الآخرين, يقولون:- (ان الشعب الكردي يتيم الأمة الإسلامية).

فها انا احد ايتام الشعب الكردي أتطرق الى السيرة الذاتية لاحد ايتام الأمة الإسلامية ولكن من ابناء الشعب الفارسي المسلم, واضيف انْ ليس الشعب الكردي فقط يتيما بل هناك شعوب مسلمة اخرى عانت ومازالت تعاني من القهر والظلم بيد مسلمين آخرين وليس بيد أصحاب الديانات الأخرى.

اقولها بكل وضوح ان الشعب الكردي ليس يتيما فقط بل يتيم ومضطهد ايضا, انه (شعب الله المحتار) في امره, كيف لا وانه مسلم حتى النخاع وانه يسكن من اقدم العصور على وطنه الغني بالثروات, ولكنه محروم من حقوقه السياسية والثقافية واحيانا من حقه حتى في الحياة, وان الذين ينكرون حقوقه ليسوا خارج الأمة الإسلامية بل من داخلها وهم مسلمون أقحاح.

عندما كنت يافعا وطالبا دينيا في قرية (بيارة) اقترب من مجالس ومحافل المتصوفين واستمع الى سلسلة مراجعهم وينابيعهم الروحية, فيرجعونهم الى رواد اوائل للصفوة والزهد وهم تركوا بهرجة الدنيا ونزواتها المادية, يرجعونهم إلي الخليفة الأول للنبي محمد (ص) و الى سلمان الفارسي (ر) وأبي الذر الغفاري وحذيفة بن اليمان و...

وعندما قرات كتاب (شخصيات غير قلقة في الإسلام) للمثقف الحجة الخالد (هادي العلوي)، واطلعت على السيرة الذاتية لنبع صاف من صدر الإسلام وهو (سلمان الفارسي)- اتضح لي سرّ جعل المتصوفين سلمان بعد ابي بكر مرجعا لفكر التصوف.

في هذه الأيام وبعد مرور اكثر من (١٣٨٥) سنة على وفاة احد المراجع الروحية للتصوف- تُنبش قبور مراجع المتصوفين و تستباح اضرحتهم وهم كانوا بحق وحقيق الخلف الصالح لسلمان الفارسي وحذيفة وابي ذر..و..

اسمه الحقيقي وكما يذكر لنا كثير من مؤرخي الإسلام (روزبه الاصفهاني)، عرف عند المتأخرين من اهل العراق باسم (سلمان ثاك) اي الطاهر، هاجر روزبه موطنه الأصلي في ظروف مجهولة فحل في (الموصل) او في الشام حسب روايتين، فانضم الى دير متنصرا على يد راهب، خدم الدير والراهب حتى مات الراهب، ثم اخبر (روزبه) الاهالي بان الراهب كان غير امين اذ يجمع الصدقات باسم الدير ثم يكنزها لنفسه ولا يوزعها على فقراء المؤمنين فدلهم على مخبأ مليء بالذهب والفضة.

ثم خدم راهبا آخر عزز إيمان (روزبه) المسيحي، فبقى لديه حتى توفي فأوصى به إلى راهب آخر في (نصيبين) ثم إلى آخر في (عامورية).في هذه المرة الأخيرة اخذ (روزبه) يشتغل لنفسه الى جانب خدمته للدير فصارت لديه بعض الماشية والغنم. من (العامورية) توجه الى الحجاز مع قبيلة (بني كليب)، يقول مؤرخو سلمان ان دافع خروجه من موطنه هو البحث عن الدين الحق، وهم يربطون بين هذا الدافع وظهور النبي محمد (ص) بطريقة يفهم منها:-

ان السماء حركت الفتى الأصفهاني في اتجاه البحث عنه، ويفترض انه في (العامورية) قد سمع في ذلك الحين بظهور نبي في الحجاز فعزم على التوجه اليه.

بعد الوصول إلى (المدينة) توجه روزبه الى محمد وأعلن اسلامه على يديه في السنة الاولى للهجرة, فغير النبي اسمه إلى سلمان, برز اسم سلمان فجأة في معركة (الخندق) عام ٥/للهجرة عندما أشار الى النبي بحفر خندق حول المدينة وانه عرف هذا الشكل من التحصينات في منطقة (الجزيرة) ولم تكن هذه التحصينات معروفة في الحروب الجاهلية.

لسلمان مع النبي علاقة استثنائية, تمثلت في لقاءات متكررة تتم على انفراد وتستمر ساعات طويلة, كان (ابو الدرداء) متآخيا مع سلمان وينقل ابو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) وعن (ابي الدرداء) ان النبي كان يجتمع على انفراد مع سلمان, وحول لغة سلمان قيل انه كان يستعمل بعد تنصره اللغة السريانية, وان عربيته كانت ضعيفة, ومن المحتمل ان النبي كان يعرف اما الفارسية أو السريانية.

يجب ان يوضع في الحساب ان روزبه جاء من موطن الحضارة الساسانية والحركة المزدكية, وفي الحقبة التي لوحقت فيها (الحركة المزدكية الثورية) من قبل (نوشيروان) وخلفائه.

يروي ابن عساكر عن علي بن ابي طالب قوله عن سلمان : (ادرك علم الأولين والآخرين, من لكم بلقمان الحكيم!!)). كانت لسلمان ثقافة متميزة عن بقية أصحابه المسلمين, وهناك شذرات تدل على عقلية فاحصة ربما اتصلت بخلفية معرفية معينة, ان سلمان لم يكن مهموما بالبحث عن الحقائق, فما كان مهما عنده هي مسالة العدل في الحياة العملية للناس, ويمكن الاستنتاج من مجمل سيرته انه بقى اكثر تأثرا بالوسط (المزدكي) في موطنه الاول منه بالوسط السرياني اللاحق.

اشترك سلمان في جميع المعارك بعهد الرسول ثم في معارك فتح العراق على عهدي (ابي بكر وعمر), وانه لم يكن معدودا في الفرسان والمقاتلين, ولاشك في إن تأثيره اكبر في التشكيلة الأيديولوجية والاجتماعية للإسلام, ان التقاليد والمأثورات الفارسية كانت مفتوحة لعرب الجاهلية وصدر الإسلام ويصعب فرز

ما هو لسلمان عما هو لغيره, إلا أننا نستطيع تصور مساحة مخصوصة لفاعلية هذا المهاجر الفارسي في ضوء العلاقة الاستثنائية مع النبي.

لقد رجح العلامة هادي العلوي تحريم (الاكتناز عما يزيد عن حاجة المسلم من الاموال النقدية) بتاثير من سلمان, وسلمان الفارسي كان أحد أركان الأربعة من الصحابة الذين انحازوا الى علي بن ابي طالب وهم (سلمان–ابوذر الغفاري––عمار بن ياسر–حذيفة بن اليمان), وهؤلاء الأربعة لم يشتهروا بالغنى, ولم يعدوا من الصحابة الذين استفادوا من عوائد الفتوحات, وخاصة ان سلمان وابا ذر سالمان قطعا من أية شائبة تشكك في مسلكهما.

فكلاهما آثر الفقر اختيارا وسط الأغراء الشديد بالغنى ولم يتخذ أحدهما قصرا لسكناه, بل اقاموا في بيوت عادية مبنية باللبن والطين بدل الآجر والجص, لم يتزوجا بأكثر من زوجة واحدة, لم تكن لأي منهما جوار للمتعة, وكان لكل منهما خادمة مدمجة في العائلة تساعدها في شؤون المنزل. بعدما أخذت جيوش الفتوحات بالتحرك انضم سلمان الى جيش الفتح العراقي, وقد تعاون مع عمر بن الخطاب مع احتفاظه في علاقته بعمر بدور الناقد, (ابن العساكر/٢٠٥, ابن الجوزي/١٤٧).

يروي (الماوردي) في كتاب (نصيحة الملوك) ان ابا بكر نهى سلمان عن الكلام لئلا يختلف الصحابة, وهنا يستنتج الاستاذ هادي العلوي ان سلمان اضطر الى الانصياع لأمر أبي بكر لأنه غريب وليس له عشيرة .

ولاية المدائن

تعتبر المدائن إحدى أهم المحطات في تاريخ (روزبه الأصفهاني) وقد اختارها عمر بن الخطاب له بعد فتحها, وتقبلها سلمان رغم انه لا يحمل مزاج السلطة, يمكن تفسير قبول سلمان للولاية بمحاولة منه لتجربة حكم ينظمه وفقا لثوابته المبدئية, وذلك افضل من بقائه صامتا في مركز الخلافة.

يصف المؤرخون الاسلاميون سلمان الفارسي وهو والى المدائن:–

* يلبس الصوف, يركب الحمار بغير أكاف ويأكل خبز الشعير.

* كان راتبه السنوي عن ولايته (٥) آلاف درهم كان يقبضه ثم يوزعه, لالتزامه بالعيش عن عمل اليد وحسب توجيه النبي (ص), فيعمل لصنع السلال والأوعية فيبيعها ويعتاش بثمنها.

* لم تكن لديه مهام اخرى خارج ادارة المدينة.

* لم ينزل في القصر الساساني بل في مسكن عادي مع عامة اهل المدائن.

* كان مقر سلمان الرسمي هو المسجد, الغى سلمان شكليات الولاية مبتدئا بنفسه, وكان في ملبسه ومركوبه لا يختلف عن عامة الناس, ولم يكن يخرج من موكب وانما يمشي منفردا او مصحوبا باصدقائه.

* عاشت المدائن في ظله آمنة لا يخاف أهلها من اي نوع من العدوان, وكانت تحت إمرته (٣٠) ثلاثون الفا من اهل الديوان والجنود جمعتهم علاقة احترام متبادل, هذه السياسات والسلوكيات لم تعجب عمر بن الخطاب, وكان سلمان من جهته يشعر انه يتجاوز الأصول المسموح بها في دولة عمر, لان عمر هو المؤسس الفعلي للدولة الإسلامية, وقد أقامها لتكون (دولة) ثم (ان تحكم بالعدل), وبين في تعليماته للولاة:-

ان المسلم العادي يكفيه ان يحكم بالعدل والأنصاف فقط.

هناك غموض يلف مصير سلمان وولايته, تخبط فيه المؤرخون فلم يصلوا الى قرار نهائي بخصوصه, حيث تقول رواية ان عمر عين سلمان بعد حذيفة, لكن الثابت ان حذيفة في المدائن ويعتقد العراقيون ان ضريح سلمان وحذيفة في المدائن. وفاة سلمان مختلف عليها, اما مصير ولايته على المدائن في احتمالين:-

١-ان يكون عمر قد عزله عنها.

٢-او هو ترك المنصب بعد ان اشتد ضغط عمر عليه, ويرجح الاستاذ العلوي:- ان سلمان ترك الولاية وغادر المدائن في صمت بعد ان استلم (الحذيفة) الولاية من سلمان, وهذا هو الحل الوحيد المعقول للمصير الغامض لسلمان الفارسي.

في(معجم البلدان):- ان ضريح سلمان في قرية (جيان) التابعة لأصفهان يُقصد ويُزار, وان الراوي قد زار القرية بنفسه وكانت الثمرة المكتملة لرحلة ذلك الغريب وتقلبه في الأمصار والأديان وبين الأديرة والمساجد هي المساهمة الفارسية المبكرة في تأسيس الإسلام, أما أحلامه في مجتمع الفقراء قد خابت وتبددت بدون شك, ويرجح الأستاذ العلوي ان سلمان استقر في موطنه الأصلي ليمضي ما تبقى من أيامه في التأمل والعبادة بالمسجد الذي بناه لنفسه هناك.

وثمة روايات تقول ان سلمان الفارسي ذكر للنبي ان امته الفارسية لا تفهم اللغة العربية, فأستأذنه بان يقوم بترجمة آيات من القرآن الكريم الى اللغة الفارسية, فأذن له النبي, وكما تقول تلك الروايات يعتبر سلمان الفارسي أول مترجم للقران.

*****

* يلبس الصوف, يركب الحمار بغير اكاف ويأكل خبز الشعير.

* كان راتبه السنوي عن ولايته (٥) آلاف درهم كان يقبضه ثم يوزعه, لالتزامه بالعيش عن عمل اليد وحسب توجيه النبي (ص), فيعمل لصنع السلال والأوعية فيبيعها ويعتاش بثمنها.

* لم تكن لديه مهام اخرى خارج ادارة المدينة.

* لم ينزل في القصر الساساني بل في مسكن عادي مع عامة اهل المدائن.

* كان مقر سلمان الرسمي هو المسجد, ألغى سلمان شكليات الولاية مبتدئا بنفسه, وكان في ملبسه ومركوبه لا يختلف عن عامة الناس, ولم يكن يخرج من موكب وانما يمشي منفردا او مصحوبا باصدقائه.

* عاشت المدائن في ظله آمنة لا يخاف اهلها من اي نوع من العدوان, وكانت تحت إمرته (٣٠) ثلاثون الفا من اهل الديوان والجنود جمعتهم علاقة احترام متبادل, هذه السياسات والسلوكيات لم تعجب عمر بن الخطاب, وكان سلمان من جهته يشعر انه يتجاوز الأصول المسموح بها في دولة عمر, لان عمر هو المؤسس الفعلي للدولة الإسلامية, وقد اقامها لتكون (دولة) ثم (ان تحكم بالعدل), وبين في تعليماته للولاة:-

ان المسلم العادي يكفيه ان يحكم بالعدل والأنصاف فقط.

هناك غموض يلف مصير سلمان وولايته, تخبط فيه المؤرخون فلم يصلوا الى قرار نهائي بخصوصه, حيث تقول رواية ان عمر عين سلمان بعد حذيفة, لكن الثابت ان حذيفة في المدائن ويعتقد العراقيون ان ضريح سلمان وحذيفة في المدائن. وفاة سلمان مختلف عليها, اما مصير ولايته على المدائن في احتمالين:-

١-ان يكون عمر قد عزله عنها.

٢-او هو ترك المنصب بعد ان اشتد ضغط عمر عليه, ويرجح الاستاذ العلوي:- ان سلمان ترك الولاية وغادر المدائن في صمت بعد ان استلم (الحذيفة) الولاية من سلمان, وهذا هو الحل الوحيد المعقول للمصير الغامض لسلمان الفارسي.

في(معجم البلدان):- ان ضريح سلمان في قرية (جيان) التابعة لأصفهان يُقصد ويُزار, وان الراوي قد زار القرية بنفسه وكانت الثمرة المكتملة لرحلة ذلك الغريب وتقلبه في الأمصار والأديان وبين الأديرة والمساجد هي المساهمة الفارسية المبكرة في تأسيس الإسلام, أما أحلامه في مجتمع الفقراء قد خابت وتبددت بدون شك, ويرجح الأستاذ العلوي ان سلمان استقر في موطنه الأصلي ليمضي ما تبقى من أيامه في التأمل والعبادة بالمسجد الذي بناه لنفسه هناك.

وثمة روايات تقول ان سلمان الفارسي ذكر للنبي ان أمته الفارسية لا تفهم اللغة العربية, فأستأذنه بان يقوم بترجمة آيات من القرآن الكريم الى اللغة الفارسية, فأذن له النبي, وكما تقول تلك الروايات يعتبر سلمان الفارسي أول مترجم للقران.

*****

كلمة وفاء لصحيفة البلاد

ونحن من منفى إلى منفى ومن باب لباب
نذوي كما تذوي الزنابق في التراب
فقراء يا وطني نموت
وقطارنا أبدا يفوت

- البياتي -

من المنافي البعيدة من نبض الوطن" مازال قلبه العامر بعشق الكلمة الشريفة الهادئة يزداد جذوة ووجدا, في ذكرياته عن متاعب في مهنة (البحث عن المتاعب) يروي الدكتور فائق بطي شوارد من الخواطر والتجارب المريرة في صحيفة تحمل هو واسرته الكريمة وعلى راسها المرحوم رفائيل بطي اعباءها الكثيرة.

لم تكن جريدة البلاد بعيدة عن الحركة الوطنية العراقية في العهد الملكي والجمهوري, بل كانت من احدى جداولها ومصنفة ضمن الصحف العلنية التي لم يستطع البلاط الملكي والحكومات العميلة ترويضها وتسخيرها لأغراضها, وخير شاهد على ما نقول هو الأوامر العديدة بتعطيلها سواء في العهد الملكي ام الجمهوري وكما يرويها الأستاذ فائق بطي.

من شوارد التجارب التي تخص الحركة التحررية لشعبنا الكردي يروي الدكتور بطي تجربتين في عهد عبدالكريم قاسم:

* في الشهر الثاني من الثورة وجريدة (البلاد) تواصل عطاءها للثورة ولقائدها – يأمر وزير الداخلية (عبدالسلام عارف) بتعطيل الجريدة لمدة شهرين, لانه اعتبر الكاريكاتير المنشور وسط عريضة المعلمين الاكراد تحريضا مقصودا

واشارة واضحة الى كون الشعب الكردي ما يزال مكبلا بالقيود في العراق. رغم ان الجريدة اوضحت ان شرح الكاريكاتير قد سقط سهوا – الا ان المخيلة المريضة تنتج ابدا افكارا مريضة.

* في منتصف شهر حزيران ١٩٦٢ دبر (عبدالحميد جليل) مدير الامن العام بالاشتراك مع (احمد صالح العبدي لحاكم العسكري العام قصة المؤامرة المزعومة التي بدأتها جريدة (البلاد) حين داهمت قوى الامن ادارة ومطابع الجريدة بعد منتصف الليل, وزرعت السكاكين والبلطات المرسوم عليها (حمامات السلام) وكيسا يحتوي على نشارة الطابوق وزعم المسؤولون انها مادة الزرنيخ , وادعت مديرية الامن العامة ان الجريدة وكر اساس من اوكار المؤامرة على (عبدالكريم قاسم)!

اما القصة الحقيقية وراء ذلك الزعم وكما يرويها فائق بطي, فهي:

ان الصحف الصفراء الصادرة في تلك الحقبة كانت تحرض المسؤولين على جريدة البلاد لرفض اصحابها الطعن بقائد الثورة الكردية, وتسمية الثورة المندلعة في ربوع كردستان بـ (الجيب العميل), وعندما رفض أصحاب الجريدة الانصياع لارادة الحكم" دبر العسكر قصة المؤامرة. وما هي إلا اشهر ست حتى قام الانقلابيون بمجزرة ٨ شباط ١٩٦٣ المشؤومة, فأغلقوا (البلاد) وانهوا مسيرتها الطويلة الممتدة منذ عام ١٩٢٩ وزجوا بأصحابها في السجون.

ثم يذكر الدكتور فائق بطي انه واصل مسيرته في بغداد حيث العمل في صحافة أخوانه الكرد (النور) و (التآخي), ومازال يواصل العطاء في صحافة المنفى القسرية ويعكف على وضع دراسة مفصلة عن الصحافة العراقية في المهجر والمنفى.

فسلاما عليك أيها المرهق في مهنة (البحث عن المتاعب) وعلى قطارك الذي أبدا يفوت, ومن الشعب الكردي الوفاء والشكر الجزيل.

*****

اقتراح متواضع أمام مجلس الحكم:-

﴿ آية قرآنية ... كمادة أولى للدستور العراقي ﴾

أتى على العراقيين حين من الدهر تراجعت فيه أطيافهم (الثقافية والسياسية) عهودا مظلمة مرت عليهم وهي مليئة بالويلات والمذابح, ويقيّمون أسبابها وتداعياتها. في الحقيقة بدأت المراجعات والتقييمات قبل عملية تحرير العراق بسنوات وفي إطار لقاءات ومؤتمرات المعارضة العراقية خارج الوطن وداخله.

بعد العهد الجديد من تحرير العراق وسقوط ابشع وأشرس دكتاتورية عرفناها في تأريخ البشرية" أخذت المراجعات طابعا يتسم بجدية وصراحة أكثر. على ساحة مراجعة ما مر علينا من الويلات والحوار لإرساء نظام سياسي يمنع في المستقبل عودة العهود الدكتاتورية إلى العراق" نرى مشاريع وأفكارا كثيرة متباينة في طروحاتها وغاياتها, كما أكاد أن أقول ان جميع تلك الطروحات رغم تباينها وضبابية بعضها" ظاهرة صحية مادام تطرح بحرية مطلقة وبدون خجل ووجل.

تعقيبا على مقال قيم جريء في جريدة التآخي ليوم ١١/٢٠ للمحامي الديمقراطي السيد (عبيد خضير جبر), تناول فيه ما ورد في راي آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرس حول الدستور حيث قال في سياق تصريحه ﴿ فلا يجوز فرض النظام الفيدرالي في ظروف طارئة كالتي نحن فيه ﴾.

استقر رأي الأستاذ (عبيد الجبر) على ان الظروف الطارئة من حيث الوقت لا يمكنها تعطيل إقرار المبادئ العامة والمصالح الاستراتيجية العليا للأمة, بل تفرض تلك الظروف الطارئة نفسها على المخلصين من الكوادر الوطنية القيادية ان تسد منافذ الحروب الدموية وذلك بتثبيت تلك المبادئ

العامة وإقرارها في دستور ديمقراطي فيدرالي يراعي حقوق (جميع الحقوق) القوميات والطوائف العراقية كافة.

ان وجود القوميات والألسنة المختلفة ظاهرة طبيعية ليست للإنسان يد في خلقها, فالعراق ومنذ تشكيل دولته وانسلاخه عن الدولة العثمانية شعوب وقبائل والسنتهم مختلفة, وان اللغة العربية والكردية والتركمانية وغيرها ليست هبة او منحة من احد, كما ليس لأحد أن يقول: هذا الحق اعطيه وذاك لا اعطيه, إلا ان حزب البعث ولتنفيذ مشروع التعريب اصدر قانونا سماه ﴿ قانون تصحيح القومية ﴾ كأنَّ الله جل شأنه اخطأ في خلق الكرد والتركمان.!!

وهناك آراء اخرى تقول: لتحقيق الفدرالية وخاصة (الفدرالية السياسية لإقليم كردستان) – يجب أن يستفتى الشعب العراقي, ويأتون في هذا السياق بحجة واهية وهي إن الشعب العراقي واحد لا يُجَزّا.

أرى في هذا الراي خدعة صارخة إذ كيف يُسأل شعب ليقر مصير شعب آخر, اليس هذا من متاهات الاستعلاء والشوفينية! ام هو استخدام الديمقراطية كوسيلة وليست غاية؟

وهناك حركة في إقليم كردستان تطالب بإجراء استفتاء لتحديد ما يريده الشعب الكردي من علاقات مع الحكومة المركزية او مطالب اخرى. أرى إن إجراء ذلك الاستفتاء من قبل الكرد انفسهم ايضا ليس صحيحا, إذ كيف يَستفتي شعب نفسه فيما يطالب به هو بنفسه وهو صاحب حركة تحررية عمرها أكثر من مائة سنة لتحقيق مطالبها الواضحة والمتواضعة أيضا, بل الصحيح (وكما اعتقد) هو انه:

إذا رفضت الدولة العراقية المنتخبة" الحقوق الأساسية للشعب الكردي من فيدرالية سياسية لإقليم كردستان, أو لم تثبت تلك الحقوق في الدستور الدائم وفي بنود واضحة لا لبس فيها ولا غموض – فحينذاك على الجماهير الكردية ان تقوم بدورها الإيجابي (سلميا) وجنبا إلى جنب مع الأحزاب الكردية وتطالب بإلحاح الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والدول الصديقة لشعبنا"

بإجراء استفتاء للشعب الكردي وبإشراف ورعاية UN والدول صاحبة القرار فيها, وذلك للوقوف على ما يطالب به هذا الشعب المحروم أو أية مشاريع نضالية سلمية أخرى.

وهناك طروحات كثيرة لا مجال لعرض جميعها" إلا ان الراي القائل بإقرار المبدأ الاختياري لتعايش القوميات العراقية مع بعضها هو الراي الغالب على منابر المراجعة.

من جهة أخرى نلاحظ إن الدساتير العراقية (بدائمه ومؤقته) تَصُرُّ على ان العراق دولة إسلامية, وإن أهم مصادر التشريع هي أحكام القرآن, إلا ان الحكومات المتعاقبة في العراق وبدرجات مختلفة لم تقر مفهوم الآيات القرآنية ومنها (وخلقناكم شعوبا وقبائل...) و (اختلاف السنتكم وألوانكم), بل ان حزب البعث وفي قمة انفتاحه خطط لإبادة الشعب الكردي أو زحزحته من وطنه وترحيله الى المحافظات الجنوبية فتعريبه.

فانطلاقا من ان العراق دولة إسلامية" اعرض هنا اقتراحا متواضعا أمام السادة أعضاء مجلس الحكم والهيئة المشرفة على صياغة الدستور, ان تكون المادة الأولى للدستور العراقي الجديد بل لدساتير ﴿ دول الجوار وبخاصة إيران لان لها دولة دينية يحكمها القرآن ﴾ الآية القرآنية ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وانثى.....﴾ وبهذه الصيغة الشاملة تُسَد الأبواب على الرياح العاتية للاستعلاء والنظرة الدونية تجاه الشعوب غير العربية وغير الاسلامية.

*****

من رواد التساهل والتسامح في الدين:

﴿ الإمام أبو حنيفة..رائد للاجتهاد والانفتاح على النص ﴾

عرض وتعليق / حسين نيرگسجاري

هادي العلوي الحجة والمعلم الشاخص في التراث الإسلامي, والسباح الماهر في أعماق تاريخ الحضارة الإسلامية ومدارسها الفكرية.. اضاف العلوي في أواخر عمره الطافح بالعطاء الثاقب كتابا قيما في سيرة (١٥) شخصية إسلامية وقانونية رفيعة, ان كتاب (شخصيات غير قلقة في الإسلام) لجدير بقراءة متفحصة, ارى من الضروري اطلاع قراء (الاتحاد) الكرام على تاريخ بعض من هؤلاء الشخصيات وأخص أبرزهم وهو اول الأئمة الأربعة ابي حنيفة (رض) .. واختياري لأبي الحنيفة لم يات من نظرة الإهمال او الاستخفاف بالأئمة الآخرين, بل جاء من كون ابو حنيفة رائدا جريئا في حينه من بين الفقهاء للتساهل والتسامح في الدين, وللحقيقة فان الأئمة الآخرين أتوا بكثير من اجتهادات تُجاري ضرورات الحياة المتغيرة باستمرار. إن الأجيال اللاحقة من المسلمين وحتى من غير المسلمين ترنو الى ما أبدعوه بنظرة تقديم واحترام, فمثلا: كان ابو يوسف من ابرز تلامذة ابي حنيفة ومن اشهر القضاة في عهد العباسيين, يوجد حاليا تمثال لأبي يوسف في مدخل كلية القانون بجامعة سوربون بفرنسا... وكما قال لي أستاذي الكبير نوري عبدالله حين عرضت عليه مسودة هذا المقال.

مولده ونشاته

نعمان بن ثابت الكوفي: جاء في بعض المصادر ان جده من اهالي (كابل) بأفغانستان, اما الدكتور رشيد الخيون, فيقول في احدى مقالاته ان روايته الفارسية (او الافغانية–ح) لم يقل بها غير الباحثين المصريين امثال ابي زهرة وشوقي ضيف, قالوا ذلك عن ابي حنيفة وعن ابي نواس وكأنَّ العراق كان خاليا من البشر قبل الفتحين (الفارسي والعربي).. ان الكوفة من المدن العريقة بامتدادها البابلي وتكوينها الحضاري, فلو لم تكن ذات مواصفات مغرية لما جهز الفاتح او الغازي نحوها الخيل والرجال.

ولد ابو حنيفة عام (٨٠ هـ)في الكوفة ونشأ فيها, واحترف تجارة الخز–وهو نوع من الحرير– واستمر عليها بقية حياته, اتجه في مقتبل شبابه الى الفقه, وكان من جيل ما بعد التأسيس ومن رواده ابراهيم النخعي وآخرون مثل حماد ابي سليمان (١٢٠ هـ).. ويقول الدكتور رشيد الخيون ان الاخير كان شيخ ابي حنيفة المباشر وقد اخذ منه الفقه مدة (١٨) عاما.

يرى الأستاذ العلوي ان أبا حنيفة تقدم في الفقه متجاوزا جيله السابق ليصبح واحدا من اعلامه في جميع الأجيال, وصاحب مدرسة متكاملة سميت فيما بعد بالمذهب الحنفي, وتتلمذ له ثلاثة صاروا فيما بعد من كبار فقهاء الإسلام وابرزهم ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني.

قاد أبو حنيفة حركة نهوض في الفقه الإسلامي بتأسيس البحث الفقهي على (القياس والرأي), وكان الفقه أصلا بدأ في (المدينة–الحجاز) واخذ (بعد القرآن) بالحديث وهو الاتجاه العام لدى الفقهاء من التابعين وابناء الصحابة, والذي تبلور في مذهب (مالك ابن انس) وهو أحد الأئمة الأربعة للسنة.

أما أبو حنيفة فاعتبر الحديث النبوي من مصادر الأحكام وليس المصدر المقدم على غيره بعد الكتاب على الدوام, فكان لا يأخذ بالحديث الذي روى عن طريق واحد, وهناك قضايا ومسائل لم يرد فيها نص قاطع, وفي هذا

النوع من المسائل يستند أبو حنيفة إلى القياس ووسع من القياس الى قاعدة (الاستحسان) ويعني: (توسيع القياس بما هو أرفق للناس).

هذه القاعدة بداية في سلسلة الاجتهادات التي تبدأ بتطبيق النص الصريح القاطع ثم إحلال الراي الشخصي للفقيه محل القياس الدائر في حدود النص رفقة بالناس, منع الإمام الأعظم ابو حنيفة (القياس) في اربع مسائل وأبقاها مقيدة بالنصوص الخاصة بها من الكتاب والسنة وتلك المسائل هي : العقوبات, الكفارات: الرخص, التقديرات.. وللتوضيح اذكر إحداها وهي: الكفارات, وهي عبارة عن الغرامات التي تقدم عن جناية او مخالفة غير مقصودة ومنها دية قتل الخطأ, والقياس في هذه الحالة شموله بالقتل العمد, إلا ان الإمام منع القياس وقرر عدم شموله بالقتل العمد تحفظا واحتياطا لحيلة قد يلجأ إليها القضاة او الشهود او القاتل, وترك الحكم في هذه الحالة للنصوص.

طفرة كبرى فيما هو سائد

قبل ١٣٠٠ سنة, رفع الإمام الأعظم ابو حنيفة راية التسامح والسهولة في الدين ومصلحة الرعية, ونبذ التشدد والتزمت, وابقى فسحة للراي, اعرض هنا جملة من الأحكام اجتهد فيها ابو حنيفة, ويعتبرها علماء القانون والاجتماع في هذا العصر طفرة كبرى فيما كان سائدا وهي:

١- انه لا يكفر مسلما مادام يدعي الإسلام دينا (ظاهرا او باطنا), والإنسان عنده ايا كان الإله الذي يعبده واي الأديان اتخذه وأيٍّ الأنبياء اتبع, مقدس والدماء لا يجوز سفكها.

٢-اقر للطفولة حرمتها, إذ لا يجوز الاعتداء عليها فابن الزنا عنده مثلا-لا يقتل ولا يستبعد.

٣-تعديل احكام الخُمس: فرضت ضريبة (الخمس) على غنائم الحرب وكانت الغنيمة تدفع بغنائمها بعد دفع (خمسها) للنبي وخمس آخر لأقربائه والثلاثة الباقية لليتامى والفقراء وابناء السبيل, بعد وفاة النبي (ص) وضع سهمه في

اهل الديوان وبإجماع آراء الفقهاء, اما سهم ذوي القربى فأبقي على حاله باتفاق المذاهب الثلاثة السنية والمذهب الجعفري, وأسقطه ابو حنيفة وجعله من نصيب اليتامى وابناء السبيل وقال: فليأخذ فقراء بني هاشم نصيبهم منه (أسوة بالآخرين ولا يعطي لأغنيائهم)

٤-التكافؤ في الدماء: نص القران على القصاص في القتل العمد, وفرض الدية في القتل الخطأ اذا كان القتيل مؤمنا, ولم يعين جنس القتيل (امراة او رجلا, حرا ام عبدا), واختلف الفقهاء في ذلك, فحكم كثير منهم بالتفريق بين الحالات, فأوجبوا القصاص في الحر ومنعوه في العبد وفرقوا في الدية فجعلوا دية المراة المقتولة خطأ نصف دية الرجل المقتول خطأ.. كما اسقطوا القصاص في القتيل غير المسلم, وجرى على تلك الأحكام كل من المالكية والحنبلية والشيعة.

أما أبو حنيفة فقد أوجب القصاص للمسلم وغيره, فالمسلم اذا قتل غير مسلم يقتل قصاصا وهو حكم عمر وعلي وعمر بن عبد العزيز, وساوى في الدية بين المسلم وغيره إقرارا لمبدأ التكافؤ في الدم بصرف النظر عن الدين, كذلك ساوى بين دية الرجل ودية المراة وهذه الأحكام من نتائج قاعدة (الاستحسان).. اما فيما يخص العبد" فتوصل إلى نصف الطريق إذ أوجب القصاص على الحر إذا قتل عبدا لغيره ولم يفرضه على حر قتل عبده.

٥- قضاء المراة: لم يجز الفقهاء تعيين المراة في القضاء قياسا على عدم جواز مبايعتها بالخلافة لكن أبا حنيفة أجاز ذلك فيما تصح شهادتها في الأحكام مما يعني جواز تعيينها قاضية في المحاكم الشرعية (توسع الطبري وصاحبه أبو الثور فأجازا لها القضاء في جميع الأحكام).

٦- لأبي حنيفة احكام مماثلة في قضايا جزئية رد فيها على مبادئ دينية مشهورة ومعدودة في المسلمات المجمع عليها, منها مبدأ: (الأجر على قدر المشقة) مثل اداء الفرائض بطرق شاقة طلبا في زيادة الأجر يوم القيامة مثل

الحج مشيا فاقر ابو حنيفة بان الحج راكبا افضل من الحج مشيا وجاء بحجج كثيرة, وقال ايضا إن النكاح افضل من العبادة الزائدة على الفرائض.

في سياق آخر, أباح ابو حنيفة لغير المسلم (ذميا او محاربا) دخول المساجد بما فيها المسجد الحرام, وبقية الفقهاء يترددون بين السماح في المساجد العادية ومنعه بتاتا واحلَّ ابو حنيفة طعام غير المسلمين (عدا المجوس) لان ذبح المجوس-كما هو شائع-بالخنق وليس بالذبح.

وقع ابو حنيفة في أخطاء ناتجة عن القياس الشكلي في بعض المسائل مثل: اعتباره ما يخرج من البحر من اللؤلؤ والمرجان والنفائس الأخرى في حكم السمك المصطاد فلم يوجب فيها فريضة الخمس ولم يراع الفرق في الندرة ولا في الجهد المبذول, فاستدرك هذا تلميذه الأكبر (ابو يوسف) فأوجب الخمس فيها مخالفا فيها مذهب استاذه وله اقيسة شكلية من هذا القبيل.

توسع علماء المذهب الحنفي اللاحقيون وعلى خطى إمامهم في مباحث القياس مستفيدين من (منطق أرسطو) الذي ترجم بعد وفاة الإمام او في السنوات الأخيرة من حياته, إلا ان الإمام تعرض للنقد من كبائر اتباعه فيما بعد..

اشتدت الحملات على ابي حنيفة من جهتي الشيعة ومن بعض المذاهب الاخرى وبخاصة ايام حكم السلجوقيين, ومن الأمور التي اثارت استفزاز أهل السنة الآخرين: تأييده للخروج والعصيان على الخلفاء بالسلاح, الامام الاعظم ابو حنيفة هو الوحيد بين الفقهاء الذي يواجه الحملة العاتية من التشهير والاتهامات وترجع اكثرية الاسباب الى القياس وفتاواه العقلانية والى تأييده لحمل السلاح ضد الخلفاء, وكان الثمن الذي دفعه ابو حنيفة في القياس قليلا حيث الشتائم والتشهير الا انه مشى في طريق وعر عندما اقدم على الإفتاء بتأييد الثائرين على الخلفاء.

في سلك المعارضة

عاش ابو حنيفة في السنوات (٨٠-١٥٠هـ) وكانت حقبة ازدهار البحوث الفقهية والكلامية وترتبط تلك البحوث مباشرة بحركة معارضة الامويين واوائل العباسيين.. فقد شارك العديد من الفقهاء في الانتفاضات المسلحة بأنفسهم او بوسائل أخرى مثل مقاطعة الدولة وامتناع بعضهم عن العمل في القضاء والإدارة لئلا يكونوا من (اعوان الظلمة) وكان ابو حنيفة من البارزين في هذا الميدان بل كان رائدهم الاكبر في الانتفاضات, فقد افتى بتأييد وثبة (زيد بن علي) من الكوفة ضد هشام بن عبدالملك ودعمه بالأموال وافتى بعده بتأييد ثورة البصرة بقيادة ابراهيم بن عبدالله الحسني ضد المنصور العباسي وكلاهما من الشيعة الزيدية ولم يؤيد ثورة العباسيين في الحكم اذ كشف بثاقب بصيرته تشابه سلوك الأمويين والعباسيين في الحكم إلا انه لم يؤيد وثبات الخوارج.

معالم من سلوكه الاجتماعي

كان في معيشته يعتمد على تجارة الخز مما لم تجعله تاجرا كبيرا بل وفرت له يسرا وكان ينفق منها على تلاميذه والمحتاجين من الناس ويحتفظ منها بأربعة آلاف درهم في السنة عملا بقول الإمام علي (رض) "المال اربعة آلاف درهم وما زاد فهو كنز".

ولم يلتزم عيشة الزهاد ولا حياة المترفين بل اختار الاعتدال وتزمت في اخلاقيات البيع والشراء, حيث لا يقوم بالدعاية لبضاعته لان فيها تغريرا بالمشترى ولم يتبع وسائل التجارة كإخفاء العيوب والتحكم في السعر والاحتكار..ويُروى ان الشريك التجاري لأبي حنيفة (حفص بن عبدالرحمن) قد اخلَّ مرة بتلك الضوابط فباع صفقة وأخفى عيوبها وعندما علم ابو حنيفة بالأمر اخذ حصته من ثمن البيع وتصدق به كله للفقراء.

ردود الفعل

ولما ظهر ابو حنيفة كفقيه المعي في الكوفة وكرائد لمدرسة الرأي وذاعت شهرته في الآفاق – ظهرت تحديات وانتقادات لآرائه الجريئة وبخاصة مذهبه في القياس علما بان الإمام الشافعي اخذ بالقياس ايضا ولكن في امور معينة ولم يتوسع فيه والمذهب الشيعي يمنع القياس منعا باتا. وناقدو ابي حنيفة يرون ان الأحكام لا تعلل مادامت صادرة عن الشرع هذا ما يراه مذهبا مالك وابن حنبل.

موت سقراطي

المصادر الحنفية تقول ان مخابرات (المنصور) رصدت تحركات ابي حنيفة بعد ان علمت بتأييده لثورة إبراهيم في البصرة فامر الخليفة والى الكوفة بتوقيفه وإرساله إلى بغداد, فعاش (١٥) يوما فسقاه سما في (١٥٠ هـ).. ويرى (ابن حجر) في كتاب خيرات حسان /ص٦٧–٦٨).. ان الخليفة لما دعاه الى بغداد لم يتجرا على قتل ابي حنيفة لغير سبب ظاهري فطلب منه القضاء مع العلم بأنه لا يقبل ذلك, فدس له السم وهو في السن (٧٠).

اوصى ابو حنيفة في السجن ان يدفن في مقابر الخيزران, لأنها ارض طيبة غير مغصوبة وسميت مقابر الخيزران في اواخر العصر العثماني بـ (الاعظمية) نسبة الى (الإمام الاعظم) وهو لقب ابي حنيفة.

المصادر:

١–الأشعري (٣٢٤ هـ) مقالات الإسلاميين.

٢–خيرات حسان/ لابن حجر من حياة ابي حنيفة وفقهه.

٣–وفيات الأعيان /ابن خلكان.

٤–تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي.

٥–ابو حنيفة –حياته وعصره/ تأليف الشيخ ابو زهرة وهو عالم ازهري من المعاصرين.

٦–مسند ابي حنيفة/ دار الكتب العلمية–بيروت ١٩٨٥ من (ص٣١١) الى ٣١٢).

﴿ هادي العلوي وسيرة صلاح الدين الايوبي ﴾

هادي العلوي كما تقول عنه زوجته: سليل الحضارتين, وكما يقول عنه سعدي يوسف: (انه لولى بمعنى الاقتداء والاهتداء, وندر في التاريخ المتأخر لثقافتنا ان ظهر ابن لهذه الثقافة له هذه السجايا والخصال), هادي العلوي ذلك المؤرخ الاشكالي وفأر الكتب القديمة كما يقول عنه زهير الجزائري. انه المثقف الذي اذهل الاجيال الحالية بموسوعيته وطاقاته الفياضة في اخراج التراث والتاريخ المقدسين من كهوف الماضي ومساءلة ذلك التراث بالحاح لكي يجيب على الاسئلة الساخنة حول حاضرنا ومستقبلنا.

عاش هذا الابن الوفي لـ (انسانية الانسان) متصوفا في حياته واعتبر الفقر وشظف العيش قدرا مستحبا بل فضيلته وعاشه بارادته, رافضا ان ياخذ اجرا عن كتاباته واعتبر الكتابة والتأليف وتوعية الناس عملا نضاليا, كان هادي العلوي شغوفا بالسباحة ضد التيار معتقدا ان تلك السباحة توصلنا الى المنابع العذبة الصافية.

كان صديقا للشعب الكردي ومدافعا عن نضالات جماهيره الكادحة, في رسالة (براءة الى اطفال كردستان) المنشورة في جريدة السفير اللبنانية عام ١٩٨٨ – مـرّغ جبين الشوفينية العربية المتجسدة في نظام البعث بالعار والشنار لاستعماله الاسلحة الكيمياوية في مدينة (حلبجة) وكثير من قرى وبلدات كردستان.

انتقد موقف الحزب الشيوعي اليوناني القائل بان القضية القومية للشعب الكردي مختلقة من قبل الاستعمار, وقال العلوي ان الامة الكردية تعيش في كردستان منذ زمن مقارب لوجود الامة اليونانية, والشعب الكردي ليس اقلية بل امة كبيرة يزيد تعداده على (٣٠) مليون.

خاض فقيدنا سجالات مع بعض الشيوعيين السلفيين تناسوا طروحات لينين حول حق الامم في تقرير المصير, وكان هؤلاء يطالبون الشعوب المحرومة من امثال الامة الكردية بتعليق صراعها القومي خدمة للصراع الطبقي العام.

في رسالة له الى احد اصدقائه وفي ١٩٩٢/١/٢٩ اقترح فقيدنا ان تشكل الجبهة الكردستانية حكومة للمناطق المحررة في كردستان وتستنفر الشعب للدفاع عنها وبذلك يمنع صدام من الانتعاش والتوسع .

في احدى الجرائد الكردستانية (ريوان) اعلنت الدكتورة (وهبية شوكت) ان هادي العلوي سلمها ما كتبه عن الشعب الكردي – تاريخه وتراثه ونضاله في سبيل الحرية, وطلب منها نشر تلك النتاجات. فيا ليت ان تقوم مؤسسة كردستانية بطبع تلك النتاجات في كتاب جميل.

ضالة هادي العلوي هي العدل وليست القوة, واذا صادف ان تطرق في بداية مبحث الى مكامن القوة في شخصية ما, فهو يستخدم تلك الاولوية لاظهار مكامن العدل في تلك. والقوة, خير مثال على ذلك مبحث (صلاح الدين الايوبي) في كتابه (شخصيات غير قلقة في الاسلام). بعد ان يعرض بالتفصيل معارك خاضها صلاح الدين في الشام وفلسطين وكيفية تحريرها من الجيوش الصليبية – ينتقل الى عرض شخصية صلاح الدين.

ارى من الضروري ان انقل الى القراء الكرام ذلك العرض الرصين بصورة مقتضبة, لان كثيرا من جوانب شخصيته غير معروفة لدى الكثيرين, علما بان العلوي كعادته المستحبة خرج في ذلك العرض من فرضيات التاريخ المقدس لكي يظهر كما هو وليس كما نريده.

يقول هادي العلوي:– "اذا تجاوزنا فترة الخلفاء الراشدين فان (صلاح الدين) من الحكام القلائل الذين تمتعوا بالشعبية ومحبة الناس الذين يمقتون الحكام ويتمنون زوالهم", ولا يرجع السبب في تلك الشعبية الى بطولته في مقاومة الاوروبيين اذ تصدى للمهمة نفسها حكام سابقون ولاحقون ولم تكن

لهم المكانة نفسها في قلوب الناس, يمكن في الحقيقة مقارنة صلاح الدين مع (نورالدين الشهيد) الذي منحه الشعب هذا اللقب رغم انه مات على فراشه.

تتجلى من شخصيته السياسية والعسكرية خصوصيات المجتمع الكردي, وكان قريب العهد من منشئه الكردي, فجده المباشر يحمل اسما كرديا وكذلك عمه (شيركو), ولم يمر على انفصاله من بيئته الكردية وقت يكفي لنسيان قيم المجتمع الكردي. حصل على ثقافة عربية في الاطار الاسلامي. يضعه مؤرخوه في عداد اهل الحديث, كان شديد التدين, وعند احتدام المعارك يطلب مرافقيه المحدثين ان يقرءوا عليه احاديث نبوية. انه احتفظ وسط هذا بوجدان كردي له آثار في حياته السياسية والعسكرية, كان صلاح الدين في تدينه وزهده اقرب الى رجل عامي منه الى السلطان, لان تدين العوام لا تحكمه مصالح سياسية او اقتصادية, ظهر ذلك في سلوكه الداخلي وحروبه, انه ظاهرة فريدة في المحيط الديني والسلطاني معا, لم يكن صلاح الدين وجنوده مثيرين للرعب عند الافرنج بل كانوا مرهوبين كمقاتلين اشداء.

في علاقته مع الرعية, كان صلاح الدين مثل عمر بن الخطاب مهيوبا غير مخيف وهكذا في القصر يتعامل مع حاشيته بعيدا عن النزوات, وهذه حالة شاذة في سلوك الخلفاء والسلاطين منذ ابتداء الخلافة العباسية, اقصى عقوبة لاعوانه ووزرائه كانت مع وكيل الخزانة بسبب بناء قصر لصلاح الدين فترة غيابه عن الشام.

كانت علاقة صلاح الدين بجيشه تجري على سيرة (علي بن ابي طالب) من حيث نبذ نمط العلاقة العبودية السائدة في الجيش الاسلامي منذ ايام الامويين وعلى سنن الجيوش قديما وحديثا, وكان يعطي جيشه فترات للراحة لتدارك الملل, وكان يوزع الغنائم جميعها (عدا الاحتياجات العسكرية) على المقاتلين, لم يواجه صلاح الدين تمردا او حالات تجسس داخل معسكره كما اوجده معاوية في معسكر (علي) وحالات اخرى.

في حياته اليومية كان صلاح الدين ميالا الى الاقتصاد في البذخ والتمتع, لم يسرف في بناء القصور ولم يكن يشرب خمرا ولم يستكثر من الجواري, كان لصلاح الدين (١٦) ابنا, واعتمد على بعضهم في الادارة والجيش, لم يختزن مجوهرات او كنوزا, كما لم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا بستانا, ولم يكن في خزانته الشخصية عند موته سوى دينار واحد ومبلغ من الدراهم بين (٣٦ – ٤٧) درهم حسب روايتين.

هكذا عاش هادي العلوي نفسه, جره زهده وتعففه عن ملذات الحياة الى نوع خاص من التصوف. كان مولعا بالبحث في حياة الجماعات القديمة التي آثرت حياة الزهد وشظف العيش ورأى في المتصوفة المسلمين والتاويين (في الصين) و اليسوعيين اسلافا له, كان يطلب من صديقه (عزيز سباهي) ان يخط له لوحات فنية لمقولات المتصوفين مثل عبدالقادر الطيلاني: (وددت لو ان الدنيا في يدي لاطعمها الجياع) او (من ملك شيئا فذلك الشيء يملكه).

هكذا يستمر هادي العلوي في سرد سيرة صلاح الدين فيقول: بلور في سيرته وسياسته نموذج سلطان لا يخاف الناس منه لانه غير مرعب. ويحترمونه ويحبونه لانه لا ينهبهم, ويحيا حياة معتدلة منزهة عن مفاسد القصور, وفي حروبه له خصال رجل كردي عادي. ان مأثرته تكمن في احتفاظه بتلك الخصال

وهو سلطان متدين.

نبغ في عهد صلاح الدين مثقفون وادباء مرموقون نشطوا في رعايته. من جملة اطبائه (ابن ميمون) اكبر فلاسفة اليهود في العصر الاسلامي, كان من اهل الاندلس واضطر الى التظاهر بالاسلام هناك, فلما جاء الى القاهرة في عهد صلاح الدين عاد الى دينه.

كان (القاضي الفاضل) مستشاره الاكبر, هو صاحب المدرسة البلاغية القائمة على الصنعة, واشتغل في معية صلاح الدين (عماد الدين الاصفهاني) الذي الف موسوعات في تاريخ الادب والنقد وغيره, وقد ارخ لصلاح الدين بمجلدات ضخمة ورثاه بقصيدة من مائتي بيت. ومن نوابغ عهده (الوهراني)

صاحب (المقامات), وقد كتب في حمايته ادبا نقديا, انتقد ارباب الدولة بدء من اخوة صلاح الدين, وفضح مفاسد الادارة, ونددد بالفقهاء والقضاة والادباء والشعراء والاطباء والصوفية, وقد يكون صلاح الدين هو الذي وجهه لهذه المهمة في مسعى لمحاربة الفساد, ومن نقده: ﴿ الأمثولة عن الملك المعظم ﴾ إخي صلاح الدين.

زاد عهد صلاح الدين عن (٢٠) عاما, وتحتاج الظواهر الثقافية لعهده الى دراسات متخصصة. تسجل على صلاح الدين خطيئتان احداهما اعدام الشاعر (عمارة اليمني) بعد ان تورط في مؤامرة لاعادة الخلافة الفاطمية وإسقاط صلاح الدين, اما الثانية فهي اعدام الفيلسوف شهاب الدين السهروردي, وقد جرى ذلك بناء على مضبطة من رجال الدين في حلب تثبت عليه الكفر واستحقاقه القتل, وكانت لرجال الدين سطوة في عصر امراء الحرب. وقد كان كل من نورالدين الشهيد وصلاح الدين يعتمد على رجال الدين.

من سوء الحظ ان يكون حكم الإعدام الوحيد ضد فيلسوف قد تم على يد هذا الكردي العادل. هكذا كان فقيدنا هادي العلوي يبحث عن منابع العدل الذي لم يجده لا من الأنظمة القديمة ولا الحديثة بل وجده في تراث المعارضة ومثقفيها, وبذلك استخدم الأحداث التاريخية الحساسة في خدمة منهجه التنويري التحريضي.

*****

﴿ الشورى ﴾ أم ﴿ الديمقراطية ﴾
نظرة في الجذور والتراث

اصبح مشروع (الديمقراطية والاصلاح) نهجا نضاليا محفوفا بالمخاطر في دول الاطراف الشرق الاوسطية وفي الدول المتحررة حديثا من دائرة الاتحاد السوفياتي السابق, الا ان هذا المشروع يواجه صراعات ثقافية وتراثية ذات جذور دينية واحيانا مذهبية وبخاصة في شرقنا الاسلامي.

فهناك احزاب دينية لا مناص لها الا ان تجاري ذلك التيار الجارف للاصلاح والديمقراطية ولكن غالبا بادواتها القديمة, مثلا حين يشتد النضال لارساء الاسس الديمقراطية وبناء مؤسساتها الدستورية والمدنية في المجتمع, يقولون ما معناه:

لسنا بحاجة الى الديمقراطية وهي بدعة غربية, فنحن نملك نظاما ذا اصالة واكثر ديمقراطية, وهو (نظام الشورى) الاسلامي, ويأتون بالآية القرآنية (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) او آية (وأمرهم شورى بينهم).

لكي يطلع القراء الكرام على (نظام الشورى) وجذوره التاريخية في الاسلام, احاول ان اعرض مجالاتها التطبيقية في الحياة السياسية والاجتماعية قبل الاسلام وبعد وفاة النبي (ص) وانقطاع الوحي, وهنا نرجع الى الاصل التأريخي لـ (نظام الشورى) قبل الدعوة الاسلامية في الجزيرة العربية وبعدها حيث استفاد منها الاسلام مثل كثير من الانظمة في المجالات السياسية والاقتصادية والحربية.

كانت القبيلة العربية قبل الاسلام وحدة اجتماعية وسياسية, تتكون من (السيد او الشيخ) و (مجلس الشورى) ويضم المجلس الاصلاء النسب والبالغين سن الاربعين وان يكونوا ميسورين, في هذا المجلس يتشاور اعضاؤه

في كل الشؤون بحرية وصراحة, لكن آراءهم كانت استشارية وغير ملزمة لشيخ القبيلة, فله ان ياخذها او يتركها جانبا, وله ان يتبنى رأي الاغلبية او الاقلية او يرفض كليهما ويستقر على رأيه, وهناك امثلة ووقائع تأريخية كثيرة ونشير هنا الى كتاب (أيام في الجاهلية) لـ (محمد احمد جاد المولى وآخرون), وفي جميع الاحوال يتحمل شيخ القبيلة مسؤولية القرار.

أما الشورى في الاسلام فقد احتفظت بخصوصية (اللا الزامية) الواضحة في الآية القرآنية (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله), فالخطاب في آخر الآية موجه الى الرسول (ص), اي اذا استقر رايك على امر بعد مشاورة صحابتك فتوكل على الله فقط وقم بالعمل, وبهذا المعنى جاء في تفسير القرطبي.

بهذا التفسير القديم لتلك الآية والذي يتفق مع كنه الشورى وجذرها التأريخي طبقها كل من ابي بكر وعمر, وهناك امثلة كثيرة تعود الى فترة ما بعد وفاة النبي وبخاصة فترتي خلافة ابي بكر وعمر, ينقل الشيخ خليل عبدالكريم في كتابه (الجذور التأريخية للشريعة الاسلامية) أربع حالات نجد فيها ان الخليفتين الراشدين (ابابكر وعمر رضي الله عنهما) قد استشارا كبار الصحابة من المهاجرين والانصار عملا بنظام الشورى المتبع, ولكن في حالتين تمسك ابوبكر برأيه رغم اجماع الصحابة على خلافه وعلى راسهم (عمر وعثمان وعلي)[1] , وفي الحالة الثالثة اخذ عمر برأي واحد من الصحابة وهو عبدالرحمن بن عوف وترك اجماع الباقين, اما في الحالة الرابعة فهكذا كان الموقف: [2].

في مسألة (تقسيم أرض السواد) التي فتحت في العراق استشار الخليفة عمر الصحابة في امرها, فانقسم الصحابة الى فريقين: الاول راى ان تجعل ارض السواد غنيمة, فيكون الخمس منها للدولة والباقي تقسم على جنود الفتح, بينما راى الفريق الثاني وعلى راسه علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل ان تصبح تلك الاراضي موقوفا على المسلمين من الاجيال الحالية والقادمة, فاختار الخليفة عمر راي الفريق الثاني مع ان الفريق الاول كانت حجته قوية

فالقرآن يؤيدهم, كما ان الرسول طبق ذلك على ارض خيبر حيث احتفظ بالخمس وقسم الباقي على المشاركين في الغزوة, فقال عمر في جوابه حول الموضوع:

(فكيف بمن يأتي بعدكم من المسلمين فيجدون الارض قد اقتسمت بمن عليها وحيزت ارثا عن الآباء؟) انظر كتاب (من تأريخنا-محمد سعيد العامودي-العربية السعودية-ص٢٤).

(الشورى) وثيقة الصلة بسياسة الحكم وهي من امور الدنيا مثل البيع والايجار وغيرها من المعاملات او الانظمة المدنية التي اوجدتها الشريعة الاسلامية عن طريق الكتاب او السنة, وروعيت فيها انها محدودة وحسب واقع المسلمين زمن الرسول, وبمضي الزمن تعقدت الامور, ووجد المسلمون ان مقتضيات عصرهم ووضعهم في المجتمع الدولي وعلاقاتهم بغيرهم من الامم, كل ذلك فرضت عليهم اقالة واستبعاد بعض الانظمة بهذا التبرير او ذلك, على سبيل المثال (نظام الرقيق), حيث وقعت الدول الاسلامية على اتفاقية تحرير (الرقيق او العبودية), مع العلم ان موضوع الرقيق جاء في القرآن عشرات المرات وفي جميع كتب الفقه وفصلت احكامها, وكذلك (نظام تقسيم الغنائم) و (تحريم التصوير) و (تحريم سفر المرأة الا مع ذي رحم), وكذلك اختفت من حياة المسلمين انظمة اخرى مثل (المباهلة) و (الظهار), ... و ... .

فتبين ان ليس كل الانظمة المدنية التي جاءت بها الشريعة قابلة للتطبيق على مر العصور ومع توالي التطورات غير المتوقعة وقت نزول الوحي, مع التأكيد على ان تلك التطورات انما تشمل الفروع, اما الاصول والثوابت وهي العقيدة والاخلاق والعبادات. فلم تجر عليها أية تغييرات, يقول الشيخ خليل عبدالكريم في كتابه (الجذور التأريخية للشريعة الاسلامية-طبعة ١٩٩٠-القاهرة):

﴿الشورى ليست اصلا من اصول الاسلام او ثوابته, ومن ثم اذا وجد المسلمون نظاما جديدا يحقق مصالحهم ولا تتصادم مع الاصول او الثوابت في

شريعتهم فلا بأس من الاخذ به بل هو في اعتقادنا تأكيد لشريعته التي ما انزلت الا لتحقيق مصالح العباد﴾.

ان فهم الخليفتين ابي بكر وعمر للشورى, يتفق مع التفسير الامثل والاصح للآية المذكورة, ولعل هذا هو ما دفع باثنين من رموز الحركة الاسلامية في مصر الى التأكيد على (الالزامية الشورى) وهما [٣] سيد قطب ومحمد متولي الشعراوي, حيث يرى الشعراوي: (ان الشورى لا تلزم الحاكم الذي بايعته الامة الاسلامية بيعة ايمانية, وانه يتحمل الامر باكمله ويكون مسؤولا عنه امام الله وامام الرعية) [٤].

فانجلت مما ذكرناه حقائق ومفاهيم كانت غامضة, فاصبح من السهولة ان نوجزها في النقاط التالية:

١) ان الشورى (الالزامية) للحاكم, فله مطلق الحرية في الاخذ بها او رفضها, في حين ان الديمقراطية تقوم على ركيزتين: راي الشعب لا النخبة أو أهل الحل والعقد, الزام الحاكم بما ينتهي اليه راي الشعب.

٢) ان الشورى كانت للنخبة من متقدمي الصحابة ومتنفذيهم على الرغم من وجود عشرات من متوسطي وصغار الصحابة, هذا عدا باقي افراد جمهور المسلمين (العامة أو سواد الرعية), حين لم نقرأ أن خليفة (راشدا أو غير راشد) استشارهم ولا قدح في ذلك, انه (نظام الشورى) والذي يكتفي باستشارة النخبة, وكان ذلك النظام متناسقا مع ذلك الزمان, هذا هو الفرق الجوهري بين (الشورى) والديمقراطية, ومن ينكر هذه الحقيقة يقف ضد الاصول التأريخية وطبيعتها.

٣) اننا لم نقرأ في كتب التأريخ الاسلامي ان خليفة او واليا تم تنصيبه عن طريق الانتخاب الحر المباشر لسواد الشعب, وليست البيعة انتخابا باي وجه من الوجوه بما فيها (البيعة العامة), فـ(البيعة الخاصة) تقوم بها النخبة و (أهل الحل والعقد), ثم يأتي دور (البيعة العامة) في المسجد الجامع للمدينة, ويعتبر سكوت الحاضرين رضاء

ضمنيا, أعود مرة اخرى واقول ان نظام الشورى كان ملائما لمجتمع تلك االعصور, ومجتمعاتنا الحاضرة تختلف كليا عن خصائص المجتمعات القديمة.

٤) من باطل الاباطيل ان يدعي البعض ان الشورى هي (الطبعة العربية او الاسلامية لـ (الديمقراطية) أو (الديمقراطية هي الوسيلة العصرية للشورى), لان كنه وجوهر النظامين يؤكد انه ادعاء فارغ وخلط للاوراق, لان الديمقراطية سبقت الشورى بقرون عديدة عند (اليونانيين), فكيف تكون وسيلة عصرية للشورى, وان مقومات الشورى لاتأبه للقاعدة الجماهيرية وكذلك فان الشورى (لا الزامية) للحاكم.

٥) وكذلك من باطل الاباطيل ان يقال: ان ما ورد في الآية (٣٨) من سورة الشورى (وامرهم شورى بينهم) إلزام بالشورى, فهذا الشطر من الآية المذكورة جاء وصفا لفريق من المؤمنين وهم الانصار, والى هذا الراي ذهب عدد من المفسرين الاعلام امثال (محمد جزي الكلبي – التسهيل لعلوم التنزيل), والزمخشري والقرطبي وعبدالله النسفي, وهؤلاء الاربعة من اكابر المفسرين.

وهنا لابد ان نؤكد ان نزع جزء او شطر آية عن سياقه التأريخي العام للوصول الى حكم يتمناه المفسر لحاجة في نفس يعقوب, فهذا هو التفسير بالهوى المذموم من السلف والخلف [٥], ومن اعراض ذلك النوع من التفسير (تجاهل اسباب النزول) و (تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها واسباب نزولها [٦], وحتى مع التسليم بصحة التفسير المغرض ذلك فان الآية تعني تحبيذا للمشاورة والشورى المعروفة وقت نزول الآية.

يقول مؤلف كتاب (الجذور التأريخية للشريعة الاسلامية:

(سبب آخر يدعم دعوتنا الى اقالة الشورى وتجاوزها واحلال الديمقراطية محلها هو الطغيان السياسي لغالبية حكام العرب والمسلمين

وبطانتهم.., التمسك بالشورى بحجة انها النظام الاصيل وبالمقابل الهجوم على الديمقراطية لانها دخيلة او زنيمة مستوردة – يساعد على تجذير الطغيان السياسي).

ومن الطرافة, ان المسلمين في العصور الاسلامية اخذوا من الحضارات والدول الاخرى المعاصرة لهم امورا كثيرة ولم يجدوا عارا او قدحا في ذلك, فمثلا اخذوا من الفرس انظمة الدواوين والوزارات .. ولاية العهد .. تنظيم البريد .. تقسيم الاراضي, الا ان بعض المسلمين في هذا العصر المتقدم جدا يستنكفون ان ينسجموا مع معطيات العلم!!

المصادر:

- نبذة من كتاب (الجذور التأريخية للشريعة الاسلامية) للشيخ خليل عبدالكريم, طبعة القاهرة, عن (دراسات اشتراكية), دمشق–١٩٩٢.

١) اخرجه ابن عساكر (ج/١ص ١٢) نقلا عن كتاب (حياة الصحابة).

٢) اخرجه الطبري ج/٤ص ٨٤ نقلا عن المرجع السابق, انظر كتاب (من تأريخنا) لـ (محمد سعيد العامودي).

٣) سيد قطب (في ظلال القرآن) ج/ الاول ص ٥١٢ , الطبعة الشرعية / ١١.

٤) (الشورى والتشريع في الاسلام), محمد متولي الشعراوي, ص ١٧ / القاهرة.

٥) د. محمد حسن الذهبي (التفسير والمفسرون) ج ١ ص ٢٥٤ / مصر.

الواحدى النيسابورى , ت ٤٦٨ هـ (اسباب النزول) ص ٤ , گبعه ١٩٨٦, مؤسسه الحلبى / القاهره.

﴿ المسيحيون في ظل الدولة الإسلامية ﴾

في هذا المقال ادمي جروحا مضى على نزفها سنوات غابرة, والله اعلم بدواخل النفوس وانا لا اقصد من وراء ذلك طعنا او استخفافا بالدين (اي دين), وكل ما اريده هو نبذ العداء الديني والمذهبي والقومي, وان يكون الإنسان العراقي واعيا ونظيفا من ادران الجهل والتعصب والعدوانية, جاعلا من أحداث التاريخ تجارب ودروسا لحاضره ومستقبله.

أيها القارئ الكريم:

انظر كيف يكتب رجل دين مسيحي في عصرنا حين يؤرخ حياة المسيحيين تحت حكم الدولة الإسلامية, وكيف ينصح إخوانه المسيحيين في أيامنا هذه بترك التعصب الديني, الأب (البير أبونا) يقول في كتاب تأريخ الكنيسة الشرقية (الطبعة العصرية / ١٩٧٣):

﴿ لا ينبغي التسرع في الحكم على هذه الإجراءات التعسفية التي كانت وليدة نفسية خاصة وفترة من التعصب الديني الذي تكرر أحيانا في التاريخ لا سيما في عهد المغول والعثمانيين. الم يستخدم الأمراء المسيحيون انفسهم في العصر الوسيط إجراءات اكثر صرامة ضد اليهود في أوربا, وفي إسبانيا ضد المسلمين؟ ﴾

طالت أيادي الإرهاب في العراق إلى إخواننا المسيحيين ومؤسساتهم الثقافية ودور عبادتهم في بغداد والمدن العراقية, مما أدى الى قتل وجرح كثير منهم وتشريد مئات العوائل والهروب بجلودها الى مدن كردستان او الى خارج العراق, من بين هؤلاء أطباء وعلماء وأساتذة جامعات ورجال دين, كما تهدم كثير من كنائسهم أو أصيبت بأضرار بالغة.

بغية تسليط الأضواء على راي الإسلام كدين معترف بالأديان السماوية, أو مؤسسة الخلافة كسلطة دينية سياسية, اكتب باقتضاب شذرات

من حياة المسيحيين في ظل الخلافة والدولة الإسلامية من بداية تكوينها وثم في العهود اللاحقة من الخلافة الأموية والعباسية.

أرسل النبي رسائل إلى ملوك وإباطرة روما وفارس والحبشة ودعاهم إلى الإسلام, ثم قام بتوظيف عادة أو طقس قديم وهي (المباهلة) مع مسيحيي (نجران), كانت المباهلة موجودة في الجزيرة العربية وبطقوس مختلفة, لترسيخ الثقة بين شخصين او طائفتين" تمارس عادة القسم بالمباهلة أي الابتهال إلى الله وجعله شاهدا (عدا شهود بشرية) على ذلك القسم.

في عهد النبي, مورس ذلك الطقس القديم للملاعنة الشرطية (المباهلة) بين المسلمين ومسيحيي نجران, والذين أيدوا الدعوة مقابل عهد أمان لهم(١).

الأصل القرآني للمباهلة هو آية (٥٤) من سورة آل عمران: ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾.

المؤرخون والمفسرون من الشيعة والسنة اجمعوا على ان هذه الآية تتعلق بالمناقشة التي دارت بين النبي محمد ونصارى نجران سنة ١٠ هـ , وان الاشخاص الخمسة الذين اشير اليهم في الآية هم (الحسن والحسين – أبناءنا)و (فاطمة – نساءنا)و (علي ومحمد – أنفسنا), ويذكر المؤرخون ان سلمان الفارسي ايضا كان حاضرا, وبموجب المباهلة سمح للنجرانيين بان يصلوا بصلاتهم تحت سقف مسجد النبي, عند مقبرة (البقيع), على (الكثيب الأحمر) الذي سمي لاحقا بـ (جبل المباهلة), أجريت مراسيم العملية.

هناك دلائل أكيدة على ذلك الاتفاق مع مسيحيي نجران سنة ١٠ هـ ومنها:

١- ان ذلك الاتفاق مع أهل نجران كان الوحيد الذي لم يكن من شأن محمد أن يبطله لانه شارك فيه ضامنون عاشوا بعده وحافظوا عليه.

٢- أثناء الردة" عارض مسيحيو نجران ان يشتركوا في الردة لانهم كانوا يشعرون دائما بأنهم مرتبطون تجاه خلفاء محمد بعد موته.

٣- حين أمر معاوية بلعن علي" رفض الصحابي (سعد بن أبي وقاص) ذلك اللعن لثلاثة أسباب, منها أن النبي أشرك (عليا) معه في (المباهلة). (صحيح مسلم / شرح النووي).

تعتبر المباهلة من بواكير المصالحة السياسية مع مسيحيي نجران والنموذج الأول للاميتازات التي يسرت للطوائف المسيحية من الدولة الإسلامية البقاء فيها طوال (١٣) قرنا مقابل دفع الجزية, جاء في احد التفاسير (٥١) رواية عن المباهلة, إلا أن بعضا من المؤرخين والفقهاء لم يتعمقوا في موضوع المباهلة نزولا عند رغبة الخلفاء الذين تعاملوا مع المسيحيين واليهود حسب أمزجتهم ونزواتهم الدنيوية, علما بان القبائل المسيحية في الجزيرة العربية زحزحت عن أوطانها وأسكنت في البلاد الإسلامية الأخرى مثل العراق والشام وبخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(٢).

بعد أن ترسخ حكم النبي في المدينة, أرسل رسائل إلى ملوك الحبشة ومصر وقيصر الروم وكسرى ايران ودعاهم الى الايمان بدين الاسلام, وكان جواب كسرى شديدا في رفضه الدعوة, واستقبل نجاشي الحبشة المسلمين الفارين من قريش كلاجئين ورفض تسليمهم الى موفد قريش (عمرو بن عاص), واستقبلت مصر موفد النبي بمودة وارسل للنبي هدايا منها (ماريا القبطية) التي اصبحت زوجة للنبي.

من أخبار المصادر المسيحية, ان رئيس الكنيسة الشرقية في بدايات الاسلام, ارسل هدايا ورسالة الى النبي, لكن وصول الوفد صادف وفاة النبي, فاوصل ما كان معه الى الخليفة أبي بكر, وتذكر مصادر مسيحية اخرى ان رئيس الكنيسة الشرقية كان يكاتب صاحب شريعة الاسلام ويهدي له ويطلب منه رعاية المسيحيين الموجودين حوله, وكان النبي برّا في جواباته وتعامله مع المسيحيين, ويذكر المؤرخ (المسعري), ان رسول الكنيسة الشرقية قد التقى أبا بكر وعمر بن الخطاب, وأخذ من الاخير العهد لدينه, وهناك نصوص لعهود موثقة بين النبي والمسيحيين" ننقل أدناه نصا سريانيا مترجما:

نسخة عهد سجل من محمد بن عبدالله عليه السلام لأهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في اقطار الارض.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم, هذا كتاب أمان من الله ورسوله للذين أوتوا الكتاب من النصارى من كان منهم على دين نجران أو على شيء من نحل النصرانية, كتبه لهم محمد بن عبدالله رسول الله الى الناس كافة, ذمة لهم من الله وعهدا عهده الى المسلمين من بعده, عليهم ان يعوه ويعرفوه ويؤمنوا به ويحفظوه لهم ﴾, وهناك نصوص اخرى إسلامية وسريانية بالمعنى والمقصد نفسه.

بعد وفاة النبي, صدرت عهود من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي, الا ان عمر لم يلتزم بعهد الرسول ولا عهده فيهم فأجلاهم عن نجران كما أجلى اليهود عن خيبر معتمدا على حديث منسوب الى النبي قاله وقت احتضاره (لا يجتمع في الجزيرة دينان), ويقال ان سبب إجلائهم يعود الى ان عمر ﴿ خافهم على المسلمين وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم ﴾ – ابو يوسف – الخراج – ص٧٤.

كانت الجزية مفروضة على المسيحيين منذ زمن عمر بمقدار (٤٨) درهما على الغني و (٢٤) درهما على المتوسط الحال و (١٢) درهما على الفقير وإعفاء المعدم والشيخ والطفل والمرأة والعبد والأعمى والراهب, مع وجوب استضافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة ايام.

عاش المسيحيون في ظل الخلافة الاسلامية بمختلف حكوماتها ظروفا مختلفة, كان القرآن والسنة مصدر اعتراف بدينهم, الا ان ذلك الاعتراف خاضع لنمط تفكير الخليفة أو الوالي, ويسمى المسيحيون أهل الذمة وللذمة مفهوم واسع قابل للاجتهادات الحسنة والسيئة.

ناشد قاضي القضاة أبو يوسف هارون الرشيد وهو يسأله بشأن أهل الذمة: (ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله ان تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن

عمك محمد (ص) وهكذا أمر سلمان الفارسي أمير المدائن بما يجب لاهل الذمة على المسلم(٣).

ينقل أبو يوسف في كتاب الخراج وصية النبي محمد للوالي (عبدالله بن الارقم), جاء فيها: ﴿ إلا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته او انتقصه أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة ﴾.

غير ان ابا يوسف الذي حث هارون الرشيد على الإحسان بأهل الذمة وذكر له وصايا الرسول وعمر – أوصى وهو فقيه الدولة الاول بمعاملتهم معاملة مجحفة فيقول: ﴿ ينبغي ان تختم رقابهم في وقت جباية جزية رؤوسهم ثم تكسر الخواتم, يجب ان لا يشبه احد منهم في لباسه بالمسلمين ولا في مركبه ولا في هيئته وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ﴾.

في مكان آخر ينسب ابو يوسف التشدد ضد أهل الذمة الى الخليفة الاموي الثامن (عمر بن عبدالعزيز), فمن وصاياه الى عماله بشأن أهل الذمة: (اما بعد...فلا تدعن صليبا ظاهرا الا كسر ومحق ولا يركبن يهودي ولا نصراني على سرج – الخراج – ص ١٢٨).

أوصى الإمام (أبو حنيفة النعمان) بمعاشرة أهل الاديان وعلى خلاف ما شرعته المذاهب الاخرى, أجاز أبو حنيفة دخول اهل الذمة الحجاز وحتى الكعبة على ان لا يقيموا فيها, وحتى نهاية الدولة العباسية كانت أحوال المسيحيين تحت أهواء الخلفاء والولاة والمحتسبين وبدون وجود ضوابط واضحة, فالخليفة او الوالي نفسه يهدم الكنائس ويأمر باعادة بنائها والمتشدد ينفذ فيهم أحكام عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز, وهذا ما تحقق بشدة على يد جعفر المتوكل سنة ٢٤٧ هـ. تنقسم الأحكام المطبقة على المسيحيين في ظل الخلافة على نوعين:

١- أحكام أساسية يباح بموجبها دم الذمي: تهجم بالأقوال على المسلمين او على القرآن أو على النبي, تشجيع المسلم على ترغيبه في ترك دينه, كل صلة بامرأة للزواج أو الفجور, مساعدة أعداء المسلمين.

٢- أحكام غير أساسية فهي: قرع النواقيس, تلاوة المزامير علنا, بيع الخمور والخنزير, عرض الصلبان أمام الأنظار, بناء أعلى من بناء المسلمين, الاحتفال العلني بالمأتم أو الأعياد, ركوب الخيل واستعمال السروج, اتخاذ القاب إسلامية, وجوب لبس الزنار الخاص بأهل الذمة, لبس العمائم.

كل هذه الاحكام جاءت في كتاب (أحكام أهل الذمة – لابن قيم الجوزية), ووصل الامر الى التمييز في النعال, وبالغ بعض الفقهاء في إهانة أهل الكتاب بمناداتهم بدياناتهم فيقال: (يا مسيحي أو يا صليبي أو يا يهودي أو يا اسرائيلي)(٤).

طلب في عهد الخليفة المتوكل من الجاحظ, تأليف كتاب ضد المسيحية, فألف كتاب (الرد على النصارى), يتهم الجاحظ مثقفي المسيحية واعيانهم بنشر كتب الفرق الاسلامية المعارضة بين المسلمين, ويقول الجاحظ انه لولاهم لتبقت كتب المعارضة وبياناتهم متداولة بين تلك الفرق انفسها فقط. طلب احد العلماء المسلمين وهو (محمد بن يحيى بن فضلان) في رقعته الى الخليفة (الناصر بالله) يحرضه فيها على تطبيق اجراءات سابقة في اهل الذمة أصدرها عمر بن الخطاب, واول من طبقها عليهم بشدة (المتوكل) وآخر من طبقها الخليفة (المقتدى), فعلق في أعناقهم الجلاجل ونصب الخشب على ابوابهم لتتميز بيوتهم عن بيوت المسلمين, لبس الثياب الداكن وشد الزنانير على اوساطهم وتعليق الصلبان على صدورهم, واذا ارادوا الركوب لا يركبون الخيل بل البغال والحمير.

كان الخلفاء والوزراء يحاولون كسب المذاهب السائدة والمهيمنة على العامة مثل المذهب الحنبلي أو الشافعي الشديدين على أهل الذمة, فتقرر عدم استخدام احد من النصارى واليهود الا في الطب والجهبذة (اي الخبرة وتمييز الجيد من الرديء) فقط.

اثبت المسيحيون وأهل الذمة عامة وجودهم عن طريق إتقان المهن التي ابتعد عنها المسلمون العرب منها بداية من الطب والهندسة والترجمة الى الصياغة والحدادة والزراعة وأعمال الخدمة المتنوعة الرفيع منها والوضيع(٥).

المصادر:

(١) المباهلة بين النبي ونصارى نجران – تأليف لويس ماسينيون – طبع في ميلان سنة ١٩٤٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كتاب (الأديان والمذاهب في العراق)، للأستاذ الدكتور رشيد الخيون.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

﴿ الأوطان المغلقة بين الرحمة والنقمة ﴾
أو
﴿ فلتكن أول دولة للفقراء على الأرض ﴾

قبل حدوث الانقلاب العسكري عام ١٩٨١ في تركيا, كان (مهدي زانا) محافظا منتخبا لمحافظة (ديار بكر) في عام ١٩٩١ وبعيد تحرره من السجن, أجرى تلفزيون تركيا لقاءً معه, أثناء هذا اللقاء خاطبه المذيع بسخرية واستخفاف قائلاً:-

لو انفصل الكرد عن تركيا فلا يتمكنون من إنجاز شيء-كما ويُحرمون من مساعداتنا وتعاوننا, ليس هذا حسب بل وانهم لا يستطيعون خياطة (شورت داخلي)!

فما كان من (مهدي زانا) إلا وان ردَّ على المذيع قائلا:- ((إذا دعونا سوف تصبح كردستان اول دولة للمعدمين والفقراء على الكرة الأرضية, وانطلاقا من هذا المستوى البسيط المتواضع سوف تبدا حياتنا شيئا فشيئا بالنمو والانتعاش نحو الأفضل-وتتقدم مسيرة شعب كردستان صوب الآفاق الأسنى نورا))

ان لهجة المذيع الساخرة يُستشف انه يقصد بها ان كردستان وطن مغلق وحبيس ليس له إطلال على سواحل بحرية او محيطية دولية-وانها لو لم تكن جزءا من تركيا لمات شعب كردستان جراء انحباسه, وقد يقصد المذيع ايضا نظرات دونية عنصرية تجاه الكرد! انني مطمئن من ان وضع كردستان الجغرافي ذلك قد ألقى بظلال نفسية سلبية على مجمل الحركة التحررية الكردية وجماهيرها في دول التقسيم, وان ذلك الوضع-اضافة الى عوامل اخرى-أدى الى مساومات اضطرارية, بل انتكاسات في بعض الثورات.

شاء قدر الهيمنة العثمانية والإيرانية والاستعمارية الأوربية ان تقسم كردستان على تلك الدول, وان تجعلها وطنا حبيسا مغلقا, وان يحرم شعبها من حق تقرير المصير بل وحتى من حق التعليم بلغة الام في بعض دول التقسيم, ان تخطيط حدود دول منطقتنا تم من قبل الدول الاستعمارية المهيمنة على المنطقة اثناء وبعد الحرب العالمية الأولى وحسب مصالحها الآنية والمستقبلية.

من البديهيات التي لا غبار عليها ان المصالح الاقتصادية وتشابكها وراء اكثر الحروب الإقليمية والكونية, إضافة الى العوامل الأيديولوجية ((كالدين والمذاهب والأيديولوجيات الأخرى)), ان تزايد الدول واستقلال الأقاليم ((نتيجة التحرر او التفاوض او الاستفتاء)) هو السمة الأكثر بروزا في النصف الثاني من القرن العشرين والى يومنا هذا.

ان توزيع دول العالم يمتاز بعدم الانتظام والتناقض في كثير من العناصر التي تمتلكها الدول, ان ذلك التباين في العناصر المكونة للدول قد خلق مشكلات عديدة لها-ساهمت وتساهم في تأجيج الصراعات والحروب, ان وجود دول مكتفية ذاتيا في كل عناصرها حالة قلما نجدها في أي كيان على الكرة الأرضية.

إن اهتمام الجيوبولوتيكيين يتركز على ما يتركه (الموقع) من نتائج على قوة الدولة وقدرتها على الحركة واتخاذ القرار بعيدا عن تاثير قوى خارجية, واحد انواع المواقع التي يهتم الجيوبولوتيد بدراستها هو موقع الدولة من الماء واليابسة.

لكننا نجد دولا كثيرة في العالم لا تمتلك اية إمتدادات على البحار والمحيطات الدولية والتي تسمى (الدول الحبيسة او المغلقة) أو (القارية), وهناك كثير من الدول تتصارع من اجل الحصول على واجهة بحرية حتى لو كانت ضيقة, ان

الطبيعة الجغرافية للدول المغلقة تفرض عليها ان تكون علاقات حسنة مع الدول المجاورة لها- وحتى وان كان ذلك في بعض الأحيان على حساب قرارها السياسي, وقد يسعى بعض تلك الدول الحبيسة إلى إقامة أحد صيغ الاتحاد مع إحدى الدول ذات الإطلالة على البحار كما هو الحال في اتحاد دولتي (مالي وسنغال).

ان الدول الحبيسة في العالم تنظم علاقات حسن الجوار وتكيفها مع دول الجوار, وفي جميع الميادين الحياتية-وحتى يدخل بعضها في صيغ اتحاد مع بعضها (كما اشرت إليها آنفا), إلا إننا نرى ان الدول التي قسمت بينها كردستان تستغل وضعها الجغرافي المغلق لخنق شعبها وحرمانه من جميع الحقوق.

ادناه نلقي نظرة سريعة على الدول المغلقة في العالم وعدد سكانها ومساحة أراضيها, وعند ذاك يتبين لنا بجلاء الى أي مدى تتفاهم الشعوب والدول فيما بينها, والى أي مدى تحاول دول التقسيم استغلال انغلاقية كردستان وعوامل أخرى لاستعباد شعبها بل تصفيته, والأنكى من ذلك هو تجمع دول التقسيم ضمن تحالفات او اجتماعات دورية غير إنسانية لخنق الشعب الكردي, في حين ان تلك الدول لا يجمعها عامل سوى معاداة الشعب الكردي-بل ان العداء المتجذر هو السمة الأوضح في علاقاتها!

إن الدول الحبيسة تشكل حاليا رقما لا يستهان به, إذ توجد (٢٤) دولة حبيسة في العالم (إحصاء عام ١٩٨٤) تتوزع على قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية كالآتي:-

في قارة آسيا (٥) دول, في أفريقيا(٨) دول في أوروبا (٩) دول, في أمريكا اللاتينية (٢) دولة, وإجمالا:-

يبلغ مجموع مساحات الدول الحبيسة (١٢) مليون كيلو متر مربع وهو رقم يفوق مساحة الولايات المتحدة والصين, ومجموع أعداد سكانها يصل الى اكثر من (١٦٦) مليون نسمة.

أخيرا شاء القدر الإلهي ومن حسن حظ شعوبها ان تكون الدول الحبيسة أعلاه بعيدة عن منطقتنا المضرجة بالدماء والمثقلة بالتعصب الأعمى-وإلا لكانت الحروب المدمرة دائمة بدون انقطاع!

*****

﴿ من يحاور من ؟ ﴾

نشرت الاتحاد يوم ١٩٩٨/٥/١٦ في زاوية (رأي حر) مقالا للأخ عبدالله قره داغي حول الحوار الداخلي (الحكومي – الكردي)، انني مع ما جاء في المقال" الا ان هذا لا يمنعني من ان اضيف افكارا اخرى ابتغاء وضوح اكثر. وبما ان الاتحاد ذيلت المقال بان الجريدة تفتح صفحاتها لمختلف الأفكار والاستماع الى الرأي الآخر" فقد اداليت بدلوي في هذا الموضوع وبإيجاز.

لايماني بان حرية الراي والنشر ستسد ابواب الدسائس في الظلام، وان الحرية ديدبان وحارسة الثورة الأمينة كما يقول الأستاذ مسعود محمد، وان مسألة المفاوضات مع الحكومة هي قضية كرد العراق، ولهم الحق كل الحق في الخوض في مناقشتها والغوص في اغوارها. تنشر اخبار وتصريحات هنا وهناك، يصب كلها في رافد واحد وهو الحوار (الحكومي – الكردي)، أي من تلك الاخبار لم يعلنها أي حزب كردستاني بل اما بثها عراب الدبلوماسية العراقية السيد طارق عزيز او جرائد ووكالات انباء مرتبطة بشكل او بآخر بالنظام العراقي.

اكاد اذعن بان بزوغ روح الحوار بعد الحرب العالمية الثانية في منطقتنا الشرق اوسطية تجلى في حرب العرب مع اسرائيل سنة ١٩٧٣ ووصول القوات الاسرائيلية الى نقطة ١٠١ كم من القاهرة، واعقبت تلك الاحداث الدرامية اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام بين اسرائيل والاردن واتفاقيات (اوسلو) بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي انجزت وراء الكواليس بعيدا عن الأضواء والاعلام. لكي أؤكد للقارىء الكريم مدى ايماني واحترامي لروح الحوار والتعايش بين الشعوب، فأقول:

بالحوار... وبالحوار فقط استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية المجبرة على العيش في (تونس) ان تعود الى فلسطين وتؤسس إدارة ذاتية اكثر قوة ونقاء بالف مرة من حكمنا الذاتي الذي يتباهى العراق بمنحه الشعب الكردي سنة ١٩٧٤, وبفضل الحوار وتداعياته العقلانية يهدد الاخ ابو عمار هذه الأيام بأنه سيعلن تأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة من جانب واحد, وبفضل الحوار عادت منطقة (طابا) الى السيادة المصرية... و ... و ... .

لنعد الى الحوارات الماضية بين الحكومات العراقية والحركة التحررية للشعب الكردي, ان قيادة الحركة الكردية كانت سباقة دائما الى اجراء الحوار والمصالحة العراقية, كانت نتائج الحوارات تنصل الحكومات العراقية المتعاقبة عما وعدت بها" ليس نكوثها فقط بل بدؤها بتعبئة الجيش العرمرم والهجوم على كردستان وحرق الحرث والنسل فيها.

لو القينا نظرة سريعة على اكثرية الحوارات الناجحة في العالم والمؤدية الى اتفاقات دائمة للسلام والتعايش لتثبت لدينا إنها تمت:

أ) اما خارج وطن المتحاورين.

ب) او مع جود طرف ثالث ضامن" او على الاقل شاهد.

ج) مع وجود استعداد كامل للطرفين على الحوار والاتفاق وبدون شروط مسبقة.

د) وكان المتحاوران مدعومين من شعبيهما وبارادة واحدة.

لنرى على ضوء ما ذكرناه آنفا ما الذي يدور في كردستان:

اولا: ان اكثرية الحوارات والاتفاقات السابقة (الحكومي – الكردي) بدات وتمت باساليب سرية, وان القيادات الكردية اخفت امر المفاوضات من قاعدتها وحتى من بعض قادة حزبها فكيف من الشعب! ان كانت هناك مبررات في الماضي فلا يوجد في ايامنا أي مبرر لتهميش الأحزاب وجماهير الكرد الواعية.

ثانيا: ان جميع الحوارات والاتفاقات تمت داخل العراق واكثريتها في الأروقة والدهاليز الحكومية ولا وجود لطرف ثالث ضامنا وشاهدا.

ثالثا: ان اي حوار سيبدأ وعلى ما صرح به السيد طارق عزيز – مع كرد العراق يثير هذا السؤال بإلحاح:

من يحاور من؟ فكرد العراق ليست لديهم إرادة او مطاليب واحدة لحل قضيتهم هذا من جهة, ومن جهة أخرى فالقيادة العراقية لم يطرأ على أفكارها وآرائها أي تغيير (على ما هو بين للشعب العراقي)" بل زادت شدة وتوسعا في برامج الترحيل والتهجير, وليست مستعدة للتنازل قيد شعرة للتعددية والديمقراطية. والتعايش بين مختلف القوميات والمذاهب في العراق.

رابعا: لو يفكر الحزبان (أوك) و (حدك) انهما يستطيعان الحوار مع السلطة وفي وضعهما الحالي المزري ان يناورا ويكسبا الصراع لصالحهما– ولا اقول لصالح الشعب – " فأنا اذكرهم فقط ببيان (١١ آذار ١٩٧٠) والسنوات الأربع العجاف (١٩٧٠ – ١٩٧٤) وكيف اصبح كثير من الاجهزة الحزبية والحكومية المحلية وحتى بعض من الكوادر العليا ألاعيب بيد السلطات الاستخبارية, وكيف كانت السلطات اشترت ذمم كوادر وكثير من رؤساء الوحدات الإدارية بثمن بخس, وكيف أصبحت الإدارة الكردية خواء بدون ارادة وروح كردية!

لو حاور حزبان متخاصمان" خصما ثالثا لكليهما" خصما يملك الثروة والشرعية الدولية, يملك جيشا ومؤسسات ضليعة متمرسة في القهر والتمييع – فكيف ستصبح مسالك الامور حينذاك؟

فالصورة المستقبلية لحوار في هذا الظرف الكردي المشين صورة باهتة مغبّرة, لا يرى فيه أي بصيص من الأمل, فلا مناص للحزبين المتخاصمين من العودة الى (خيمة شهداء كردستان), فهناك ستكون لهما ارادة

واحدة وخطاب واحد لإجراء الحوار او تعليقه, فبدون تلك العودة ستغرق السفينة بركابها وملاحيها.

فأي حوار لا يكون خارج العراق وتحت مظلة دولة ثالثة او مظلة UN وبإرادة كردية واحدة وباشراك الأحزاب الكردستانية وبمطالب ليست بأقل من الفيدرالية لكردستان وبإلغاء جميع الإجراءات التعسفية والعنصرية ضد شعبنا وبدستور دائم يضمن حقوق شعبنا – نعم اي حوار بدون ما ذكرناه يعتبر وكما اعتقد باطل الأباطيل وقبض ريح.

اقول هذا فان الحوار (العربي – الكردي) الجاري حاليا في مصر لا يمت الى موضوعنا هذا بصلة.

﴿ رسالة إلى الرئيس معمر القذافي ﴾

عندما عرض على حزب كردستاني ترجمة (الكتاب الأخضر) للرئيس معمر القذافي–طلب مني ذلك الحزب توجيه رسالة شخصية الى سيادته كمترجم للكتاب مبينا فيها مشاعر شخصية تجاه الكتاب وتجاه سيادته فقبلت بعد ان اكد ذلك الحزب إيصال الرسالة مرفقا بها كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين)لمؤلفه ملا عبدالكريم المدرس كهدية شخصية, فكتبت الرسالة ادناه كما اكد لي الحزب إيصال الرسالة والكتاب المرفق.

من يسبح ضد التيار يصل النبع الصافي

لم يتح لي الاطلاع على (الكتاب الأخضر) الا بعد ان عُرض علىّ لترجمته الى اللغة الكردية, فوجدته معينا صافيا من الشوائب والمنغصات الحديثة منها والقديمة, لقد سبحتَ ضد التيار ووصلتَ إلى النبع الصافي من القيم البهية التي خلقتها ومازالت تخلقها الأجيال البشرية.

١–لقد انبهرت كثيرا حين قرات الموضوع الخاص بالقومية, في الوقت الذي اصبح العالم قرية كونية متقاربة, وإن عناصر جديدة (قديمة في الوقت نفسه) تصبح مكونات للهوية الإنسانية, إلا أن (الكتاب الأخضر) يصرّ ويؤكد على ان الهوية القومية هي الاساس الاجتماعي والطبيعي للانسان.

لقد نرى نحن الكرد في (الكتاب الاخضر) هالة نيرة وكثيرا من ضالتنا المنشودة, حيث ان شعبنا محروم ليس فقط من الاعتراف بالهوية القومية, بل محروم حتى من حق الحياة.

٢–لقد انبهرت كثيرا بحديثك عن الارض (رغم اننا محرومون من حق امتلاك بقعة نسميها الوطن) وكل ما اقوله هنا هو حديث عمر بن الخطاب (رض), انقله هنا للذكرى (والذكرى تنفع المؤمنين):–

كان الخراج عُشر حاصلات الارض التي اسلم اهلها من ارض العرب والعجم, راى فريق كبير من القادة العسكريين واصحاب الرسول (ص) ان تقسم اراضي البلدان التي فتحها المسلمون على المجاهدين باعتبارها من الغنائم, فأبى عمر بن الخطاب (رض) ووقف وقفته الخالدة, والتي دلت على منتهى الحنكة وبعد النظر, لقد تحدى عمر بصرامة كبار اهل الحل والعقد من اصحاب الرسول وقال:- (فكيف من ياتي بعدكم من المسلمين فيجدون الارض قد اقتسمت بمن عليها وحيزت إرثا عن الآباء, لقد رايت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسرى, وارى ان احبس الارضين بعلوجها واضع عليهم الخراج)

٣-لقد انبهرت بما سمعت من العائشين في وطنكم, إن ما جاء في الكتاب الأخضر قد ترجم كثير منه الى صروح شاخصة من المكاسب الجماهيرية ومازال يترجم لخلق (النموذج المحتذى), فالسفر إلى الينابيع ليس للشرب فقط وانما لاكتشاف اكثر تجذرا وبهاء.

فبدون خلق (النموذج المحتذى) ستبقى النظريات والايديولوجيات (عدا الأديان) كلمات مجردة, بل ان خلق النموذج والادعاء بالاحتذاء غير كاف, اذ راينا بام اعيننا كيف ان النموذج المحتذى الذي كان عمره اكثر من سبعين سنة قد تداعى, لانه لم يكن النموذج المحتذى كما يدعون وكما يؤدلجون, فأتمنى ان تكون جمهوريتكم النموذج المحتذى للشعوب, وان تكون دائما في طور الانبعاث والتجدد.

٤-أُقدِم الى مقامكم الكريم هدية متواضعة وهي كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) لمؤلفه عبد الكريم المدرس) وهو اعلى حجة دينية في الحضرة الكيلانية ببغداد.

*****

رسالة إلى السيدين البارزاني و الطالباني

﴿ صرخة بوجه القطيعة ﴾

القضاء ومنظومته الإجرائية في المجتمعات المتحضرة أعلى سلطة في البلد. فكم كان رائعا ومبكيا لنا ايضا حينما سمعنا من وسائل الإعلام ان رئيس الوزراء في بلد شرق أوسطي (إسرائيل) سيق الى الشرطة للتحقيق معه حول تعيينه مسؤولا كبيرا في المؤسسة القضائية بأمل تغطية مخالفات قانونية ارتكبها احد اقارب رئيس الوزراء- رئيس وزراء شرق اوسطي يقف امام ضابط شرطة للتحقيق!! وعندنا قال احد شعرائنا في عهد الملك محمود الحفيد موجها خطابه إليه بالذات:

الملك في هذا العصر كملك الشطرنج

فاعلم إن السلطان الوحيد هو القانون

لا اقصد هنا مقارنة حالتنا الكردستانية البائسة بشعوب ذات كيانات مستقلة- بل ما اريد هنا ان اثيره هو ان الحرب الداخلية لدينا قد شوهت كل شيء مشرق , والانكى من جميع مخلفات تلك الحرب اللعينة هي القطيعة بين جزئي كردستان العراق في مجالات الصحة والتربية والقضاء والثقافة والفنون, فالصورة بائسة محزنة حينما نرى (حربنة) تلك المجالات الحيوية وتسييسها وتسميم جيل كامل بثاليوم الضغينة والثأر. أتناول هنا جانبا من القضاء (وليس القضاء كله) كمثال بسيط على هول الكارثة التي حدثت بشعبنا الكردي.

حين يصبح القانون عقيما

يلجا الناس في منازعاتهم وخصامهم حول الديون والإرث و...و...الى المحاكم في السليمانية مثلا, وغالبا ما يوكل احد المحاميين, فالمحامي– رغم علمه المسبق بمصير القضية وانحساره في درب مسدود – يديف لموكله زبد الوعود في عسل الكلام, (كما يقول الجواهري) ويبشره باحقية قضيته وحتمية نجاحه في كسب الدعوى, لا ضير هنا فطبيعة عمل المحاماة تتطلب ذلك, هنا استميح من السادة المحامين عذرا, فان الوضع السياسي في الاقليم اوقعهم في اشكالات كثيرة وتلكأت مهنة المحاماة ايضا!

هناك عشرات الدعاوي في المحاكم نجح المدعون او محاموهم في كسب الدعوى. قرر الحكام المختصون احقاق الحق – الا ان الخاسرين في القضايا وإصرارهم على إنكار حقوق الآخرين يلوذون بمحكمة التمييز (وربما بارشاد محاميهم), هنا تبدأ الطامة الكبرى...لان بعض اعضاء محكمة التمييز في الاقليم يسكنون في السليمانية أو اربيل , او يكون الحاكم الاول عضوا في محكمة الاستئناف ايضا, فلا يجوز عندئذ النظر في استئناف قرارات كان اصلا مقررها.

اعلم ان وضعنا القضائي مرتبط بوضعنا الدستوري العام الا ان (الامر الواقع) الذي اسسنا بموجبه مؤسساتنا لادارة الإقليم يتطلب مرونة واجتهادات جريئة لصالح العام من لدن رجالات القضاء والسياسة واحقاقا للحق وازهاقا للباطل.

قبل احداث ٣١ آب تجذرت القطيعة بين جزئي كردستان – تعالج تلك الحالات اما بارسال الاضابير التميزية الى اربيل او يوفد حاكم مختص الى السليمانية لتصديق او نقض القرارات, اما منذ ٣١ /آب/١٩٩٦ فتراكمت عشرات الدعاوى لدى قلم محكمة التمييز في السليمانية تنتظر حلا, ومن الطبيعي ان الصورة هذه تتكرر في اربيل ودهوك للسبب نفسه (وكما تصوره).

ان رجال السياسة من جميع الأحزاب العلمانية في الإقليم والوجوه الاجتماعية والمثقفين ورجال الدين المصلحين يؤكدون باستمرار على تأهيل الناس وتعويدهم على اللجوء الى القانون لحل مشاكلهم ونزاعاتهم الشخصية, والا يعتمدوا على استخدام العنف, ان غالبية الذين يراجعون المحاكم لحل نزاعاتهم ما هم الا اناس ناضجون يفضلون الحسم بالقانون على الحسم بالعنف. فاذا كان مصير مئات الدعاوى القضائية مصيرا ميئوسا منه- فلا شك ان تلك الحالة ستؤدي – ان عاجلا ام آجلا – الى خلق نزاعات دموية تضاف الى الصراعات السياسية الدموية الأخرى.

ان القيادات السياسية في الحزبين الرئيسيين مدعوون الى كلمة سواء بينهما وهي المصلحة العامة لشعب كردستان, مدعوون الى التنازل عن نتف من عدائهم تجاه الآخر – كأضعف الايمان – مدعوون الى مبادرة جريئة بتوحيد وزارات الصحة والقضاء والتربية, لان تلك الوزارات متجذرة في كل اسرة وذات مساس بكل فرد في كردستان.

فحين ذاك تستطيع القيادات التكنوقراطية الدنيا خلق قنوات اتصال وتنسيقا وتبادلا للخبرات المتراكمة لديها لحل مشاكل الناس في تلك الوزارات.

خير مثال على ما ذكرناه هو: في الفترة الواقعة بين مايس ١٩٩٤ و ٣١/اب/١٩٩٦ كانت قنوات التنسيق في مجال التربية قائمة, وادى ذلك البصيص من الانفتاح في حينه إلى عدم تجزئة التربية والقبول في الجامعات خلال سنتين دراسيتين. ان مصلحة شعب كردستان فوق كل التغيرات التي طرأت أو تطرأ على موازين القوى في الإقليم فالبادئ بمبادرة كهذه اكثر فضلا وشعورا بالمسؤولية.

*****

إلى الأستاذ هادي العلوي:-

﴿ شواطئ السياسة أم لجج البحار؟ ﴾

نشر احد الكتاب في شهر تشرين الاول / ٩٩٢ وفي جريدة (كوردستاني نوآ) مقالا بعنوان (الى هادي العلوي...), في المقالة كشف لعمليات مصرفية ومقاصات للديون" والديون هنا ليست ارقاما بمبالغ دائنة ومدينة بل ديون لمواقف سياسية وانسانية في فترات حساسة مرت على شعبنا الكردي وهو يعاني من همجيات تترية منظمة لتصفية وجوده وتاريخه وحضارته, في تلك الفترات راينا القيم الدولية تتعفن كما تتعفن الأجساد, ياتي الكاتب الفاضل بمواقف بعض الشعراء والمفكرين العرب امثال (محمود درويش) و (هادي العلوي) تجاه مأساة شعبنا, الا انهم ويا للأسف تراجعوا باساليب مختلفة, كان هادي العلوي بين القلة من المثقفين العرب حين صرخ بوجه دكتاتور العراق فاستنكر استخدام الاسلحة الكيميائية في كردستان العراق وبخاصة في مدينة (حلبجة) ونشرت جريدة السفير اللبنانية كلمته المشهورة بعنوان (براءة الى اطفال كردستان).

لماذا تراجع السيد هادي العلوي عن موقفه في مجلة (الحرية) الصادرة في ١٩٩٢/٨/٢٣ الغاية في نفس يعقوب ام ان النظام الصدامي تخلى عن ارثه الدموي وبنى على الارض صرحا من القوانين الديمقراطية؟ وهل بادر صدام في وقف النزيف العراقي والتئام جرح مساحته العراق, ايران, الكويت والسعودية؟ كنت ولا ازال مولعا بتلك (البراءة) وذلك الموقف الشجاع من شخصية مرموقة كالأستاذ العلوي" رغم انني لم اطلع على نص الكلمة في حينه بل اطلعت على قراءات لبعض من فقراتها.

لا أخفيك ايها القاريء الكريم ان الشكوك قد راودتني في صحة تلك المقالة المنشورة في مجلة الحرية, ولذلك لم اعقب عليها في حينه" الا ان جريدة (طريق الشعب) الغراء نشرت في عددها (٦) الصادرة في كانون الثاني / ١٩٩٦ رسالة للأستاذ العلوي موجهة الى قيادة الحزب الشيوعي العراقي, وتتضمن مطالب وآراءه الخاصة حول طروحات الحزب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي, وقد نشرت الجريدة في العدد نفسه جواب اللجنة المركزية لكل تلك (الاحكام الكبيرة المتجنية) السريعة على ذلك الحزب المناضل" والذي تعلمتُ من ينابيعه الصافية دروسا في الوطنية والنضال.

فحين اطلعت على رأي الأستاذ العلوي في (الوطنية) وحصرها في الشيوعيين ويبرئ عنها القوميين والليبراليين والسلفيين, وكذلك رأيه بالحزبين المناضلين على الساحة الكردستانية (حدك و أوك) ووصفهما بـ(المرتبطين بالامبريالية الامريكية والخائنين لمصالح كردستان والاكراد).نعم حين اطلعت على تلك الآراء فتحقق لديّ ان الاستاذ العلوي نشر تلك المقالة في جريدة الحرية والتي اسميها: بـ (البراءة من البراءة).

اني اعتقد بان قضية شعبنا الكردي لم تحسم على ارض الواقع, وفي حالة حسمها او عدم حسمها في المستقبل المنظور" فمسيرته النضالية والحضارية نحو الحياة تحتاج الى مواقف جريئة من المجتمع الدولي وخاصة من المثقفين العرب والفرس والترك, كما ان الألم يحز في قلوبنا حين نرى الأصدقاء يسحبون أرصدتهم الدائنة لنا, تلك الأرصدة التي ساهمت وتساهم في بلورة وتكوين رأي عام عالمي لصالحنا وفي دفع مسيرتنا المضرجة بالدماء نحو حياة حرة كريمة.

فالأولى بالسيد العلوي ان لا يقرب سفينته الجاحظية" ورايته اللينينية" وادواته التراثية والتاريخية من شواطيء السياسة" تلك الحافات المغبرّة بالغيوم حيث تتلاطم عليها الأمواج العاتية وتكتظ بها أخاديد التضليل والتزييف فالأولى بك ان تستمر على الغوص في اعماق ولجج بحار التاريخ والتراث الإسلامي والشرقي كما كنت" وانت بحق وحقيق سباح ماهر وغواص

أمين, فالمسيرة الناهضة للبشرية قد شوشت ويُشوش عليها تاريخ نضالها وتراثها, فتلك المسيرة جائعة الى زاد نظيف غير مسموم, فغُصْ أيها الحجة مع رفاق نضالك في تلك البحار ولا تجرح مشاعر الشعب الكردي المسالم, وهل أتاك حديث وجود حزب شيوعي باسم (الحزب الشيوعي الكردستاني), صاحب الدار أدرى بما فيها.

****

﴿ روما تحترق والبعض غارقون فى أوهامهم ﴾

بثلاث صفحات نشرت مقالة بعنوان (السومريون والترك أو التركمان) بقلم السيد (نور الدين موصللو) ووزعت في مدينة كركوك واماكن أخرى .

تحتوي المقالة على عدة آراء وأفكار جديدة , وتعرض علاقة حضارة وادي الرافدين بحضارة أسيا الوسطى القديمتين أو كما تقول:- (تحديدا بين سومر العراق وتركمانستان).

أني لست متخصصا فى التأريخ لا قديمه ولا حديثه, كما ولا اعرف ان كاتب المقال متخصص فى التأريخ أو لا, ولذلك لا اسمي ما اكتبه هنا ردا على تلك المقالة , الا انى شغوف بقراءة التأريخ , كما وانا متألم من الذين يأتون فى غمرة بحوثهم عن قوميتهم بمفارقات واوهام وفى النهاية يجعلون من تأريخ شعبهم أكثر اشراقا من تأريخ جميع الشعوب الاخرى ويهمشون في هذا المنهج شعوبا وأمما واحيانا يلغونها!! يلوم كاتب المقال المؤرخين و الآثاريين العراقيين وبخاصة المعاصرين منهم لعدم تناولهم جهة قدوم السومريين إلى بلاد الرافدين ((مثلما فعلوا بالتفصيل بهجرات الأقوام الأخرى من الجزيرة العربية, الا انهم أكدوا ان السومريين ليسوا السكان الأصليين لبلاد الرافدين بل جاءوا من الحدود المتأخمة في الوقت الحاضر للحدود التركية و الشمالية الشرقية لإيران والحدود السورية)) . أقول هنا ان علماء الآثار والتأريخ العراقيين وبخاصة الحجة منهم فى الآثار رغم ممارسة أنواع الترغيب والتهديد معهم من قبل النظام الصدامي العنصري " الا انهم لم يفبركوا ولم يخونوا عملهم ومهنتهم العلمية والا قالوا :- ان العرب هم أحفاد السومريين,لكنهم قروا ان السومريين جاءوا من الشمال ولم يحددوا الشمال ب (تركستان) البعيدة جدا من جنوب العراق وسهوله . اذا كان كاتب المقال منصفاً و ليس غارقاً في لجة الاوهام

فلماذا لايذكر ((ولو من باب الاحتمال والفرضية)):-ان السومريين جاءوا من جبال كردستان (الايرانية او التركية او العراقية) بل يقفز بعيداً .. بعيداً الى (تركمانستان) الواقعة في آسيا الوسطى ، فكم قال الشوفينون في الماضي ان الشعب الكردي هم اتراك جبليون وان ادعاء مجيء سومر من تركمانستان ليس بأغرب من ذلك ، واذا كان وجود اكثر من (٣٥٠) كلمة مشتركة بين اللغتين السومرية والتركية القديمة (وكما يدعي الكاتب) برهانا على اصول العنصر التركي فهناك مئات من الكلمات الكردية تشترك مع اللغة السومرية كما ذكر ذلك الاستاذ عبد الرقيب يوسف في مقالة منشورة بالاستناد الى مراجع و قواعد لغوية .ذكر العالم (جورج كوتنيو) في كتاب (الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ص ٣٣٠ والمؤلف ((ليوهايم)) في كتاب (بلاد مابين النهرين)ص٦٢ ، والدكتور فوزي رشيد في كتاب (قواعد اللغة السومرية)، والعالم العراقي طه باقر, جميع هؤلاء اظهروا ان السومريين جاءوا من المناطق الجبلية من الشمال , بل يقول طه باقر انهم جاءوا من الجبال القريبة من سهول العراق. ويقول العالم الآثارى ليوهايم :- ان اللغة السومرية تمثل احدى اللغات العديدة التى تتكلم بها جماعات انتقلت من المناطق الجبلية الى سهول العراق .

يبدو ان كاتب المقال متأثر بل مبهور بكتاب أصدره (مجلس البحوث التأريخية للترك) في عام / ١٩٣١ وبأربع اجزاء واعَّده مؤرخون شباب , فأصبح هذا الكتاب لاحقا مرجعا للكتب المنهجية فى كافة مدارس ومعاهد وجامعات تركيا . الا انه من عام ١٩٨٠ جاء جيل جديد من المثقفين الترك من ذوى الافكار الحرة وبدأوا بمراجعات وتقييمات نقدية للكتابات التأريخية السالفة , ومن المحتمل ان ما قامت به الدولة التركية فى السنوات الاخيرة بتغيير بعض المواضيع التأريخية كانت نتيجة تلك الكتابات المعاصرة .

ادرج ادناه زبدة مكثفة من تلك الأفكار التى جاءت في الكتاب المرجع للكتب المنهجية سابقا :-

* عنصر الترك من أعاظم محركى التأريخ , انه أثر واختلط بصورة واسعة فى دول الجوار , انه لم يفرط بخصوصياته القومية , انه وخلال العصور الغابرة جدا بنى حضارات ودولا مختلفة !

* عندما وصل الترك بلاد (ميزوثوتاميا – بلاد ما بين النهرين) كانت حوافي دجلة والفرات مستنقعات وادغالا , فبداوا بحفر الآبار والجداول وبذلك تطورت أنظمة الرى والحضارة فى ذلك البلد!

* عندما وصلت موجات عنصر الترك الى مصر وسكنوا فى دلتا النيل لم يسكن فى الدلتا قبل الترك ايّ انسان , والسكان المحليون يعيشون فى حواف النيل وهم يعيشون فى العصر الحجري , وبعد مجئ الترك فقط بدات الحياة الاجتماعية فى مصر وانتقلت الى مرحلة حضارية متقدمة !

* من الترك تعلم الاوربيون الزراعة وترويض الحيوانات البرية , كما وتعلم الأوربيون من الترك العيش فى القرى والمدن فتركوا حياة الكهوف وأرشدوهم الى الطريق نحو الحضارة !

((انظر الى مجلة – نطاة نو – طهران / العدد ٣٦ سنة ١٩٩٨ فى المجلة بحث للكاتب الاكاديمى – على رضا مناف زاده – وهو مترجم الى اللغة العربية ونشر فى مجلة – طةلاويذى نوى – العدد العربى رقم ١)) .

واخيرا أوجه كلامى وبأخلاص الى الاخ (نور الدين الموصللى) وأمثاله من الاخوان التركمان فأقول :-

على المؤرخ والمثقف وبعيدا عن مشاعره العاطفية وخلفياته الفلسفية والاخلاقية ان يعيد صياغة الماضي ويعطيها معانيها الحقيقية كما كانت , انه وبهذا المنهج فقط يستطيع ان يسهم فى تحقيق التآلف والسلام بين القوميات المتعددة فى البلاد , بل اكثر من ذلك يستطيع المؤرخ والمثقف ان يخلق قناعات للحكام السياسيين بضرورة تقوية أسس العلاقات بين القوميات ووحدتها. علينا ان نتعلم نحن (الكرد والترك والعرب والفرس) ان التقدم العلمي والتكنولوجي فى جميع ميادين الحياة والعولمة قد حطمت الجدران

الحديدية وجدار برلين , وان القوميين الغلاة المتعصبين الذين تتعشعش في افكارهم الوحدة القومية الشاملة عليهم ان يتأكدوا ان بريقهم لا محالة نحو الزوال , علينا ان نتعلم ان عصر :- (الهندسة السياسية البسماركية والستالينية ورضا شاه وصدام حسين و.. و ..) قد ولى ومضى عليه الدهر , علينا جميعا ان نتعلم:-

ان وجود القوميات -مهما صغرت - واللغات المختلفة ظاهرة طبيعية ليست للانسان يد في خلقها .

علينا نحن (الكرد والترك والعرب والفرس) ان نغوص في اعماق تاريخنا لكي نجد دواء وبلسما يشفينا من روح الاستعلاء والغاء الاخرين او تهميشهم او تحجيمهم في اتون المظالم .

ان بلادنا تحترق منذ (٤٠) سنة, فلماذا نحن خادرون في اوهامنا (بل في الحقيقة اوهام بعض من اسلافنا). واخيرا اين نحن الأن من التقدم التكنولوجي والعلم المعاصر , فلنتذكر جميعا (الكرد - التركمان - العرب) الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي حين قال : -

وما يجدي افتخارك بالأوالي ... اذا لم تحتضر فخرا جديدا

فشر العالمين ذوو خمول ... اذا ما فاخروا ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم ... أقام لنفسه حسبا جديدا

ومن المؤكد ان الرصافي لو كان عائشا في هذه الايام, لما يشترط (ذو حسب قديم) ويكتفي بـ (اقام بنفسه حسبا...).

*****

في منتدى (داكار) العالمي للتعليم :

﴿ زبد الوعود يداف في عسل الكلام ﴾

في مقالة سابقة لي نُشرت في جريدة الاتحاد بعنوان (في منتدى دولي للتعليم تقول كردستان كلمتها) عرضت فيها انه:-

في عام ١٩٩٠ اتفق مندوبو (١٥٥) بلدا وعشرات من المنظمات والرابطات والوكالات غير الحكومية في مؤتمر عالمي حول (التربية للجميع) في (جوميتين/ماليزيا) اتفقوا على إجراء تقييم عالمي للتعليم الاساسي (الابتدائي-الروضة-اليافعين-محو الأمية), وذلك بهدف تخفيض معدلات الامية تخفيضاً كبيراً قبل نهاية عام ٢٠٠٠ .

ولأجراء ذلك التقييم, اصدرت منتدى جوميتين (٧) كتابا شاملا باسم (المبادئ التوجيهية التقنية) ووزعت على جميع الحكومات والإدارات الإقليمية المختلفة في العالم ومنها حكومة إقليم كردستان وبواسطة منظمة يونسيف, وذلك لتهيئة تقرير جامع مكثف بعنوان (تقييم عام ٢٠٠٠), وذلك استعدادا لتقديمه الى منتدى دولي للتعليم في داكار/سنغال يعقد في شهر نيسان ٢٠٠٠. تبين ان التقرير المطلوب من وزارة تربية الإقليم مشروع عالمي يهدف إلى:-

١-رسم صورة شاملة لما احرزت من التقدم منذ عام ١٩٩٠.

٢-تحديد الأولويات والاستراتيجيات لتذليل العقبات وتسريع التقدم.

٣-إعادة النظر (بناء على التقييم) في الخطط الوطنية للعمل.

ان شعبنا الكردي مغتبط بعقد ذلك المؤتمر وكفرصة مناسبة لعرض مشاكله التعليمية, وطرحها امام رسل التربية, فقدمت وزارة تربية الإقليم تقريرا عاما شاملا عن التعليم الأساسي, وكم كان عمليا ان يشارك مندوب عن حكومة الاقليم لكي يعرض مباشرة ذلك التقرير, الا انه لم يسمح لنا بذلك

بحجة عدم موافقة الحكومة المركزية على ذلك, لذا فمنظمة يونسيف نابت عنا وقدمت تقريرنا الى ذلك المنتدى مترجما الى اللغة الإنجليزية والعربية.

كل ذلك بأمل التعاون معنا ودعمنا للتحرر من مرض خطير ألمَّ بنا منذ مئات السنين, وساهم أعداؤنا كذلك في استغلال سمية المرض ونشره وتكريسه تحت مختلف الواجهات ألا وهو (الجهل والأمية).

كتاب المرشد لاعداد التقرير, أعطى لتحديد اوجه التفاوت في مجال التعليم الأساس بين (الوحدات الجغرافية كالأقاليم والمحافظات) الأولوية, وذلك بغية قياس درجة التفاوت وتحديد المناطق وفئات السكان المتضررة.

فبموجب هذا المؤشر كيفت وزارة تربية الإقليم تقريره ليطرح امام رسل التربية مدى حرمان اطفالنا وكبارنا من التعليم الاساس وكوضع انساني متميز وخصوصية اقليمية.

لا أريد هنا ان اعيد ذكر الصعوبات التي عانت منها وزارة تربية الاقليم لتهيئة ذلك التقرير, وخاصة معلومات كان الحصول عليها عصيا وغير موجودة في المؤسسات الرسمية التابعة لوزارات الإقليم كافة, ويعود السبب الى عدم اجراء احصاء عام للسكان في الإقليم, وتبين بوضوح مدى حاجتنا الحياتية لذلك الإحصاء, ولتلافي هذا النقص اضطرت فرقة العمل الوزارية استخدام معايير وتقديرات متعارف عليها لاستخراج اكثرية المعلومات المطلوبة.

في هذه المقالة ايضا اعود فاقول:- سيأتي منتدى دولي آخر للزراعة-الصناعة- وربما الخدمات الصحية والرعاية الاجتماعية يوما ما, وتطرح علينا عشرات الاسئلة والتقارير, لذلك اعتبر أسئلة (منتدى التعليم للجميع) نداء بل ربما صرخة تدعونا الى تنظيم مجتمعنا بصورة احسن, يدعونا ضمنيا الى الا ننتظر احدا, وان الحياة لا تتوقف لحظة عن مسيرتها السريعة

جدا, وانه بدون إحصاء عام للسكان في الاقليم (وليكن كل لمنطقته) نسير متخبطين بدون هدى.

منتدى ((داكار))-التوصيات والآفاق

بعد انعقاد المنتدى الدولي للتعليم في (داكار/سنغال ٢٦-٢٨/نيسان/٢٠٠٠) وزعت اليونسيف في اجتماع موسع للكوادر التعليمية في السليمانية (٢٠٠٠/٩/٢٠) الوثيقة المعتمدة في ذلك المؤتمر, كما ارسلت نسخة من تلك الوثيقة الى وزارة تربية الاقليم لدراستها وحسب ما جاء في تقريرها.بغية اطلاع المهتمين بالتعليم في كردستان, ادرج ادناه بعضا مما جاء في الوثيقة المعتمدة في مؤتمر (داكار):

تتعهد الحكومات والرابطات والمنظمات الممثلة في المنتدى العالمي للتربية وتلتزم بان (اطار عمل داكار) هو التزام جماعي بالعمل لتحقيق اهداف وغايات (التعليم للجميع) والحرص على ادامتها.

يضع اطار مؤتمر داكار (٦) اهداف كبرى (للتعليم للجميع) وتقترح (١٢) استراتيجية رئيسية, تتجلى من التقارير المقدمة الى المؤتمر ان هناك اكثر من (١١٣) مليون طفل محرومين من الانتفاع بالتعليم الابتدائي ٦٠٪ منهم من الإناث. وان هناك (٨٨٠) مليون امي من الراشدين واغلبهم من النساء, وان التمييز بين الجنسين مازال متغلغلا في نظم التعليم, وانه مازالت نوعية التعليم وعملية اكتساب القيم الانسانية والمهارات قاصرتين عن الوفاء بطموحات الافراد والمجتمعات واحتياجاتهم.

الشباب والكبار مازالوا محرومين من اكتساب المهارات والمعارف اللازمة للحصول على عمل مدر للدخل والمشاركة في حياة مجتمعاتهم, تلك الارقام والعيوب تعد إهانة للكرامة الانسانية وانكارا للحق في التعليم, وما لم يتم الإسراع في التقدم نحو التعليم للجميع, فلن يكون هناك تحقيق للأهداف الوطنية والأهداف المتفق عليها دوليا بشأن الحد من وطأة الفقر.

في وثيقة داكار قرارات والتزامات جماعية دولية واضحة وذلك لتحقيق (٦) اهداف وهي:-

١-توسيع وتحسين الرعاية والتربية على نحو شامل في مرحلة الطفولة المبكرة.

٢-العمل لتمكين جميع الأطفال من الحصول على تعليم ابتدائي جيد مجاني والزامي بحلول عام ٢٠١٥, مع التركيز على البنات والأطفال الذين يعيشون في ظروف صعبة وأطفال الأقليات الاثنية.

٣-ضمان تلبية حاجات التعليم لكافة الصغار والراشدين.

٤-تحقيق وتحسين نسبة ٥٠٪ في مستويات محو الأمية للكبار بحلول عام ٢٠١٥ لاسيما لصالح النساء, وتحقيق فرصة التعليم الأساسي والتعليم المستمر لجميع الكبار.

٥-إزالة اوجه التفاوت بين الجنسين في مجال التعليم الابتدائي والثانوي بحلول عام ٢٠٠٥, وتحقيق المساواة بين الجنسين في ميدان التعليم بحلول عام ٢٠١٥.

٦-تحسين كافة الجوانب لنوعية التعليم لاسيما في القراءة والكتابة والحساب والمهارات الأساسية للحياة.

الفرص المتاحة ومدى مهارتنا

في الوثيقة المعتمدة لمنتدى داكار فقرات مهمة واضحة, تستطيع القيادات السياسية في الإقليم وكذلك وزارة التربية ان تلعب دورها بمهارة وتناضل لاجل تفعيل تلك القرارات والوفاء بالوعود التي التزم بها المجتمع الدولي في مؤتمر داكار ومن تلك الفقرات (١٠-١١-١٤) والخصها في:

١٠-المجتمع الدولي يعترف بان بلدانا كثيرة تفتقر حاليا الى الموارد اللازمة لتحقيق (التعليم للجميع) والارادة السياسية لتنفيذ الخطط الوطنية غير كافية, لان الإرادة السياسية لابد ان تدعم بالموارد المالية اللازمة. لذا يتوجب تعبئة موارد مالية في شكل هبات ومساعدات إمتيازية عن طريق وكالات التمويل الثنائية بما فيها البنك الدولي والبنوك الاقليمية والقطاع الخاص.

١١-وسيفي المجتمع الدولي بالتزامه الجماعي هذا, عن طريق مبادرة عالمية تدخل فورا حيز التنفيذ, وذلك لتعبئة الموارد اللازمة لدعم الجهود الوطنية, وفي إطار هذه المبادرة ستدرس امور كثيرة منها:-

أ-زيادة التمويل الخارجي.

ب-تعزيز خطط تشمل قطاع التعليم بكامله.

جـ-إجراء عمليات تقييم دورية (وطنية كانت ام عالمية).

١٤-لا يجوز حجب المساعدات عن اي بلد محتاج وينبغي ايلاء البلدان التي تعاني من حالة نزاع او التي تمر في مرحلة إعادة بناء (كمنطقتنا الكردستانية) اهتماما خاصا.

جوهر النشاط:-العمل داخل الوطن

تدعونا وثيقة (منتدى داكار للتعليم) الى ان جوهر النشاط في ميدان التعليم للجميع يتركز على المستوى القطري الداخلي, لذا توصينا بإلحاح الى إنشاء منتديات وطنية لـ (التعليم للجميع)" تكون جميع الوزارات المعنية ومنظمات المجتمع المدني الوطني ممثلة في هذه المنتديات.

من خلال هذا المنطق ادعو القيادتين السياسيتين في السليمانية واربيل الى تنسيق وتعاون اكثر جدية بينهما وفي مجال التربية والتعليم, امن المنطق أن نطلب من الوكالات والمنظمات وجهات التمويل الأخرى الأجنبية المساعدة والتعاون معنا لتعزيز مشاريع (التعليم للجميع) في كردستان, في حين ان اخواننا من بني قومنا يستطيعون ان يفعلوا لنا كثيرا في هذا المجال؟! وان الإدارتين تستطيعان (وكحد ادنى في مجال التربية) ان تتعاونا الى أقصى مدى.

إنجازات وتحديات

في مؤتمر داكار وبعد دراسة ومقارنة التقارير الواردة اليه حول تقييمات (التعليم للجميع) على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية ظهر:-

- حصول تقدم خلال العقد الأخير, فقد ازداد عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية بنحو ٨٢ مليون تلميذ منذ عام ١٩٩٠, وازداد عدد الفتيات في المدارس عام ١٩٩٨ بمقدار ٤٤ مليون فتاة قياسا لعام ١٩٩٠ وتفصح هذه الارقام عن الجهود الجدية التي بذلتها بلدان كثيرة.
- وفي نهاية عام ١٩٩٩ حققت الدول النامية ككل نسبة تزيد على ٨٠٪ من مجموع الأطفال في عمر التسجيل المدرسي.
- انخفضت معدلات الرسوب بين الجنسين في التسجيل للتعليم الابتدائي وباستثناء منطقة افريقيا (جنوب الصحراء).
- جرى توسع متواضع في مجال الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة لاسيما في المناطق الحضرية.
- وقد صادقت دول العالم كافة على اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الطفل, وبموجب ذلك يجب الالتزام بتامين كل طفل في التعليم الأساسي.
- واحرز بعض التقدم في مجال محو الامية, وان ظلت معدلات الامية عالية بصورة غير مقبولة, كما ارتفع المعدل الإجمالي لمحو الأمية بين الكبار وبنسبة ٨٥٪ للرجال و٧٤٪ للنساء.

ان هذه الإنجازات الكمية لا تعطينا فكرة عن معاناة الملايين من البشر الذين مايزالون محرومين من التعليم, يلاحظ من التقارير المقدمة للمنتدى ان الفقر سبب رئيسي لانخفاض مستوى التسجيل في المدارس, ومعدلات البقاء والاستمرار على الدراسة والتسرب.

ان المكتسبات الملموسة والمتواضعة في مجملها تحققت خلال العقد الماضي, ولكنها ماتزال تدعو الى الحذر فالكثير من البلدان ماتزال تواجه التحديات في التعليم الأساسي, اذ:-

- هناك تزايد الفوارق في مجال التعليم داخل البلدان.

- الاهتمام بالتعليم مازال يركز على الفئات التي يسهل الوصول اليها وتهمل المناطق البعيدة من التعليم الأساسي لأسباب اقتصادية او جغرافية او اجتماعية.

يعاني قطاع التعليم الأساسي في كردستان معاناة شديدة من هذه المشكلة, حيث هناك قرى كثيرة (وتزداد باستمرار) فتحت فيها المدارس الابتدائية, الا ان بعدها الجغرافي, وعدم رغبة المعلمين بالبقاء فيها وقلة راتبهم, وعدم استقرار السكان بواسطة الظروف الاقتصادية, كل ذلك يؤدي الى حرمان قطاع كبير من السكان من التعليم الاساسي, وبالتالي يؤدي الى غلق تلك المدارس بامر رسمي لقلة التلاميذ فيها.

هذا الوضع المأساوي يدعو حكومة اقليم كردستان الى إعادة النظر في أعمار القرى, وارى انه من الضروري ان تفكر الحكومة في وضع برامج مستقبلية وحسب خطط مدروسة لتجميع القرى البعيدة في مجمعات قريبة من مصالح الفلاحين الاقتصادية, وان يكون بناء المجمعات حسب خطة خمسية او اكثر.

ومن الجدير بالذكر, كانت لدى الحكومة المركزية مؤسسة لتنمية الريف, وكان من احدى اعمالها تجميع القرى البعيدة, الا ان تلك المؤسسة أجبرت على ان تكون في خدمة هدم القرى الكردية باسم تجميع القرى وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية!!

في سبيل تحقيق الأهداف الستة المذكورة تلتزم الحكومات والجهات المشاركة في المنتدى بعدة التزامات من اهمها:-

- تعبئة الالتزام السياسي الوطني والدولي والقومي لصالح (التعليم للجميع) ووضع خطط عمل وطنية وزيادة الاستثمار في التعليم الأساسي.
- تحسين أوضاع المعلمين ورفع معنوياتهم وتعزيز قدراتهم المهنية.

- الوثيقة المعتمدة لمنتدى داكار تدعو القيادات السياسية والإدارات الإقليمية لتطوير وتعزيز الخطط الوطنية في موعد أقصاه عام ٢٠٠٢ وذلك للحد من الفقر والنهوض بالتنمية وتخفيف المشكلات بنقص تمويل التعليم نقصا مزمنا, بحيث تؤخذ غاية (التعليم للجميع) بنظر الاعتبار.

باكورة العمل والإدامة

كباكورة لبداية العمل في تفعيل التزامات (منتدى داكار) قررت منظمة اليونسيف في المنطقة الكردستانية القيام بمسح ميداني لتسجيل أسماء الأطفال من مواليد (يوم-٦) سنوات في الإقليم وذلك استعدادا لتنفيذ قانون التعليم الإلزامي, فأجري المسح وجرى إدخال نتائجها في الكومبيوتر وطبعت في (٣) مجلدات.

ان المسح الميداني بحد ذاته غير كاف, لأنها تتطلب:

١-توفير أرضية اجتماعية واقتصادية لتنفيذ التعليم الإلزامي, والقيام بحملة توعية وإعلامية في المجتمع.

٢-إصدار عدة قرارات سياسية وإدارية لتنفيذ القانون.

٣-قبل بداية كل سنة دراسية ولمدى (٥) سنوات, يجب القيام بحملة اخرى (اصغر من المسح العام) تسمى (عملية الحصر), وذلك لغرض متابعة أسماء الأطفال المسجلين في المناطق القريبة من المدارس او القرى, والتاكد من تسجيل الذين اكملو (٦) سنوات في مدارس المنطقة او الرى. هذه العملية تتطلب موارد مالية لتنفيذها سنويا,فعلى منظمة اليونسيف الانتباه الى ذلك, وتكييف ميزانياتها السنوية لادامة التعليم الالزامي.

كاحدى التزامات (منتدى داكار), منظمة اليونسيف مدعوة لاعداد خطط مكثفة لتطوير مرحلة (الطفولة المبكرة) وبخاصة في:-

١-توسيع روضات الاطفال وتطوير نوعيتها من حيث اعداد الكوادر العاملة وتهيئة المستلزمات, كل ذلك لتشمل قطاعات اوسع من الشعب.

٢-إعادة النظر في برامج التغذية المدرسية وبخاصة في مرحلة (روضات الأطفال-الابتدائي).

٣-الاهتمام بحضانات الأطفال كما ونوعا.

العولمة و(التعليم للجميع)

جاءت في ملحق وثيقة داكار تحديات كثيرة لتقدم برامج (التعليم للجميع), من تلك التحديات:- العولمة وآثارها السلبية, ادناه ملاحظة مهمة ادرجها نصا ليكون القارئ الكريم واعيا بما يجري في هذا العالم المتغير:-

((أما العولمة فهي فرصة وتحد في آن واحد:- إنها عملية لابد من صياغتها وادارتها بحيث تكفل الانصاف والاستدامة, وهي تولد ثروات جديدة, وتفضي الى زيادة الترابط والتكامل فيما بين الاقتصادات والمجتمعات, كما ان العولمة قادرة بفعل ثورة تكنولوجيا المعلومات والحركة المتزايدة لراس المال على المساعدة في الحد من مظاهر الفقر واللامساواة في العالم, وتسخير التكنولوجيات الجديدة لخدمة التعليم الأساسي))

((ولكن العولمة تحمل في طياتها ايضا خطر خلق سوق للمعارف يستبعد منه الفقراء والمحرومون والبلدان والاسر التي تحرم من فرص الانتفاع بالتعليم الأساسي في اقتصاد عالمي يعتمد اكثر فاكثر على المعرفة, وتتعرض لتهميش متعاظم في إطار اقتصاد دولي ينمو ويزدهر باطراد)).

واخيرا ارى من الضروري ان توجه وزارة تربية الإقليم واستنادا الى هذه الوثيقة الدولية, رسالة مفتوحة الى كافة الجهات المتعلقة بالموضوع وبخاصة صندوق النقد الدولي والوكالات والدول المانحة ومنظمتي اليونسيف واليونسكو.

علما بان اليونسكو وكما جاء في الفقرتين (١٩-٢٠) لها دور تنسيق العمل بين الشركاء في ميدان التعليم للجميع, وستوفر فرصا لمسألة المجتمع العالمي من الالتزامات المعلنة في (منتدى داكار), وكذلك ستتولى اليونسكو مهام (الامانة) بحيث تكون نتائج وأولويات مؤتمر داكار مدرجة في صميم عملها.

على وزارة التربية ان تشكل هيئة لدراسة وثيقة داكار وملحقها دراسة مستفيضة, وتهيئة المعلومات والإحصاءات والخطط المستقبلية, لان المجتمع الدولي يسائلنا عاجلا ام آجلا عما تم تحقيقه وعن برامجنا واستراتيجيات حكومة الإقليم حول (التعليم للجميع).

*****

﴿ انقلاب ٨ شباط / ١٩٦٣ ﴾
ذاكرة طالب شبيب" دروس وعبر

يقر شبيب بأن المفهوم العام للبعث عن الكرد هو انهم قومية نازحة الى الارض العربية لتحل ضيفاً، ثم يعترف فيقول: لم تكن الحقيقة كذلك فالأكراد قومية أصيلة في وجودها في العراق عاش قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً بل قبل بعض الهجرات العربية الى العراق، فهناك إذاً مسؤولية عربية في الجهل.....

رغم أن تأريخ العراق مليء بالعنف الدموي وكما يقول الدكتور باقر ياسين، الا انني وبحكم سجيتي مبهور بالتفاؤل المشوب بالسذاجة أحياناً، إذ أرى ان الانسان العراقي بحكم امتداداته الحضارية العريقة وجغرافيته الوسطية بين حضارات وأديان عريقة أخرى وبسبب ثرواته الطائلة وأطماع الطامعين بسبب كل ذلك وعوامل أخرى بات العنف سمة لحكامه ومن ثم التداعيات لأحزابه وأفراده، فالعنف ليس قدراً أبدياً للشعب العراقي.

أؤكد للقارئ الكريم اني في هذه الأيام الحساسة أدمي الجروح القديمة وأدميها من جديد لا بقصد اثارة عواصف الحقد والثأر" بل لكي نتعظ جميعاً من الماضي ونبني تاريخاً جديداً من الحب والتعايش وعدم الغاء الآخرين.

أعرض هنا شهادات رجل كان مؤثراً في أحداث العراق لفترة من الزمن، انه طالب شبيب وزير خارجية حكم البعث في انقلاب (١٤ رمضان – ٨ شباط / ١٩٦٣)، يقول شبيب لمحاوره الدكتور علي كريم سعيد وهو يستعيد المشهد: (قررت أن لا أقول ولا أفعل الا ما أعتقد انه صحيح وحقيقي فلا أكذب مهما كان الثمن والتبعات)، يقول عنه الدبلوماسي (مشتاق طالب): (عندما قابلته وجدته أحسن

بعثي سلوكاً وارفعهم أدباً واكرمهم خلقاً)، كما مدحه عبدالناصر في رسالة نشرها هيكل في كتاب (سنوات الغليان).

لقد اغنى واتحف الدكتور (علي كريم سعيد) متن الكتاب بهوامش قيمة من المعلومات، ووثق الكتاب بأحداث عايشها او استقاها من ثقاة عاشوا تلك الفترة، كما وقام في ثنايا العرض باكمال مواضيع مهمة نساها شبيب أو لم يكن على علم بها.

لا اخفي القارئ الكريم إني حينما حدث انقلاب ٨ شباط كنت عاملاً في صفوف احد الأحزاب العاملة على الساحة الكردستانية، والآن عندما استحضر مجريات تلك الأيام الرهيبة واجواءها تتحقق لديّ ان الآيديولوجيات الشمولية في تلك الأيام كانت تضغط علينا وتطالبنا بأن نرى مقطعاً واحداً من الصورة كما وتلح علينا بل تغوينا أن نرفع الصورة الى مستوى المقدس، وبذلك هيمنت على أذهان الوطنيين (قوميين وشيوعيين) روح الثأر والتصفية، فتلك الروح اللعينة اسكرتنا وانستنا مدنيتنا العريقة والصداقة والقرابة والتراحم (وكما يقول طالب شبيب)، وحقت علينا آية القرآن الكريم (كل حزب بما لديهم فرحون).

ان فترة ٨ شباط احلك فترة من تاريخ العراق السياسي المعاصر، وان الخط البياني للتطور منذ ذلك التأريخ يهبط باستمرار الى الحضيض بل وصل في ٩/ نيسان/ ٢٠٠٣ الى مستويات سحيقة ولأسفل السافلين.

لكي أساهم في هذه الأيام المصيرية من تاريخ العراق بجهد متواضع أعرض الكتاب باقتضاب لكي نتعظ جميعاً وبخاصة المرشحون لمناصب سياسية في سلطة العراق المستقبلية، ان الكتاب لجدير بالقراءة المتفحصة وخاصة من لدن السياسيين والأكاديميين حينما يقيّمون ويؤرخون تلك الفترة العصيبة من تأريخ العراق المعاصر.

﴿ محاولات لاغتيال عبدالكريم قاسم ﴾

كان التيار القومي في العراق وبعد ثورة ١٤ تموز عبارة عن حزب البعث العربي الاشتراكي والناصريين وجماعات اخرى من المدنيين والعسكريين، وكان التيار القومي بصورة عامة يرى في مصر وجمال عبدالناصر مرجعية سياسية وفكرية له.

كانت حكومة قاسم الأولى تضم ممثلين عن التيار القومي، الا انه ولأسباب كثيرة حصلت القطيعة بين قاسم وجمال عبدالناصر، لان الأخير كان يطالب بالوحدة العربية الفورية، فانعكست تلك القطيعة على التيار القومي في العراق، وبدأ عبدالناصر بتمويل كل المشاريع المضادة لحكم قاسم حيث قدمت مصر أسلحة ومحطة اذاعة سرية عبر سوريا من بداية عام ١٩٥٩ لعبدالوهاب الشواف ووصل بعض من تلك الأسلحة لحزب البعث.

جرت خمس محاولات لاغتيال لعبدالكريم قاسم وخطط حزب البعث لجميع تلك المحاولات، وبعلم من الشخصيات القومية الاخرى الا انها ولأسباب مختلفة توقفت، وتأتي مشاريع الاغتيال من قبل عبدالستار عبداللطيف وصالح مهدي عماش ومن المكتب العسكري. المحاولة الأخيرة كانت في (راس القرية) على شارع الرشيد، وافقت القيادة القطرية عليها، وحين التصويت اعترض عليها طالب شبيب ومدحت ابراهيم جمعة. يؤكد شبيب على ان نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة ومحمد صديق شنشل احد الوزراء كانا مطلعين على الخطة، كان جمال عبدالناصر ايضا على علم بالخطة ولكن لا يعرف بالموعد.

تسلم حزب البعث من مصر (٢٠) عشرين الف دينار أو جنيه لتمويل وادامة انشطة الحزب وأعمال التحضير لعملية الاغتيال. بعد فشل محاولة الاغتيال القي القبض على أكثرية فريق التنفيذ، وبعد مدة عفا قاسم عن فريق التنفيذ ووقف تنفيذ الاعدام، الا ان البعثيين اعتبروا ذلك ضعفاً وبدأوا باستثمار تلك الفرصة الى أبعد الحدود.

﴿ التحضير لانقلاب ٨ شباط / ١٩٦٣ ﴾

بعد فشل الاغتيال فكر البعثيون وكثير من التيار القومي في العراق بالانقلاب والسيطرة على الحكم بالقوة، وعلى مدى سنتين بذلت جهود مكثفة لنقل ضباط الدروع البعثيين الى وحدات خاصة للتهيئة والتحضير للانقلاب. أثناء التحضير للانقلاب جاء الى قيادة البعث محمد صديق شنشل (وهو وزير سابق في الحكومة) كوسيط وقال: اقترح قاسم ان يعين في وزارة جديدة ثلاثة من الوزراء البعثيين، فأجابت قيادة البعث ان الاقتراح جاء نتيجة ضغط إضراب الطلبة فرفض الاقتراح، وأثناء التحضير للانقلاب حاولت أيضاً مصر التطبيع مع قاسم تحت شعار التضامن العربي فرفض البعث هذا الاقتراح.

(إذا لم يكن للموت بد فمن العار أن تكون جباناً)

اقتيد عبدالكريم قاسم ومعه طه الشيخ أحمد والمهداوي وكنعان خليل حداد الى احدى غرف الاذاعة وانهالت عليهم الشتائم واللكمات، كان الكل يتكلمون ويشتمون في آن واحد ومتوترين، كان الجميع يحثون على الاسراع في إعدامهم.

لم يرد قاسم على أكثر اسئلتهم بل كان يطالب باستمرار بمحاكمته وكما هو قام بمحاكمتهم، كان قاسم رغم انه متأكد من قتله الا انه لم يتصرف كمتخاذل، اما طه الشيخ أحمد فتصرف هو الآخر بذهول واندهاش وربما كان أحسن الأربعة حالاً، كان المهداوي رابط الجأش رغم الاعتداء عليه ونزيفه الغزير.

رفض الرجال الأربعة ان تعصب أعينهم عندما أعلمناهم بقرار الاعدام، خرج القادة البعثيون من الغرفة وبقي الرماة وتم الرمي، وعلم شبيب من الرماة فور خروجهم ان قاسم هتف بشيء لم يميزوه، لكن الوحيد الذي ميزوه هو ما قاله المهداوي الذي هتف بصوت عال: (عاش الشعب). لم تكن هناك محاكمة وكل حديث عن وجود محاكمة انما هو ضرب من التخيل، بل المحكمة تشكلت على الورق بعد اعدامهم ورأسها عبدالغني الراوي وكان التشكيل على الورق لاخراج أمر اعدامهم قانونياً.

وبعد كل ذلك كتب كثيرون عن مقتل عبدالكريم قاسم وسيرة سلطته تحت سقف سلطة معادية لنظامه فخاضوا في تفاصيل ليس لها وجود، وأضاف بعضهم مشاهد درامية، وبلغت الجرأة ببعضهم مثل محمود شيت خطاب الذي لم يكن موجوداً في مشهد الحوار الأخير أن يدعي أنه شاهد عيان. ويقول شبيب: وقد تأكدتُ بعد تنقيب وبحث أن جميع الذين كتبوا لحد الآن عن مشهد محاكمة قاسم وجماعته لم يكونوا حاضرين في ذلك المشهد، وأستطيع أن أؤكد أن الكتّاب في هذه القضية كانوا حتى فترة قصيرة شهود اتهام متميزين عدا (حسن العلوي) من العراقيين ونسبياً (حنا بطاطو) من خارجهم.

﴿ حزب مولع بالسرية ﴾

طرح شبيب مرة على مجلس قيادة الثورة خروج الحزب للعلن فعارض الجميع عدا حازم جواد، ثم يقول شبيب: كان العراق يحكمه مجلس قيادة وهو مؤسسة سرية، ويوجه مجلس قيادة الثورة حزب اعضاؤه غير معلنين ويقودون حزباً سرياً، يطالب البعض من مجلس قيادة الثورة بسنّ قوانين سرية خاصة، ولم يبق سوى أن ننصب خيمة نغطي به العراق كله ونعتبره بلداً سرياً بكل معالمه!!.

﴿ تداعيات أمام الجلادين ﴾

حينما يترقب قاسم خروج الطلقات من فوهات البنادق الموجهة الى صدره ربما عاد الى أيام زمان يوماً كان قد فاجأ تلاميذه بالكلية العسكرية وكان بينهم: عبدالسلام عارف والبكر وعبدالرحمن عارف وطاهر يحيى والمهداوي وغيرهم فاجأهم بحديث ولغة غير معهودة داخل الجيش حيث حدثهم عن الوطنية والاستعمار البريطاني ووعدهم بيوم الخلاص.

لابد أن تذكّر أيضاً معارك كردستان ثم حرب فلسطين وتحريره لقلعة (كيشر والبيارات)، أو عند مخالفته للقيادة العسكرية العربية عندما خطط سراً لفك

الحصار عن الجيش المصري المحاصر في (الفالوجة). لابد أن تذكّر إنقاذه لبغداد من الفيضان عام ١٩٥٤، أو تأسيسه لحركة الضباط الاحرار التي وصل عدد اعضائها الى (٢٠٠) ضابط، أو تذكر قيادته لثورة تموز ومشاريعه في خدمة الفقراء، وايصال الكهرباء للريف وبناء المساكن الشعبية والمعامل و.....

﴿ هكذا تكلم شبيب عن عبدالكريم قاسم ﴾

كان وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء، ولم تكن مشاريعه تهدف الى الدعاية وانما آمن بها ونفذها باندفاع وحماس، لكنه كان دكتاتوراً فردياً، اساء الى جميع الأحزاب، كان عليه أن يفسح المجال لجميع الأحزاب بالعمل، وان يستفتي الشعب على دستور دائم ولانتخابات ديمقراطية، والجميع واثق من انه سيفوز برئاسة الجمهورية، وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل اليه.

واخيراً فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصاف تدينه غير الفردية، كان عفيف اليد، وكانت عيناه شبعا نتين فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد ببستان او قطعة ارض، في حين سعى كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام، خصوصاً كتلة صدام وخيرالله طلفاح والحيتان من انجالهم واصدقاء انجالهم.

ويضيف شبيب: سن قانون رقم (٨٠) وبموجبه امّم ٩٩,٥٪ من الأراضي النفطية، وسلّم مصر جميع الوثائق السرية في الخارجية العراقية والتي تخص مصر وسوريا والعائدة إلى العهد الملكي وحلف بغداد, تأسست في عهده منظمة اوبك، وأسس صناعة الصلب والاسمنت، لم ينتفع ولم يسمح لغيره ان ينتفع بصورة غير شرعية، ولم يخض حروباً بالنيابة وغير ذلك كثير وكثير مما يؤكد ان خصومه لم يعترضوا عليه الا بسبب الصراع على توزيع المراكز في السلطة، فاستعانوا بجهات اقليمية ودولية لها مصالح في العراق لاسقاطه.

﴿ محكمة الشعب والمهداوي ﴾

يروي طالب شبيب عن المهداوي وبعيداً عن الضغط المألوف الذي يُعاقب حتى الموت من ينصفه ويقول ان المهداوي اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني وأسره الانكليز في الحبانية.

التحق بحركة الضباط الاحرار بقيادة قاسم الذي أسسها في نهاية الاربعينيات على ارض فلسطين، تمكن المهداوي مع رفاقه صباح ١٤ تموز / ١٩٥٨ من تنفيذ واحدة من اهم واخطر أجزاء خطة الثورة بالسيطرة على اللواء الأول (لواء الأمن) ومهمته حماية بغداد من اي تمرد قد يحدث ضد حكومة نوري سعيد الآتية بعدها.

في ١٨ تموز عين رئيساً لمحكمة الشعب، تلك المحكمة ظلت حتى هذه اللحظة تتحدى كل السلطات التالية في ان تقيم مثلها او افضل او اكثر حرية منها, بدلاً من العلنية الساخرة للمهداوي نشأت بعده المحاكم السرية والقتل السرّي والتعذيب حتى الموت وتهديد الشرف وبصورة تتجاوز وتفوق ما سمع به الانسان منذ تأسيس حضاراته الأولى ولحد الآن!!.

ان قاعة الشعب التابعة لمحكمة الشعب تحولت بعد سقوط قاسم الى مسلخ بشري قتل فيها خلال شهر واحد اضعاف ما حكمت به محكمة المهداوي خلال (٤,٥) سنة من عمر حكومة قاسم، في حين – ويا للأسف – ان بعض السياسيين مازالوا يحصرون الاستبداد والدكتاتورية بعهد قاسم ومحكمة المهداوي دون غيرهما!!.

﴿ المهداوي في وزارة الدفاع ﴾

يشهد كل الشهود في رسائل ومذكرات منشورة داخل وخارج العراق ان المهداوي وقف في ٨ شباط داخل وزارة الدفاع ضد الاستسلام، وبأنه عندما اتصل به ممثلو الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد طالبين اليه مرافقتهم الى كردستان للخلاص بنفسه وبعائلته، قال لزوجته لن اهرب ولن يقول احد عني جبان.

﴿ الحرس القومي ﴾

تمكن الحرس القومي بسرعة من ابتلاع جميع منظمات حزب البعث المحلية واخذ دورها، لم تمض اسابيع على ٨ شباط حتى صار الحرس القومي في بغداد جيشاً يضاهي عدده جميع القوات العسكرية في معسكرات العاصمة. تحول الحرس القومي من حماية الأمن الى ازعاج الناس والتدخل في شؤونهم وشؤون الادارة والحكومة، واصبحت لا يمكن ضبطها، وتمارس اعمالاً سيئة في المدن العراقية، ومن الطريف ان الحرس القومي يقوم دون اسباب ودون اوامر بمضايقة وتفتيش ضباط الجيش وقادته واعضاء السلك الدبلوماسي.

ثم يعرض شبيب اعمالاً اجرامية كثيرة في المدن العراقية وخاصة في بغداد قامت بها مؤسسة الحرس القومي، ومن الطريف ان عبدالسلام عارف بعد ان قام بالانقلاب على البعث في عام ١٩٦٤ اصدر كتاباً خاصاً وبعدة اجزاء عن اعمال الحرس القومي في العراق وسمى الكتاب (المنحرفون).

﴿ مذبحة بحق قيادة الحزب الشيوعي العراقي ﴾

يذكر طالب شبيب أخباراً عن حوارات دارت بين اعضاء قياديين من البعث مع قيادات الحزب الشيوعي المعتقلين، الا انه يقول: ما قيمة الحوار الذي

دار اذ كان الأمر قد انتهى بموت هؤلاء، فقد ابلغنا ان قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا.

يقول شبيب: ﴿ فغطينا نحن مع الأسف ذلك بقرارات رسمية، اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه (..... علوش) بانهم ماتوا بالسكتة القلبية لانهم ظلوا حتى الصباح معلقين وارجلهم مرتفعة وذلك يؤدي بعد فترة الى السكتة القلبية. ﴾

ويوضح الدكتور علي كريم في هامش صفحة ٢٠٠ تلك الأحداث معتمداً على وثائق وشهادات للبعثيين انفسهم في الخارج، وعن ذلك الطبيب البعثي يقول: ان صادق حميد علوش معروف بين اقرانه بالتزلف للأقوياء ويعتقد زملاؤه انه تسبب في مقتل خلفه وزير الصحة السابق الدكتور رياض حسين، اصبح بين سنوات (١٩٧٥ – ١٩٧٩) رئيساً لمدينة الطب وكان في سنة ١٩٩٨ عضواً لفرع حزب البعث. ثم يذكر الدكتور بالتفصيل كيفية تعذيب وقتل الشيوعيين: محمد صالح العبلي، حمزة سلمان الجبوري، جمال الحيدري وابن زوجته (من زوج سابق لها) فاضل (عمره ١٤ سنة)، توفيق منير، متي الشيخ ومهدي حميد وسلام عادل ونافع يونس وغيرهم.

﴿ القضية الكردية / ١٩٦٣ ﴾

يقر طالب شبيب بصعوبة فهم او تفهم موقف التيار القومي والبعث بشكل خاص من القضية الكردية، فالمفهوم العام للبعث عن الكرد هو : انهم قومية نازحة الى الأرض العربية جاءت لتحل ضيفاً على العرب في بلادهم.

ثم يعترف شبيب فيقول: لم تكن الحقيقة كذلك ولم يكن الأكراد كالأرمن والأتراك وغيرهم من الجماعات التي اضطرت نتيجة الصراعات والحروب وبسبب الاضطهاد العثماني القومي والمذهبي الى النزوح والعيش في العراق، فالاكراد قومية اصيلة في وجودها في العراق، وعاش قبل العثمانيين بفترة طويلة

جداً بل قبل بعض الهجرات العربية الى العراق، فهناك إذاً مسؤولية عربية في الجهل.

لقد نصح المرحوم جمال عبدالناصر البعثيين بضرورة التعامل مع الكرد وقادته وخاصة مع المرحوم مصطفى البارزاني وجلال الطالباني ومدحهم بانهم أذكياء متوقدو الذهن وغير معقدين من العرب والعروبيين. لقد اتصل علي صالح السعدي قبيل الانقلاب لأول مرة رسمياً بـ (صالح اليوسفي) حيث وعد البارتي بانه سيكون أول المؤيدين للكرد اذا ما تمكن البعث من اسقاط عبدالكريم قاسم.

أجرى حزب البعث مفاوضات مع قيادة الحركة الكردية ووعد باقرار (اللامركزية) للمنطقة الكردية، الا ان البعث اراد ان يكون ذلك المكسب خاوياً هزيلاً بدون روح، يأتي شبيب بحجج كثيرة لاثبات ان القيادة الكردية اصرَّت على تحقيق مطالب تعجيزية، وبذلك اتجهت الأحداث الى التعقد وشل الجهود الخيرة والى استئناف القتال.

يعترف شبيب ان البعث لم يستفد من نصيحة عبدالناصر والقيادة القومية والبعثيين في الأقطار العربية، ويرجح شبيب ان هناك الغاماً بشرية (كردية وعربية) دفعت بالأمور الى الاصطدام، كانت للمصالح الاقليمية والدولية والاعلام الشيوعي والسوفيتي دور واضح في استئناف الحرب مع الكرد.

ويُستشفّ من أقوال الشبيب ان دوائر استخباراتية والغاماً بشرية (من دول الاقليم) وفي صفوف حزب البعث دفعت الأحداث نحو الحرب إذ يقول:

(ومازلت كلما راجعت نفسي أشعر بان قرار بدء العمليات الحربية كان مبيّتاً واشك بسلوك صالح مهدي عماش – وزير الدفاع – رغم تصويته معنا ضد بدء العمليات).

وفي موضع آخر من الكتاب يقول ان جميع القيادات العسكرية كانت راغبة ومصممة على الحرب وتعتقد تلك القيادات ان النصر النهائي قابل للتحقيق،

وكان عبدالسلام عارف من أشد المتحمسين للحرب والقضاء على الحركة الكردية والشيوعيين.

يأتي شبيب بحجة قوية لتوضيح شكوك كانت تراوده حول قيادات عسكرية فيقول: ان عماش قبل حضور اجتماع القيادة والتصويت على الحرب بدأ بالاتصالات مع الملحقين العسكريين لايران وتركيا ثم طلب من شبيب كوزير للخارجية تبليغ سفيري البلدين رسمياً باستئناف العمليات الحربية!!.

﴿ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً!! ﴾

بعد استئناف القتال مع الحركة الكردية تباطأ السوفيت في تسليم صفقات الأسلحة، واتصل عماش بصورة شخصية بالمرحوم جمال عبدالناصر طالباً عشرات الآلاف من قطع الأسلحة وتم تجهيز البعث بكل ما طلبه.

وعندما كان شبيب منفياً في القاهرة زار السيد شوكت عقراوي عام ١٩٦٤، وأفصح شبيب عن تلك الصفقات الى السيد العقراوي، وفي لقاء العقراوي بعبدالناصر عاتب العقراوي مصر وأظهره بمنطق مزدوج، وعندما علم عبدالناصر ان شبيب باح بذلك السر عاتب سفير العراق لدى مصر (رجب عبدالحميد) قائلاً: لم أكن أتصور ان طالب سيكشف مثل هذا الأمر!!.

﴿ مجزرة زعيم صديق في السليمانية ﴾

يرى شبيب ويؤكد ان الصراعات المنتظمة في العراق تأتي غالباً من الداخل، أو هي داخلية متداخلة مع عوامل اقليمية (عربية وغير عربية)، واذا كان للدول الكبرى تدخلات فتتم عن طريق دول مجاورة، وكان بعض من قادة البعث يعتقدون انها حرب على شكل لعبة دولية.

يرى شبيب ان الحرب مع الكرد أصبحت مصدر رزق وارتزاق لقادة الجيش وشيوخ العشائر الكردية المتعاونين مع السلطة (الجحوش) وكذلك بعض من

العشائر العربية كـ (شمر وجبور). فكانت الحرب مصدراً للنهب ومرتعاً للحرامية، وبعض الضباط يقتلون ويسرقون الدولة ويشعلون الحرائق تحت شعارات قومية ووطنية سامية. يعترف شبيب بانه رغم علمه والقيادات المدنية بعد سنتين بمجزرة (زعيم صديق) في السليمانية (٩ حزيران ١٩٦٣) لكن ذلك لا يعفي تلك القيادات من المسؤولية والمحاسبة.

ثم يمضي شبيب ويقول: قتال عبدالكريم قاسم ضد الأكراد كانت ضربات ذات طابع تأديبي ليس أكثر، الا ان قتال البعث وعبدالعزيز العقيلي في عهد عبدالسلام عارف مع الكرد كان شديداً ذا طابع شرس وبمفاهيم عنصرية.

﴿ أرادوها دولة جاسوسة ﴾

عندما كان عماش وزيراً للدفاع، له اتصال رسمي مع ممثل رسمي للمخابرات المركزية (CIA) وبعلم القيادة، بعد مدة بحجة انشغاله بالاعداد للحرب مع الحركة الكردية كلف (جميل صبري البياتي) مدير الأمن العام حضور اللقاء الدوري بـ (CIA) نيابة عنه, أوعز عماش الى جميل صبري ان يطالب أمريكا بتزويد العراق بـ (٤٠) بطارية كبيرة خاصة بالدبابات لأن السوفيت رفضت تزويد العراق في حين كان العراق بأشد الحاجة اليها في حربه مع الأكراد.

وافق المسؤول الأمني الأمريكي (بيل ليكلاند) على شحن البطاريات بصورة سرية واستجابة لرغبة (صبري وعماش) وبعيداً عن علم شبيب كوزير للخارجية، لكن مسؤول الـ (CIA – ليكلاند) طلب مقابل ذلك الحصول على دبابة (T62) السوفيتية لمعرفة أسرارها, في حين لم يحصل بلد خارج حلف وارشو على تلك الدبابة غير العراق, بطائرة نقل أمريكية وصلت البطاريات وأدخلت فوراً في الخدمة، بعدها بدأ (ليكلاند) يضغط على (جميل) لتنفيذ الشق الثاني من الصفقة وهو تسليم الدبابة الروسية لأمريكا.

آنذاك أدرك صبري انه متورط، فعرضت القضية على مجلس قيادة الثورة، فانزعج شبيب لأن الصفقة ابرمت بدون علم وزارة الخارجية وفي أمر خطير كهذا، ثم طلب شبيب من سفير امريكا طرد ممثل (CIA) من العراق، ووجه

تأنيب شديد الى عماش، إذ لو تمت الصفقة لأصبحت دولة العراق جاسوسة ودمرت أهم مقومات الدولة العراقية.

لم تطالب أمريكا بقيمة الصفقة لأنها لم تكن رسمية ربما ولتجنب الفضيحة من وسائل الاعلام، وهنا تثار شكوك وريبة حول عماش، إذ كيف تسنى لعماش الحضور في مناسبات دبلوماسية رفيعة اذا لم يثق به (ليكلاند) وله معرفة سابقة به وتفاصيل كثيرة أخرى. يقول شبيب عن عماش: ارتكب عماش أخطاء ورعونات كثيرة وكبيرة، ولم يفعل شيئاً مفيداً ولم يأت بأحد إلاّ وكان جباناً أو مشبوهاً، واجتمعت فيه خصال التردد والغموض والقسوة!!.

﴿ فضائح تزكم الأنوف ﴾

يضيف الدكتور علي كريم في هامش الكتاب فضيحتين أخريين، احداهما في عام ١٩٨٤ حيث تم استدعاء خبراء فرنسيين للاطلاع على الطائرة السوفيتية مقابل بيعهم طائرات ميراج، فجاء الخبراء وأنجزوا مهمتهم، ومثل الجانب العراقي اللواء (هاشم عطا عجاج).

الفضيحة الثانية كانت في عام ١٩٨٨، تم الاتفاق بين الصين والعراق على ارسال احدى الطائرات العراقية المتطورة (الروسية) الى الصين من اجل تحوير الشفرة الفنية وأجهزة الرادار والاطلاع على اسرارها، ومثل العراق في تلك الصفقة عميد الجو الركن (حامد السعودي)، في حين تنص الاتفاقية المبرمة مع السوفيت على وجوب التزام الطرف العراقي بعدم اطلاع الدول الأخرى على أسرار الطائرة وبروتوكولها، أرسلت الطائرة وهي تحمل علماً أردنياً!!.

يعترف طالب شبيب بوجود علاقات مشبوهة وغامضة، وان بعض المداخلات المشبوهة كانت تحصل بالقرب من القيادة عام ١٩٦٣ وما بعدها وما حولها، على سبيل المثال: العلاقة الودية بين (علي عبدالسلام) ودارت حوله قصص وصفقات مشبوهة، وعلامات استفهام كثيرة حول عماش ورشيد مصلح وناصر الحاني ولطفي العبيدي.

وبعد عام ١٩٦٨ في عهد (البكر – صدام) قتل علي عبدالسلام في سياق تصفية الحسابات وسد ثغرات الفضائح ووجدت جثته مقطعة، وجرت تصفيات واغتيالات كثيرة داخل وخارج العراق للغرض نفسه.

﴿ (قطار الموت!) وقطار الحياة أبداً يفوت ﴾

رأى البعثيون بعد حركة (حسن سريع – ٣ تموز ١٩٦٣) ان وجود عدد كبير من الضباط والقادة الشيوعيين في سجن رقم (١) بمعسكر الرشيد مصدر قلق لهم، لذلك قرر الحزب نقل السجناء الى سجن (نقرة سلمان) الصحراوي.

تمكن عبدالسلام عارف وغيره من العسكريين وخاصة البكر وعبدالغني الراوي من تبني فكرة ضرورة القضاء عليهم، طلب البكر من عبدالغني الراوي (قومي) ان يذهب الى (نقرة سلمان) وهناك يجري تنفيذ الاعدام بـ (٣٠) من الضباط الشيوعيين، فرفض عبدالغني السفر الى (نقرة سلمان) بحجة ان اعدام (٣٠) شيوعياً لا يستحق السفر الى (نقرة سلمان) وقال ان اعدامهم أهون من سفره بل طالب باعدام المئات!!.

لقى هذا الطلب مقاومة حازمة وشديدة من قبل قيادة الحزب المدنيين وبعض العسكريين وخاصة سكرتير مجلس قيادة الثورة (انور عبدالقادر الحديثي).

وبعد قضاء ليلة مع البكر تمكن طالب شبيب وحازم جواد وانور الحديثي من اقناع البكر للعدول عن فكرة ﴿ الإعدام بالجملة!! ﴾

ذكرنا آنفاً قرار إرسال السجناء الى (نقرة سلمان) وإعدامهم بالجملة، وان الخيرين أبطلوا فكرة الإعدام، الا ان الأشرار أرادوا اعدامهم باسلوب آخر وبـ (قطار الموت). يذكر الدكتور علي كريم في الصفحة ٣٠٢ من الكتاب تفاصيل مأساوية عن (قطار الموت)، كان السجناء شيوعيين عسكريين ومدنيين وكذلك قاسميين.

تختلف الروايات حول عدد السجناء فيقول الفكيكي انهم ٤٥٠، وباقر ابراهيم ٦٠٠، بينما يقول الشاعر كاظم السماوي انهم ١٢٠٠ سجين، كانت (فاركونات)

القطار مطلية جدرانها وارضيتها بـ (القار)، انطلق بهم في الساعة (١١) صباحاً ٧ تموز ١٩٦٣ مع ارتفاع شمس تموز الحارقة، فكان يمكن للركاب – حسب التقديرات العلمية – أن يموتوا بعد ساعتين من انطلاق القطار، فتتحول كل عربة الى تنور متنقل أو فرن مغلق على لحوم بشرية.

كانت تلك العربات مخصصة أصلا لنقل البضائع، كان السجناء مكبلين، وبعضهم بـ (كلبجات) وآخرين بسلاسل حديدية، وتوزع الحراس على الممرات بملابس مدنية أو فلاحية امعاناً في التمويه، ومهمتهم منع أية محاولة لكسر الأبواب والهرب.

لولا وجود عدد من الأطباء الضباط بين السجناء لما صمد السجناء أحياءً فترة أطول، إذ أعطوهم النصائح بأهمية (مص) أصابعهم وأجزاء الجسد الأخرى لاستعادة بعض الأملاح المفقودة وغيرها من النصائح.

بعد ساعة من تحرك القطار بدءوا يعانون من الغثيان وهبوط ضغط الدم بسبب نقص الاوكسجين داخل العربات، يتدخل الحظ ويتوقف القطار في محطة المحاويل، وأثناء التوقف اتصل شخص بالسائق (عبد عباس المفرجي) قائلاً: خالي حمولتك ليست بضاعة بل سجناء سياسيين انهم ضباط عبدالكريم قاسم! ولما علم السائق انه يقود تابوتاً بهيئة قطار مصفح، استبدت به الشهامة العراقية ولدى السائق ذاكرة ودية لعهد قاسم.

فانطلق قبل الموعد بأقصى سرعة ممكنة فوصل بالقطار قبل موعده بساعتين، ولم يعرف لحد الان كيف علم ذلك النفر من أبناء سدة الهندية والديوانية بسير القطار، هل سرّب الخبر بعثيون متعاطفون أم شيوعيون أم أقرباء السجناء؟

بل انهم اتصلوا بمعارفهم في السماوة لاستقبال القطار ومساعدة السجناء، وعندما فتحت أبوابه في السماوة تكشفت العربات عن حشرجات صادرة عن هياكل بشرية زاحفة للخارج، في حين غاب آخرون عن الوعي، ومات شخص واحد على الأقل.

مرة اخرى لعب الأطباء السجناء دوراً مهماً في انقاذ حياة السجناء، اذ قفزوا للأمام وأرشدوا المستقبلين الذين أحضروا مياها مثلجة وحليبا، فمنعوا السجناء من الشرب وأمروا الناس بجلب ماء دافئ وملح، جرى كل ذلك وسط حشود من الناس تتعالى بينهم ولولة وبكاء النساء، وعندما حاول رجال الشرطة والحراس الاعتراض تحدث معهم بعض الضباط السجناء فأخجلوهم وابتعدوا.

كان بين السجناء: غضبان السعد والعقيد ابراهيم حسن الجبوري، والعقيد حسن عبود والعقيد سلمان عبدالمجيد الحصان والمقدم عدنان الخيال ورئيس أول لطفي طاهر وحمدي أيوب والطبيب المشهور رافد صبحي والطيار ابراهيم موسى والمهندس الكهربائي عبدالقادر الشيخ ورئيس أول صلاح الدين رؤوف قزاز والضابط يحيى نادر وجميل منير العاني وآخرون.

لقد علم أحد وجهاء السماوة وهو يسكن بغداد واسمه (السيد طالب) بخبر القطار فاتصل من بغداد بأهالي مدينة السماوة واستنفرهم فاحضروا من الزاد ما يكفي عشرات المرات للعدد المنقول في القطار. وقد استأجر سيد طالب شاحنة لوري وحمّلها بمواد غذائية مختلفة وسيّرها مع سيارات نقل السجناء الى نقرة السلمان هدية منه. وقد سمى (حمدي أيوب) نجدة أهالي السماوة بـ ((انتفاضة السماوة الصامتة)).

ظل ((قطار الموت)) البعثي الى سنوات وسنوات يصول ويعربد لينقل (١٨٢) الف من أبناء الشعب الكردي ايضا الى صحاري الجنوب في عمليات الأنفال لدفنهم أحياء.

وهكذا ظل القطار يسير وبخطى سريعة أحياناً ليجمع كل ما حصده جلادو البعث من جميع أنحاء العراق وبخاصة أبناء الانتفاضة المباركة في الجنوب وكردستان عام ١٩٩١، ولم يصل قطار الموت محطته الأخيرة إلا في يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣ يوم حرية العراق من كابوس البعث الذي دام (٤٠) سنة. (لتأتي بعده قطارات موت اخرى لكل الشعب, وماتزال تأتي, والحبل على الجرار).

أ ﴿ و لكم في القصاص حياة ﴾ أم ﴿ عفى الله عما سلف ﴾ ؟
نعم لكليهما
الكرد والعرب ومراجعة الماضي

كتبه / د. هەژار معروف / ألمانيا
التعليق والترجمة / حسين عثمان نركسجاري

ها تمضي سنة كاملة على سقوط نظام البعث وما تزال الظروف الأمنية في العراق غير مؤاتية لمحاكمة مجرمي النظام البائد, في يومي ٢٦-٢٠٠٤/٣/٢٧ وبمبادرة من السيد مسعود البارزاني عقد مؤتمر مصالحة وطنية عراقية, شارك في المؤتمر عدا الكرد عدد من العرب العراقيين مثل: رئيس أركان الجيش العراقي السابق (إبراهيم فيصل الأنصاري) والرئيس السابق للاتحاد الوطني لطلبة العراق (محمد دبدب). تطرق المؤتمر الى مواضيع حساسة.

رجالات النظام السابق يريدون أن يخرجوا من المسألة بدون تعب وخدش. قالوا وبدون وجل: (كنا الكرد والعرب متحاربين معا ولم يخرج أي من طرفي الحرب نظيفا ونزيها, وبات تبادل الاتهامات بيننا غير مجد فلننس معا الماضي لأننا لا نستطيع تغييره, وبغية خلق مستقبل مشرق فلنفتح صفحة بيضاء جديدة ويأتون بالمناسبة بآية (عفا الله عما سلف) كتلطيف لتلك الأجواء.

لا يخفى على ابناء شعبنا ان هناك وراء هذا السيناريو المضحك وفي تلك الأجواء الإنسانية المتخمة بالكلمات البراقة. محاولة خفية خبيثة وهي: المساواة بين الذئب والضحية, ذئب سلطة غارقة في الأسلحة الفتاكة والثروة والدعم الدولي والإقليمي, وضحية بائسة لا حول لها ولا قوة ولا ظهير لها الا

جبالها ودماء مناضليها, كان في مؤتمر المصالحة بأربيل هوس خبيث لتساوي النظرة الى الذئب والضحية.

في الدول التي تحررت من براثين الدكتاتورية ثقافة وتراث تسمى (ثقافة وتراث مراجعة الماضي) او (هيئة البحث عن الحقائق), من تلك الدول كمثال: (غواتيمالا, اوروغواي , ارجنتين, شيلي, جنوب افريقيا). مجموع عدد الضحايا في تلك الدول الخمس وفي (٣٠) ثلاثين سنة اقل من ربع (٤/١) ضحايا الكرد في عدة اشهر وفي عمليات الأنفال.

ومنذ تشكيل الدولة العراقية وإلحاق كردستان بها قسرا والحكومات العراقية المتعاقبة وبخاصة من سنة ١٩٦١ قامت بصورة مخططة باضطهاد الشعب الكردي وإقحامه في حروب دموية مستمرة, وحتى في فترات الهدنة والحوار قامت الحكومات العراقية بتنفيذ مآربها الخبيثة مثل محاولة اغتيال المرحوم إدريس البارزاني في بغداد وبعدها محاولة اغتيال المرحوم مصطفى البارزاني في مضيفه الخاص بـ (ناوبردان) وفي سبعينات القرن الماضي.

ومن المضحك إن الحكومات العراقية وأثناء فترات المصالحة ووقف القتال الكاذبة, اعتبرت نفسها متسامحة ومشفقة في إصدارها أوامر (العفو العام) عن جرائم وذنوب اقترفتها الحكومات (صلا وكنا نحن الضحية لتلك الجرائم, ان قسوة وجرائم الحكومات العراقية المتعاقبة من البعثيين وغير البعثيين ليست فقط بحق المناضلين من الحركة التحررية الكردية بل كانت ضد الأطفال والنساء والشيوخ ايضا والذين لم يشاركوا في النضال, وكمثال على ذلك: (الزعيم صديق) و (طه الشكرجي) و (الملازم محسن) وكثيرون... ادخلوا لسنين طويلة الرعب والهلع في قلوب الأطفال والنساء والشيوخ من هذا الشعب.

في تأريخ الحكومات العراقية المتعاقبة لم نسمع ولو مرة واحدة أن تسوئل وحقق مع المسؤولين الأمنيين والعسكريين الحكوميين في الجرائم التي اقترفوها بحق المدنيين العزل في كردستان, وكذلك لم يطالب قادة الحركة

الوطنية الكردية (مع الأسف الشديد) بمقاضاة هؤلاء وبخاصة في فترات المفاوضات ووقف القتال.

ان الدعوة الى المصالحة العامة على أساس تناسي الجرائم الكبرى بحق الإنسانية والعفو عن المسؤولين المباشرين وغير المباشرين عن تلك الجرائم, ان مطالبة كهذه تعتبر استهانة صارخة بحق الإنسانية كما تعتبر أضحوكة نادرة في تأريخ البشرية!!

في هذه المقالة وفي الذكرى السنوية لعمليات الأنفال البربرية أحاول أن أعرض نماذج عن (مراجعة الماضي) في (المانيا, شيلي وجنوب افريقيا) أمام المثقفين والقراء الكرام بأمل أن يكون هذا الموضوع السياسي والاجتماعي والقانوني والتاريخي المهم ضمن أولويات العمل في البرامج السياسية في كردستان والعراق, ان البرهنة والإتيان بنصوص مثل (عفا الله عما سلف) و (الف ذنب وتوبة واحدة) لإثبات شهامة و وداعة قادة سياسيين استهانة بالضحايا والقيم الإنسانية النبيلة. كم كان رائعا و سلميا لو بادر الحزبان الرئيسيان في كردستان الى (مراجعة وتقييم الماضي) المتعلق بهما اولا, فحينذاك يطالب الشعب الكردي بكل عزة وشموخ من عرب العراق بمراجعة الماضي.

ان تجربة الدول في هذا المضمار تظهر لنا بوضوح ان محاكمة المتهمين بجرائم ضد الإنسانية جزء يسير من مراجعة الماضي والبحث عن الحقائق وليس كلها, لان القضاة لاستكمال المحاكمات يطالبون بوثائق كاملة وواضحة للإثبات, وفي اكثر الحالات سيكون من الصعب الحصول على تلك الوثائق لأن المجرمين الحكوميين قاموا بإتلاف الوثائق المهمة التي تدينهم, وان اغلب الضحايا هم من الفقراء الذين لا يستطيعون تأمين المحامين ونفقات المحاكمة ومتابعة قضاياهم.

وهنا تتجلى أهمية تأسيس هيئة عليا (لمراجعة الماضي والبحث عن الحقائق) وتتولى تلك الهيئة البحث ومتابعة المسؤولين الكبار داخل وخارج

العراق, يجب تشخيص جميع (البراغي والأدوات البشرية من ذلك الجهاز الدموي المرعب المسمى بـ (نظام البعث) الى ان يعترف بأساليب سلمية وبطرق ثقافية وتراثية كل من الطيارين وسواق المدرعات والضباط والكيمياويون والبايولوجيون وأطباء المختبرات والأطباء العدليون ومترجمو (محكمة الثورة) والصحفيون والفنانون العملاء ومغنو (السيد الرئيس).

فليعترفوا وينطقوا ويطلبوا العفو والغفران من الضحايا كطالبي التوبة أمام رجل دين, (كوجوه غبرة ترهقها قترة) امام اهل الضحايا, كمرضى نفسيين امام طبيب مختص, ان المؤرخين والصحفيين والمثقفين والحقوقيين يعتقدون ان العفو والمغفرة لا تكون بصورة مجانية مهلهلة, بل يكون ضمن اطار الاعتراف بالجريمة أمام الجمهور أو أمام (هيئة البحث عن الحقائق) وأمام أجهزة الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة, الا ترون ان كلفة الحج والعمرة لطالب المغفرة من الله (كم هو غفور رحيم) لعالية جدا, الى متى تكون قيمة الإنسان لدينا نحن المسلمين مجانية باهتة؟ الم يقل الخالق في القرآن الكريم (ولكم في القصاص حياة يا اولى الألباب)؟ ان القصاص لا يكون دائما قصاصا فيزيائيا, فالقصاص الروحي وتأنيب الضمير والخجل أمام الضحايا والقضاة ذو تأثير إيجابي في تلابيب النفوس بل أعتبره برامج تربوية للكبار وخاصة الحكام وذوي النفوذ.

إن مشروع (مراجعة الماضي) ليس ثأرا ولا إثارة للأحقاد والبغضاء, بل مشروع عقلاني لقطع جذور الترهيب والثأر والأحقاد بين أفراد المجتمع, ويمكن إن يمتد هذا المشروع لسنوات وأنه يرنو الى مستقبل مشرق لا تتكرر فيه المآسي والانتهاكات.

إن الإنسان والأيام والحياة لأكثر بكثير من رجلي الدين العربيين في مؤتمر المصالحة حين قارنا بين حالة العراق وكردستان وضحايا البعث وبين حالة فتح مكة وعودة محمد (ص) إليها منتصرا وعفوه عن أهل المكة, شتان بين الحالتين!! إن رجلي الدين في تلك المقارنة لم يكونا صادقين في السياق

التاريخي, لان النبي (ص) عندما فتح مكة لم يعف عن جميع المكيين, لو نقرأ كتب السيرة لظهر لنا إن النبي بعد فتح مكة, أعلن أن هناك عددا من المجرمين لا يشملهم العفو فأمر بقتلهم أينما وجدوا ومنهم (عكرمة ابن أبي جهل) ولكن النبي عفا بعد مدة وبإلحاح من سادة قريش وان آية (عفا الله عما سلف) نزلت بمناسبة منع الصيد في الأشهر الحرام وبخاصة في مكة.

إن مسؤولية الجرائم تعود الى جميع أجهزة الدولة العراقية من الجيش والمخابرات والامن.. والى الافراد الذين اصبحوا ادوات طيعة بيد الجلادين والمسؤولين الكبار, سواء اكتشف الافراد المجرمون ام (لم يكتشفوا وسواء حوسبوا ام لم يحاسبوا, فعلى (هيئة البحث عن الحقائق) كشف كل الجرائم المتعلقة بالاجهزة القمعية والمسؤولين عنها, فبتخطيط وبأمر من تلك الأجهزة اصبحت الأفراد آلات صماء لتنفيذ عمليات الأنفال والتعريب والترحيل ومذابح في جنوب العراق وقمعت المعارضة الشيعية.

يجب أن تنشر هيئة البحث عن الحقائق كل الوثائق المتعلقة. بجعل كادح عربي من البصرة جلادا يقوم بالعنف والقتل في (ناحية برزنجه – السليمانية) (مثلا), وكذلك على (هيئة البحث عن الحقائق) والحكومة الجديدة كشف الشرفاء الطيبين في تلك الأجهزة القمعية الذين ضحوا بمستقبلهم المهني وبحياتهم بل بعوائلهم واقاربهم لرفضهم أن يكونوا آلة طيعة بيد ذلك النظام القمعي, على الحكومة الجديدة أن تخلد ذكراهم وتعوض أهلهم.

في أغلب المدن الألمانية سميت شوارع رئيسية باسم الجنرال (Stavffenberg) لانه حاول في ١٩٤٤/٧/٢٠ اغتيال (هتلر) وبعد كشف المحاولة اعدم في اليوم نفسه. ويعتبر يوم إعدامه عطلة رسمية في البلد, وتجري في أعلى المستويات الحكومية والحزبية والبرلمان ندوات تخليدا لذلك الجنرال وتوضع باقات الورود على رمثه.

لو تقرر ان يشكل الجيش العراقي الجديد على أساس الاعتراف بالجرائم التي قام بها في الماضي لما تجرأ (إبراهيم فيصل الانصاري) على ان يقول في مؤتمر المصالحة بأربيل:-

(فليعد تشكيل المؤسسات الأمنية والجيش بسرعة ونطالب بزيادة رواتب منتسبيه), ولَما استطاع ان يقول (محمد دبدب):- وما زلت مؤمنا بفكر البعث!!), ولَما وجهت الدعوة أصلا لأمثال (وفيق السامرائي) لحضور المؤتمر.

هنا تذكرت حادثة جديرة بان تثار هنا لانها ذات علاقة بموضوعنا هذا: في عام ٢٠٠٣ رفض عدد من الطيارين الإسرائيليين تنفيذ اوامر عسكرية بقصف المدنيين الفلسطينين, وتساءلت في نفسي: هل كان هناك طيار او سائق دبابة عربي مسلم في العراق تمرد على اوامر قادته حين امر بقمع انتفاضة شيعة الجنوب او انتفاضة كردستان او خلال النزوح المليوني لشعب كردستان في عام ١٩٩١؟

هكذا كان الجيش العراقي, واخاف ان يعاد الجيش على نفس المنوال (ما اشد فرحتي لاني لم التحق به لدقيقة واحدة), فهل بقى مبرر للاحتفال بيوم ٦/كانون/ بتأسيس هذا الجيش الرهيب وحبذا لو شطب يوم تأسيسه في تقويم العراق الجديد. لكتابة هذا الموضوع استفدت من عدة كتب المانية وانكليزية

(مراجعة الماضي والبحث عن الحقائق)
التجربة الألمانية

يعتبر تشكيل محكمة (نورينبرط) الدولية للنظر في جرائم النازيين, جزء صغيرا من مراجعة الماضي حيث جرت مقاضاة ٢٢ متهما من المسؤولين النازيين الكبار في الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥-١٩٤٦), وحكم على (١٢) منهم بالإعدام فنفذ الحكم.

في المرحلة التالية من أعمال (مراجعة الماضي) جرى التحقيق مع شخصيات مختلفة اخرى من المجتمع الألماني حيث قدموا خدمات الى النظام

النازي مثل: الأطباء الذين فحصوا وشخصوا المرضى المصابين بالأمراض النفسية والعقلية وأمروا بإبادتهم أو جعلهم (عاقرين) ليبقى العنصر الألماني نزيها صافيا من الشوائب (حسب قوانين عنصرية خاصة بهذا الموضوع) وكانت من ضحايا هذه الاعمال مئات الالوف من المعوقين والمرضى النفسيين والعقليين, عدا مئات من الذين جرى تصفيتهم كما ذكرنا, جرى كذلك التحقيق مع الدبلوماسيين والقضاة والجنرالات ومديري معامل صنع الأسلحة... و ... الخ.

في السنوات الأخيرة أُجبر القطاع الخاص الاقتصادي والدولة الألمانية على دفع مليارات الدولارات كتعويضات للمعوقين والشيوخ المتضررين في الدول التي احتلتها المانيا (بولونيا – جيك – دول البلقان... الخ) ان هؤلاء الشيوخ والمعوقين أُجبروا زمن الحرب وهم شباب على العمل كعبيد في معامل الاسلحة الالمانية, وما زالت تداعيات هذه القضايا تتعمق ولم تنته.

منذ بضع سنوات تشكل معرض سيار للصور الفوتوكرافية ورسائل ومذكرات الجنود والضباط المشاركين في الحرب العالمية الثانية وما زال يجوب هذا المعرض في جميع المقاطعات الالمانية لعدة سنوات, ويخاطب هذا المعرض السيار شعب المانيا بان آبائهم واجدادهم في الحرب العالمية قاموا باحتلال الدول وقاموا بانتهاكات وجرائم بحق الشعوب وان الجيش الالماني انتهك قوانين الحرب ولم يلتزم بها. أثار هذا المعرض السيار قلاقل واحتجاجات في الجرائد ومحطات التلفاز والنوادي والمقاهي في المانيا, اعتبر اليمينيون هذا المعرض استهانة صارخة بشرف الجيش الالماني وجنوده الاحياء منهم والاموات, وطالبوا بمعاقبة منظمي المعرض مما اجبر داعية سلام الماني ان يقول: الجندي الاعتيادي في مكان وزمن ما يكون قاتلا للبشر!!

ما اكثر الشخصيات المعروفة القوية في المانيا تركوا مناصب عالية في الحكومة او أجبروا على ترك المناصب لثبوت علاقتهم بالنازيين, وما اكثر الذين كانوا مؤهلين ليصبحوا وزراء ففشلوا لظهور روابطهم بالحكم الهتلري.

ان اليهود وبخاصة الصهيونيين منهم عالجوا قضية الإبادة الجماعية لعدة ملايين يهودي في أوروبا بيد النازيين معالجة سياسية, تربوية, فنية, أدبية, اقتصادية ونفسية, وصنعوا من تلك المذابح بصورة ذكية افلاما مهمة لأحداث مأساوية لا تنساها الاجيال القادمة من اليهود والالمان والبشرية جمعاء, هناك مأثورة عامة بالمناسبة يقولها اليهود (نغفر لكم ولكن لن ننسى!!)

كان (ئايخمن) النازي من احد منظمي تلك المذابح, قد هرب الى ارجنتين وعاش في مخبأ اكتشفته المخابرات الإسرائيلية في عام (١٩٦٠) وهرّبته في (حقيبة) دبلوماسية الى إسرائيل وحكم عليه بالإعدام فنفذ الحكم.

لقد قصمت الجرائم التي قامت بها النظام الهتلري ضد اليهود ظهور الأجيال الحالية والمستقبلية, إذ عقدت الحكومات المتعاقبة في المانيا ايا كان الحزب الحاكم معاهدات ثنائية صميمية مع الدولة العبرية, تعهدت المانيا بموجبها ان تحافظ على مصالح اسرائيل في جميع الاوقات وان تسرع لنجدتها في أوقات الشدة. في وقت مضى٦٤ عاما على الحرب العالمية الثانية, لم تتحرر المانيا بعد من تداعيات وأوزار الحرب, ففي كل سنة يذهب المسؤولون الحكوميون الى الدول المحتلة من قبل هتلر وهم خجلون صاغرون يزورون معسكرات العمل النازية السابقة والمتاحف حاليا واشهرها (Avsschwitz) Ausschwitz في بولونيا الحالية ويركعون امام رموز الضحايا. لم يجرأ الى الآن أي سياسي الماني ان ينتقد دولة اسرائيل سواء بحق ام بدون حق فيختم جبينه بـ (العداء لإسرائيل) ويجبر على الاستقالة وترك العمل.

كمثال صارخ على ذلك: وزير الاقتصاد الالماني السابق (Moellermann) في حكومة (هيلموت كول) انتقد في حملته الانتخابية (ئاريل شارون) ووصفه بعدو للسلام, وتسبب هذا الانتقاد في تخلي حزبه عنه (الحزب الديمقراطي الليبرالي) وسيق إلى مساءلات كثيرة, فكانت النتيجة الانتحار بعدم فتح مظلته من علو شاهق.

في اكثر المدن الألمانية سميت مدارس وبيوت الشباب وروضات الاطفال باسم الصبية الصغيرة (Anne Franke) ١٢ عاما , كانت هي مع أهلها مختفية في مخبأ بامستردام, وفي يوم من الأيام اكتشف المخبأ من قبل النازيين فسيقت مع أهلها إلى الموت, لقد طبعت ملايين النسخ من مذكرات تلك الصبية كتبتها اثناء مطاردتها هي وأهلها وعيشها في مخبئها.

في السنوات الأخيرة جرت صراعات حادة ومن قبل اليهود مع بنوك سويسرية لان النازيين كانوا قد أودعوا كميات كبيرة من الذهب المنهوب من اليهود أثناء الحرب وعن تلك الودائع حصلت تلك البنوك على فوائد حرام.

في زيارة إلى المعسكر النازي للعمل الإجباري السابق في (~~Dachau~~ Dachau) قرب مدينة (ميونخ) والذي هو الآن متحف شاهدت لوحة فنية وبخط كبير: (من لم يتعظ دوما من الماضي" محكوم عليه دوما بإعادة الماضي.)

بعد توحيد شطري المانيا (الشرقية والغربية) وانهيار نظام الحزب الواحد بألمانيا الشرقية في ١٩٩٠/١٠/٣ طفت على السطح ضرورة تشكيل هيئة لمراجعة الماضي في المانيا الشرقية, فتشكلت تلك الهيئة باسم رئيسها (~~Gaukbehorde~~ Gauk Behoerde) ,واودعت في تلك الهيئة جميع الوثائق المهمة في دائرة المخابرات ووزارة امن الدولة (Stasi) العائدتين الى دولة المانيا الديمقراطية السابقة.

الآن وبعد مرور (١٤) سنة على انهيار المانيا الديمقراطية ونظام الحزب الواحد, مازالت الهيئة تقوم بأعمالها, ومازال المحامون والدارسون والصحفيون والمؤرخون والذين تجسست عليهم المانيا الديمقراطية يزورونها, وحسب تعليمات خاصة يتداولون وثائقها واضابيرها السرية الخاصة, وحسب معلومات تلك الأضابير, احيل قضاة ومحامون واطباء وجنود الى القضاء, وبالمقابل يصيح قضاة بأعلى صوتهم في قاعات المحاكم بوجه حراس (جدار برلين) الشرقيين:- حينما يهرب إخوانكم الألمان من مظالم النظام الاشتراكي

عن طريق جدار برلين فلماذا تطلقون النار عليهم؟ فإذا كنتم المجبرين على إطلاق النار فلماذا لم تطلقوها أعلى من رؤوسهم؟

في المانيا الشرقية كان الأبطال الرياضيون وفي المباريات الدولية يُجبَرون على استعمال الإبرة المقوية للعضلات (Doping) بغية الحصول على ميداليات ذهبية وبذلك يغطون على مثالب الاشتراكية. والآن تجري مقاضاة الأطباء والمدربين الذين شاركوا في ذلك العمل اللاإنساني ويطالب الرياضيون بمعاقبة هؤلاء وتعويضهم لان تلك الإبرة اضرت بصحتهم كثيرا, واخيرا اتهم كاتب يساري مشهور في المانيا الغربية هو (Günter Walraff) بكونه عميل مخابرات للألمانيا الشرقية, ويعتبر الفيلم الألماني المشهور (Hallo Lenin) والحائز على ميداليات كثيرة نوعا من برامج (مراجعة الماضي والبحث عن الحقائق).

Guenter

(مراجعة الماضي والبحث عن الحقائق)
تجربة شيلي بعد سقوط (بينوشي)

كان (سلفادور ئاليندي) رئيس للحزب الاشتراكي الشيلي, وانتخب كرئيس للوزراء في عام ١٩٧٠ , وادخل إصلاحات اشتراكية في الاقتصاد الشيلي في سنوات حكمه الثلاث وكذلك في جميع المجالات. انتقاما من إصلاحاته الإدارية والاجتماعية والاقتصادية دبر في عام ١٩٧٣ انقلاب دموي من قبل عسكريين وبمباركة من الطبقة البورجوازية والأرستقراطية الشيلية واسقطوا حكومة (ئاليندي).

قام الانقلابيون بمذابح وانتهاكات واسعة ضد قادة وكوادر حزب (ئاليندي), واعدموا (٧٠) شخصا بدون محاكمة بما فيهم (ئاليندي) وكوادر حزبه والوزراء, وكانت عمليات القتل والتعذيب والأبعاد وفقدان الناس مستمرة الى عام ١٩٨٩ بعد ان اجبرت سلطة الانقلابيين على التنازل وترك الحكم.

اصبح رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي (Aluwin) رئيسا جديدا للوزراء, فشكل (لجنة البحث عن الحقائق) من بروفيسور في علم الاجتماع وقضاة وحقوقيين. كان على (هيئة البحث عن الحقائق) أن تحقق في الجرائم السياسية الكبرى من سنة ١٩٧٣ إلى ١٩٩٠ إذ قتلت او فقدت ضحايا كثيرة, ولم تشمل التحقيقات (الناس الذين قاموا بتعذيب المعتقلين ثم أطلق سراحهم) خوفا من حدوث ثأرات شخصية في المجتمع.

ساهمت في برامج مراجعة الماضي الكنيسة والشخصيات المشهورة في المجتمع الشيلي والمنظمات غير الحكومية العاملة في مجال حقوق الإنسان والمنظمة الخاصة بالضحايا والمفقودين, ولعبت المؤسسات الإعلامية المختلفة دورا كبيرا في هذا العمل الإنساني وبعيدا عن مكاتب الرئيس والسكرتير العام في القصور والأبراج العالية وحسب الوصفات الجاهزة!!

كان الاستماع إلى إفادات الضحايا في كل جلسة بصورة غير علنية وبحضور اختصاصي نفسي, يتركز المحققون أولا على مراعاتهم وتقديم مؤاساة وعواطف مسرفة إليهم, المهمة الرئيسية لـ (لجنة البحث عن الحقائق) منصبة غالبا على المتابعة واكتشاف المسؤولين خلال حكم (بينوشي) وتعويض الضحايا ماديا ومعنويا, كان الديكتاتور وبدون خجل يتبرأ من جميع الانتهاكات والجرائم التي ارتكبت أيام حكمه. إن محاكم الجزاء تستقي من (لجنة البحث عن الحقائق) تلك المعلومات التي تجمعت لديها, إلا أن متابعة دعاوى الضحايا والتحقيقات وعقاب المجرمين كانت من اختصاصات محاكم الجزاء.

أصدرت (لجنة البحث عن الحقائق) تقريرا بـ (٢٠٠٠) ألفي صفحة عن (٤٧٨) من المفقودين, قامت الحكومة الجديدة في شيلي بنشر ذلك التقرير في جميع أنحاء البلاد, وألقت مسؤولية تلك الجرائم والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان على حكومة (بينوشي).

قام الرئيس الجديد (~~Aylwin~~ Alwin) وبعد الانتهاء من أعمال (لجنة البحث عن الحقائق) والتي استغرقت سنة كاملة, بزيارة قبر (سلفادور ئاليندي), في احتفال مهيب وبصورة رسمية أعاد الاحترام والتقدير له, ثم حُفرت أسماء جميع المقتولين والمفقودين على منصة هيكل ضخم (مونومينت). بعد كل تلك الإجراءات الإنسانية الخاصة سنت قوانين شاملة للمصالحة العامة ورعاية أقارب المقتولين والمفقودين وتعويضهم المادي والمعنوي وتخليد ذكرياتهم وآمالهم وأفكارهم, كما شكلت مؤسسات إدارية جديدة خاصة بتلك المسائل بغية تنفيذ تلك القوانين بصورة جيدة.

لقد استمرت المحاكم في شيلي (بعد الانتهاء من أعمال لجنة البحث عن الحقائق) بالنظر في شكاوي ضحايا التعذيب والسجن وقضايا المفقودين, ودامت أعمال المحاكم اكثر من عشر سنوات, ورأينا كيف أُجبر الدكتاتور الهرم الخرف العائش في لندن على الحضور أمام المحاكم. إلا انه وبسبب قوة الجيش

ودوائر القمع ودفاعها عن نظام (بينوشى) وحتى بعد سقوطه, وخوفا من قيام الجيش بتنظيم انقلاب جديد وبخاصة في بداية انهيار النظام, لم يكن بمقدور الحكومة الجديدة إجبار كافة مجرمي الجيش على الحضور أمام (لجنة البحث عن الحقائق) وبالقدر اللازم.

فكان قد أُبقي قاضيان عملا في عهد (بينوشى) في (لجنة البحث عن الحقائق), إلا أن إبقاء هذين الحاكمين في اللجنة اعتراف ضمني بالجرائم التي ارتكبت في عهد (بينوشى), إن الحكومة الجديدة استطاعت ورغم بقاء عناصر مؤيدة للنظام السابق في جهاز الحكم أن يرسخ الديمقراطية في أجهزة الدولة وتزحزح تلك العناصر منها.

إن مراجعة النظام الدكتاتوري تركزت على الاهتمام بالضحايا وبحياتهم اليومية, وتعويضهم المادي والمعنوي, ومعاقبة المسؤولين ومتابعتهم والقيام بحملة إعلامية ضدهم ونشر أسمائهم في الصحف.

(مراجعة الماضي والبحث عن الحقائق)
تجربة جمهورية جنوب أفريقيا

التجاوز على حقوق الإنسان لم يبدأ في عام ١٩٤٨ حين أسس نظام مبني على العنصرية (ئاثارتايد) للسكان الأصليين السود ومن قبل الأوروبيين المحتلين البيض – بل بدأ من عام ١٦٥٢ حين وصل الجيل الأول من الأوروبيين إلى البر في مدينة (Kap) في جنوب افريقيا.

قامت الحكومة بعد مذبحة (Sharpeville) عام ١٩٦٠ بمنع جميع احزاب السود مما اجبرت منظمات واحزاب السود (ANC) على النضال المسلح, واصبح العنف والقمع ضد السود عملا يوميا مخططا من قبل حكم البيض.

في الاجواء التي رافقت سقوط معسكر السوفيت في عام ١٩٩٠ وانهيار النظام العنصري واجواء (بيرسترويكا) والحصار الاقتصادي على جنوب افريقيا" اطلق سرح (مانديلا) والقادة السود والآخرين بعد (٢٦) سنة من السجن, ورفع الحظر عن احزاب السود وفي مقدمتها (ANC), في عام ١٩٩٣ وبعد مفاوضات دامت (٣) سنوات بين الحزب الحاكم للبيض برئاسة (de Klerk) و بين حزب (ANC) برئاسة مانديلا الغى النظام العنصري اللاانساني وحسب دستور اتفقا عليه.

ولاول مرة في تأريخ جنوب افريقيا أُعطي السود حق الترشيح والانتخاب, وفي اول انتخابات حرة للسود في آيار ١٩٩٤ انتخب مانديلا كأول رئيس أسود لجنوب افريقيا. كانت جنوب افريقيا على شفا حرب إهلية:- جنرالات البيض في النظام السابق يخافون مقاضاتهم عن الجرائم التي ارتكبوها, ولم يكونوا مستعدين لترك السلطة السياسية وفي انتخابات حرة تكون بيد الاغلبية السوداء, ويطالبون هؤلاء بإصدار عفو عام بدون قيد وشرط.

من جهة أخرى يطالب السود الأغلبية بمقاضاة مجرمي النظام البائد. في ١٩٩٥/٦/٢٨ وبعد حوار وتبادل آراء من داخل البرلمان وخارجه, اختار البرلمان حلا وسطا بين الموقفين المتضادين, فسن قانون (اختيار وتشجيع الوحدة الوطنية والمصالحة العامة), وباقتراح من هذا القانون تشكلت (لجنة الحقائق والمصالحة العامة) على أن تقوم بالبحث والتحقيق في الأحداث التي وقعت من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٩٤ وخلال (١٨) شهرا.

انقسمت تلك اللجنة إلى ثلاث لجان فرعية:

لجنة حقوق الإنسان لتوضيح وكشف الانتهاكات في مجال حقوق الإنسان سواء من قبل حكومة البيض أم من قبل الحركة التحررية للسود وبخاصة (ANC), لجنة العفو العام عن المتهمين, لجنة التعويض عن الأضرار التي وقعت للضحايا.

في عملية ديمقراطية حرة وواضحة تكون لكل مواطن ومنظمة الحق في إبداء رأيه وترشيح نفسه وبعد إجراء مشاورات مكثفة مع أهل الرأي والشخصيات الاجتماعية في المجتمع انتخب (١٧) شخصا ليكونوا أعضاء في (لجنة الحقائق والمصالحة). يعمل في هذا المشروع (٤٣٨) شخصا, هم من داخل البلاد وخارجها منهم محقق أكاديمي, والباقي محامون ومختصون في دوائر التجسس والشرطة, وكان الاتحاد الأوروبي يمول مصاريف هذا المشروع الإنساني الواسع.

أنهت (لجنة الحقائق والمصالحة) أعمالها في عام ١٩٩٩ بعد تمديد مدة عملها لستة أشهر أخرى, وأعلن رئيس اللجنة الأسقف الأسود (ديزمون تيتو) وهو محايد ناضل بصورة سلمية جنبا الى جنب مع نضال الحركة التحررية المسلحة لشعبه ضد العنصرية (ثاثارتايد) واصدر تقريرا نهائيا مفصلا عن أعمال اللجنة بـ (٣٥٠٠) صفحة وضمن (٥) أجزاء وسلم التقرير لرئيس الجمهورية (مانديلا).

نظرت اللجنة في (٢٠) عشرين الف شكوى على مئات المنظمات والأفراد, وقُدمت إلى لجنة العفو آلاف الطلبات للعفو, إلا أن اللجنة لم توافق إلا على (١٥٠) طلبا, ثم تقاطرت على اللجنة (١٢) الف طلبية اخرى للعفو ويتطلب ذلك التحقيق في كل طلب ولذا مددت أعمال اللجنة إلى أواخر سنة ١٩٩٩.

هناك آراء وأفكار متناقضة وخاصة في مسألة (العفو عن المجرمين), هناك من يرون انه بدون القصاص عن الظالمين لا يمكن أن يعاد الحق إلى المظلومين, وهناك آراء للمختصين تقول انه بدون المصالحة العامة لا يمكن الانتقال من النظام العنصري بصورة سلمية إلى النظام الديمقراطي البرلماني, وقدمت شخصيات مشهورة للسود وأقارب الضحايا والمفقودين طلبات بإلغاء قانون العفو إلا أن المحكمة الدستورية رفضت الطلب .

كان اغلب الشهود نسوة ويحضرن مع عدد من أقاربهن وأصدقائهن أمام أحد أعضاء اللجنة, وأعضاء اللجنة يسرفون في تقديم العواطف الجياشة والرقة في التعامل معهن, ثم يساءلن أمام المحققين وهن يجهشن بالبكاء وبلغاتهن ولهجاتهن الخاصة يحكين ما جرى بحق أهلهن وأقاربهن, وخلال تلك الحكايات يسائلن المحققين:

- لماذا كنتم معنا قساة القلوب وتعاملوننا كالحيوانات؟

- لم تسمح الشرطة بدخول غرفة المحقق, فدخلتها عنوة فرأيت ابني (بيكو) وهو قطعة هامدة وغارق في الدماء!!

كان الشهود من الفقراء والكادحين يأتون من القرى والمناطق البعيدة, تدون إفاداتهم وحكاياتهم البسيطة كما هي وتنشر كلها في الصحف والإذاعات وفي جميع أنحاء البلاد, دام هذا العمل اكثر من سنتين. بهذا العمل وعلى أقل تقدير أعيدت الكرامة الإنسانية الى هؤلاء الذين لم يستمع أحد قط إليهم وكان نوعا من المواساة لهم.

المسؤولون في دوائر الشرطة والجيش والمخابرات السرية للنظام العنصري قاموا حسب خطة منظمة قبل تسليم السلطة لحكومة السود الجديدة بإتلاف ٩٠٪ من الوثائق التي تدين جرائمهم وأعمالهم القمعية. إن محاكم الجزاء تطالب المشتكين بتقديم وثائق كونكريتية تثبت ادعاءاتهم والوثائق كما ذكرناها آنفا تالفة, ويبقى اعتراف المتهمين بذنوبهم في بعض الحالات , لهذا السبب لم تكتشف جرائم النظام العنصري كلها, كانت أهمية لجنة مراجعة الماضي و (منظمة العفو الدولية) تظهر في انه قد خلقت أجواء رحبة أمام العالم والشعوب وخاصة أمام شعب جنوب أفريقيا ليطلعوا على حالة المسؤولين عن الجرائم والقمع وكم هم أذلاء صغار أمام ضحاياهم, وكم هم يشعرون بتأنيب الضمير, وكم كانت جماهير الشعب في العالم وجنوب أفريقيا تشعر بالتشفي والزهو لانتصار قضيتها ونضالها ضد النظام العنصري للبيض.

منظمة (أمنيستي – العفو الدولية) هيأت فرصا للمتهمين أن يدلوا بإفاداتهم أمام (٥) قضاة للمنظمة وبحضور وسائل الأعلام والجماهير, وطالبتهم بالاعتراف الكامل بجميع ما قاموا به ضد السود الضحايا من قتل وسجن وتعذيب, على المتهمين أن يجيبوا على أسئلة محامي الضحايا. أي متهم يثبت للقضاة بان الدافع لأعماله كان دافعا سياسيا مثلا: (في خضم مخاطر الشيوعية على المسيحية وثقافة الغرب ودعوة الدين المسيحي للبيض المدنيين إن يقوموا بمساعدة السود المتأخرين وجعلهم مدنيين عارفين بالطريق المستقيم في الحياة" وليس بدافع مادي للحصول على المال!! وانه (المتهم) أدلى بجميع ما لديه من المعلومات, أي متهم اثبت دوافعه تلك بمقدوره إنقاذ نفسه من العقاب حتى لو قتل شخصا بدون وجه حق, وكذلك يعفى من دعاوى الحقوق المدنية كتعويض (هل الضحايا مثلا!!

وعن طريق نظام العفو الدولي هذا, اكتشفت جرائم وانتهاكات كثيرة وخاصة في أجهزة الشرطة والاستخبارات للنظام البائد, وحدث تحول خطير في هذا المجال إذ اعترف قائدان لمفرزتين سريتين جدا كانتا تقومان بالقتل والتعذيب, اجبر هذا الاعتراف الخطير المسؤولين الكبار والمتعاونين معهم على المطالبة من (أمنيستي) بالحضور أمامهم والاعتراف بما لديهم, إلا أن هؤلاء المسؤولين الكبار لم يكشفوا جميع ما لديهم من المعلومات المهمة. المسؤولون الذين لا يعترفون بجميع أعمالهم الإجرامية أمام لجان المصالحة يُجرّون على الحضور أمام محاكم الجزاء حيث شكاوى الضحايا وأهليهم.

لجنة مراجعة الماضي والمصالحة أثبتت بالدليل القاطع أنه في عام outer ١٩٨٠ وبرئاسة طبيب للقلب وجنرال المخابرات (~~Wovter~~ Basson) وضع برنامج لصنع أسلحة كيمياوية وبايولوجية وذلك لاستخدامه في أوقات الضرورة ضد المواطنين السود, وكذلك استخدام سم ضد (مانديلا) وهو في السجن, ويكون السم مخففا لقتله بصورة تدريجية وفجائية.

أُرسل الجنرال (Basson) الى محكمة عسكرية داخل الجيش ولم يطلب أي جنرال من (أمنيستي – منظمة العفو الدولية) الحضور في المحكمة!! كان ٨٣ ٪ من البيض يتهمون اللجنة بعدم الحياد والنزاهة, إلا أن اللجنة أثبتت أن أكثرية الجرائم والانتهاكات لحقوق الإنسان ارتكبتها حكومة البيض ضد أغلبية السود. وأخيرا زار (لجنة مراجعة الماضي والمصالحة) في جنوب أفريقيا كلا من ملك وملكة السويد والنرويج والدانمارك ورؤساء جمهوريات ألمانيا وفرنسا والبرتغال وكوفي أنان و (هيلاري كلنتون), وقيّموا أعمال اللجنة عاليا وكتقدير واحترام لأعضاء اللجنة.

*****

﴿ البعث ومشاريع للانتقام ﴾

كلمة الانتقام غبرة ترهقها قترة, وفضاء إيحاءاتها داكنة مغبرة كوجوه المولعين به, ومع كل ذلك فالانتقام مرتبط بالأحداث الجلل في التاريخ البشري, بل استطيع ان اقول انه وعبر طول التاريخ وعرضه كان الانتقام محركا فعالا في مسيرة الحضارات المختلفة, للانتقام ابعاد مختلفة في الاحداث التاريخية" فهناك قادة واحزاب نذروا انفسهم وكيفوا كل ما هو مشرق في افكارهم ومبادئهم ليستثمروه في مشاريع الانتقام وخرائطه السوداء, فالانتقام لدى هؤلاء اصبح غاية في حد ذاتها... فكم من وطن وشرف ومباديء بيعت انتقاما وبثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين.

هناك حالات ياخذ فيها الانتقام بعدا عقلانيا – بعض الشيء... اذ يبدا القائد او الحزب الفلاني بالرد على أنداده, ويبحث عن اقوى حجة وغالبا من اوهام, يعتصر تلافيف دماغه لينتقم وينتقم, وهناك حالات يسير فيها الانتقام صوب الاعاصير الدموية فهناك شر البلية. فلنأت الى ساحة العراق الى صحاري البعث وبراري عمره الغارق في ركام من الهمجيات والكمائن والمكائد , فنرى كيف شوه وجه العراق الناضر بالاخاديد والجروح الدامية وكيف خرج ظايروس الانتقام من عقاله ليحصد ارواح العراقيين .

كان انقلاب سنة ١٩٦٨ مشروعا انتقاميا مترامي الاطراف والاهداب , خصصت له اموال طائلة, هم المشروع الدائم كان وما يزال الانتقام:– الشعبة الفلانية تنتقم من الضباط المستقلين او البعثيين الذين لا يُروضون, الجهاز الفلاني ينتقم من المنشقين ويصفيهم (جسديا دائما!)

وهكذا اصبح الانتقام ذلك الوحش الكاسر يحصد الطوائف والاحزاب والقوميات. كانت حصة شعبنا الكردي من المشروع دسمة غنية

بالتخطيط والتنسيق والتخصيص المالي, فالانتقام من شعبنا يبدا بإفقاره ثم تبعيثه وتعريبه وشراء الذمم وتخريب القيم الاجتماعية الأصيلة ثم انفلته وزحزحته من وطنه كردستان. اعذروني وانا اختزل تواريخ وشخوصا واحداثا كثيرة في ساحة الانتقام واذكر هنا انتقاما واحدا فقط من شعبنا الكردي وهو عقد اتفاقية الجزائر المشينة سنة ١٩٧٥, فانتقاما من شعبنا تنازلوا عن اراض ومياه تبلغ مساحتها نصف ارض فلسطين, ثم دخل الانتقام مرحلة جديدة وهي مرحلة الخوف من انتقام الآخرين, بدات هذه المرحلة بآية قرآنية اطلقها الإمام الخميني في جواب رسالة الى صدام حسين قال فيه: (والسلام على من اتبع الهدى), فهنا شُمّت رائحة الانتقام, فلأجل المبادرة وسبق اليد ولغايات في نفس يعقوب اعلنت الحرب على ايران, ويعرف القاصي والداني كيف ان حزب البعث حاول ان يقنع شعب العراق بل الشعب العربي ان الحرب انتقام من (الفرس المجوس!!), استنجدوا بالقادسية الاولى واحداثها, ونسوا او تناسوا ان الفرس المجوس في القادسية الأولى قد هُزموا شر هزيمة, فلماذا وممن ينتقمون؟ اذا خافوا ان ينتقم الفرس لهزيمتهم الغابرة, في تلك الحرب اللعينة دمر العراقيون (النشامى!) مئات القرى والمدن الايرانية وهكذا انتقمنا لأجدادنا الذين (استشهدوا!!) في القادسية الأولى!!

المشروع الثاني للانتقام

يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم (ولكم في القصاص حياة) ويقول المناضل والروائي الفرنسي العظيم (اندريه مارلو) على لسان احد شخصيات روايته الموسومة بـ (قدر الإنسان) وهو يعاني من استشهاد ابنه, يقول ذلك الشخصية لزوجة ابنه: (على طريق الانتقام نلتقي بالحياة). من هذه المنطلقات النضالية ندعوكم أيها الاخوان الأعداء واقول: يا (لفظاعة ما رايناه ولروعة ما فقدناه), أما آن الأوان ان تختموا مشاريعكم الانتقامية بالشمع الاسود وتبدلوها بمشروع آخر هو الانتقام من أعداء شعبنا: المرض والجهل والفقر؟... جربوا ... ثقوا انكم لا تحصدون من المشروع الجديد سوى رضاكم عن انفسكم ورضا الشعب فرضا الله, واخيرا: رفقا بتاريخنا وشعبنا يا منتقمي هذا الزمان!!

*****

إيران: من متاهات الاستعلاء
﴿ إلى البحث عن محرك جديد للتاريخ ﴾

نشرت مجلة (نكاه نو-النظرة المعاصرة) الصادرة في طهران وبعددها ٣٦ في سنة ١٩٩٨, دراسة قيمة للكاتب (على رضا مناف زاده) وبعنوان "تاريخ برافتخار- تاريخ ملئ بالزهو) تناول الكاتب فيها المناهج التي كتب المؤرخون القوميون في إيران وعراق وتركيا بموجبها تاريخ بلادهم, ان الدراسة وكما يظهر من ثناياها, كتبت بروح متفتحة شغوفة بالحقيقة, إنها محاولة متأخرة لاعادة كتابة التاريخ الإيراني قديما وحديثا, الا ان الدراسة تحتاج الى تعمق وصراحة اكثر وبخاصة عندما تبحث عن قوميات متعددة في ايران.

رغم اني لست مؤرخا ولا متضلعا في التاريخ, الا انه ارى لزاما علي ان اشير-كلما استدعت الحاجة- الى المسائل التي تتطلب إغناءً ووضوحا اكثر (وبقدر ما أستطيع).

اعتبر هذه الدراسة صحوة نيرة, تحدث في أوساط المثقفين والمؤرخين الإيرانيين, فبدءوا بمراجعة ومساءلة قناعات كانت راسخة متجذرة بل مقدسة منذ مئات السنين. نتمنى ان تزداد الصحوة القا بالتواصل وصراحة اكثر كما ونتمنى ان تحدث ايضا في تركيا والعراق.اعتقد ان الخطوة الاولى نحو صحوة في كتابة تاريخ المنطقة قد خطاها مثقفون موضوعيون في العراق ومن خلال مناهج آثارية واجتماعية وتاريخية, أمثال العلماء طه باقر وفؤاد سفر وشاكر خصباك وعلي الوردي وغيرهم, ان هؤلاء نأوا بأنفسهم وبدرجات متفاوتة عن تفسير وتحميل أحداث التاريخ بما يخدم العداء القومي والاستخفاف بالقوميات الاخرى.

اتمنى من المؤرخين والمثقفين الكرد ان ينفضّوا عن اذهانهم غبار الافكار والآراء التي ترشحت من المناهج التاريخية للقوميات المتسلطة والمشبعة بـ(لا تاريخية) و(دونية) الآخرين, وان يكتبوا تاريخهم هم كما هو, ويجعلوا من احداثها المأسوية عظة للاجيال وليس خنوعا ويأسا. -المترجم-

ينظر اغلب المثقفين الايرانيين الى تاريخهم من منظور قومي, ترافق تلك النظرة الى التاريخ, أحاسيس رقيقة جدا, لهذا السبب بالذات فان تقييم تلك النظرة ومراجعتها والكتابة عنها تكون صعبة, لان التخاطب والتحاور حينذاك يكون ليس مع العقل فقط بل مع القلب أيضا, ليس المثقفون الايرانيون وحدهم ينظرون النظرة نفسها بل ان اغلب المثقفين الترك والعرب يفكرون على المنوال نفسه.

بالنسبة الى ايران, فان النظرة القومية قد تغيرت منذ ظهور الحركة (المشروطية) أي في الخمسينيات من القرن العشرين, نحاول الان ان نسلط الاضواء على جذور تلك النظرة, ومنابع تلك الاحاسيس, ومدى الاستفادة منها في حياتنا, وتداعيات تلك في السياسة والثقافة, وماذا كانت وتكون النتيجة في الماضي والمستقبل؟ قبل عام (١٩٨٨) وفي عدة مقالات قيمة, اثار المفكر الايراني (داريوش اشوري) اسئلة ملحة, فعالجها بذكاء وحكمة, طبعت تلك المقالات مع عدد مقالات اخرى لي وضمن كتاب بعنوان (ماومدرنيت-نحن والحداثة), ونشرت في طهران عام /١٩٨٨.

لقد استفدت كثيرا من آراء وافكار ذلك العالم الجليل, وعلى الإيرانيين ان ينهلوا بعمق ورؤية من افكار (اشوري), كتابة التاريخ على النمط الحديث راجت في ايران قبل حوالي سبعين سنة, الا ان منهج التقييم والنقد للتاريخ يكاد غائبا عنا, ولم يصل بعد الى المستوى اللائق به, ان افكارنا وعقولنا تعاني من السقام ومغلولة بأغلال الماضي وإشكالا ته. ومن الراجح انه: ليس ثمة قوم في هذا العالم اكثر منا إثارة لماضيه. احد مصادر هذا المرض هو كيفية نظرتنا الى ماضينا_او بمعنى اوضح هو حقيقة ان عقولنا حبيسة

وبشكل مأساوي في زنزانات الماضي, ومن البداهة التاريخية انه وبعد حركة (المشروطية), اعيد النظر في تاريخ ايران قبل الإسلام وبعده, فكيف كان منهج المراجعة وفي أية ظروف بدأ العمل؟

١- التاريخ كمرهم للجروح وترياق للخمول

بدءا لمعرفة جوهر هذا العنوان التاريخي, من المحبذ ان نمعن النظر فيما قاله (عباس اقبال ئاشتياني) وهو من رواد المؤرخين المعاصرين في ايران. يقول اقبال مقيما كتاب (تاريخ ايران منذ البداية الى ظهور الاسلام):

(عندما ينشر هذا الكتاب يطلع اهل هذا الزمان على احوال اسلافهم, وبقراءة تاريخ اباء واجداد ايران العظام ومنجزاتهم" تنفتح امام الايرانيين افاق جديدة ويتبين ان الايرانيين القدماء كانوا دوما بمصاف الاقوام العظيمة في التاريخ وذاعت شهرتهم في افاق الدنيا), (لذا فليشعل الزهو والتعالي نارا في قلوب المواطنين ويحرق الكسل والجمود فيهم وان ذلك الماضي المجيد يدعوهم بل يوبخهم ليعودوا الى حياة أجدادهم العظام).

يتضح مما قاله (اقبال) كيفية تناول المثقفين الاحداث التاريخية وفي أي ارضية تعمقت جذورها! ان (اقبال) يحرض الايرانيين بل يعشش في أذهانهم (روح التعالي والغرور القومي) بعد ان أصيبوا بالخمول والضمور أي بمعنى اخر يدعو مؤرخي ومثقفي اليوم ان يؤرخوا عصرهم بتلك الروحية وعلى السجية نفسها.

لابد هنا ان نؤكد ان تلك الاحاسيس متجذرة في ضمائر الايرانيين, فلولا وجودها لما ظهرت تلك الكتابات التاريخية أي ان ذلك التاريخ المشبع بالتعصب والغرور انعكاس لتلك المشاعر المتراكمة منذ القدم بين الايرانيين, ان لغة التحريض والاثارة وكيل المديح والشتيمة في اغلب الكتابات التاريخية لـ(٧٠) السنة الماضية_ترجع لاى لتلك المنابع الموبوءة بالتعصب.

للحقيقة , لابد ان نقول: ان كتابات (إقبال آشتياني) و(حسن بيرنيا) اقل تعصبا وانحيازا من كتابات المؤرخين الآتين بعدهما, فكلما ابتعدنا من ايامهم واقتربنا من ايامنا هذه شعرنا بان التعصب والانحياز في كتابات المؤرخين المعاصرين اكثر وضوحا وحرارة, اي ان المؤرخين الايرانيين يزدادون شوقا وتعطشا للوصول الى ما دعا اليه (اقبال).

نشر (عبد الحسين زرين كوب) في سنة ١٩٥٢ كتابه "قرنان من السكوت" وفي سنة ١٩٥٧ حين يريد نشر الطبعة الثانية من الكتاب_يعيد النظر فيه بالحذف والإضافة والتعديل, ويقول في مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب:

(حينما عرضت في كتابي هزيمة الإيرانيين وانتصار العرب لم استطع الاعتراف بنقيصة واغلاط الإيرانيين, فلا اعرف! هل كان ذلك نابعا من عدم نضوجي او سبب التعصب والانحياز؟), (كان روحي في تلك الايام تغلي وتتموج حماسة واثارة, كنت انسب كل الاشياء الجميلة والمنزهة والسماوية الى ايران والايرانيين, وماعدا ذلك انسبها الى الآخرين), ان هذا الاعتراف شهادة وشجاعة يسجلها احد المؤرخين الايرانيين ويستحق كل الثناء والاعتزاز.

ان المثقفين – وبخاصة المؤرخين منهم_ حينما يطلون على ماضي ايران وعظمائه في السياسة والثقافة والتاريخ_ يدافعون عنها, والذين ينأون عن مثالب التعصب هم القلة, ان تحديد وتقييم ذلك التعصب يعتبر من اصعب الامور واتعبها, لان المسائل الوطنية والقومية والتاريخية قوية ذات جذور عميقة جدا, احداث التاريخ الايراني قد سيطرت على اذهان وعقول المثقفين, وتعمقت جذورها في زوايا اللاشعور. ان اي انتقاد حقيقي يوجه اليها, يجابه في احسن الاحوال بالقطيعة والاهمال, ان لم يجابه بالشتيمة والاحتقار, ان الدراسات التاريخية في (٧٠) سنة الماضية سواء كانت في مجالات التاريخ السياسي والاجتماعي ام الادبي ام الثقافي_كان جميعها في هذا الحدود ولم يتجاوزها, وهناك قلة استطاعت ان تتحرر من ذلك الاطار..

ان تجاوز تلك الحدود صعب, لان التجاوز يتطلب ان نمسح صورا خيالية مطبوعة على اذهاننا وتلافيف دماغنا, صورا لنا ولماضينا, صورا لامم وقوميات اخرى وبخاصة تلك التي غزتنا وهاجمتنا في الماضي وانتصرت علينا, بل ونعتقد ان المآسي والمشاكل التي نعاني منها في الوقت الحاضر, هي من اثار وتداعيات تلك الحروب والغزوات!!

الكاتب الجليل (علي رضا) اصاب حقيقة صارخة, وهي ان اعادة صياغة ذهنية الايرانيين حول تاريخهم صعب, ولكنها ممكنة لو كانت هناك ارادة سياسية وحريات ديمقراطية وفكرية حقيقية. اعتقد ان آفاق التطور ورياح التغيير, تبشر بالخير, ولا سيما ان برامج الرئيس خاتمي نحو الإصلاح تحتضن وتراعي الانفتاح وانشراح الصدور.

اريد هنا أن اضيف: ان الشعب الكردي في ايران المتعايش منذ الاف السنين – لم يشارك في تلك الحروب والغزوات التي ذكرها الكاتب بل كان بالعكس له دور ايجابي في الحركة الوطنية الايرانية وتصبح مهمة المثقفين والمؤرخين الايرانيين امثال علي رضا اكثر صعوبة لان ذلك الطموح متشابك ومتعددة الابعاد فمثلا كيف يستطيع المثقف والمؤرخ الكردي الايراني ان يمسح بسهولة الصورة المطبوعة على اذهان وعقول الكرد في ايران حول نزعات العظمة وممارسات الحرمان والقهر من قبل الانظمة المتتابعة في ايران وبدرجات متفاوتة؟ "المترجم"

إن تلك الصورة والأفكار المطبوعة أخذناها من كتب التاريخ ومن المدارس والجامعات, وليس بمقدور الناقدين ان يجرفوها بسهولة. كنا ولسنوات طويلة مبهورين بمناهج وايديولوجيات عالمية, سيطرت على كثير من عقولنا ردحا من الزمن, الا ان تلك المناهج والايديولوجيات لم تستطع ان

تمسح تلك الصورة. كيف نستطيع ونحن نرى انه وبعد مرور سبعين سنة من الدعوة لتحقيق المساواة والشيوعية في اوربا الشرقية ودول البلقان واسيا الوسطى_لم تمسح تلك الصور عن اذهان حتى القادة الشيوعيين الأشداء, فراينا بام اعيننا ان هؤلاء القادة اصبحوا بين عشية وضحاها قوميين من ارقى العيارات!!

ان المدارس والمناهج الفكرية العالمية رغم إشراقاتها الانسانية, كانت عاجزة عن الوصول الى الأعماق المظلمة للنفس البشرية, الا ان القومية فقط تستطيع ان تدغدغ وتهدهد حشرجة النفوس البشرية وفي الأوقات الحرجة والملمات, بمقدورها ان تعبيء الناس وتحسن إعدادهم (حسب اهواء النخبة السياسية_المترجم) ان القومية لا تريد ان تصبح نهجا ومبدأ عالميا ومن مفاهيمها وتداعياتها إثارة احاسيس ومشاعر الشعب, والخوف من الأجانب, والميل الى الحيطة والانعزال, لا تبتعد القومية في المعنيين الاخيرين كثيرا عن التعصب القومي, بل هو شكله العصري.

ان القومية نوع من بنيان سياسي وثقافي غايته تأسيس دولة عصرية متينة البنيان ولقوم موحد, ان استخدام التاريخ لتأسيس ذلك البنيان ملائم وعامل مساعد, وهنا ياتي دور المؤرخ, فعليه ان يعدل الماضي او على الاقل يخفف من وطأته وتأثيراته السلبية. عليه ان يصبغ كثيرا من حوادث التاريخ بمسحة اسطورية وبما يخدم وحدة القوميات والثقافات المختلفة المتعايشة في الوطن وبذلك فقط يولد تاريخ موحد مليء بالزهو والاعتزاز, ويكون ذلك النمط من التاريخ ذا مراحل وحقب زمنية, ويتبين مما ذكرناه ان على التاريخ ان يتحمل اعباء وظيفتين اساسيتين:

* يدغدغ احاسيسنا ويخفف من آلامنا واشجاننا, وتعالج (عقدة النقص) التي قد يعاني حاضرنا منها, الحاضر المليء بالانكسارات والعيوب.
* يلهمنا الطاقة والحركة, ويبشرنا بمستقبل زاه مليء بالعزة والكرامة.

للاستشهاد على ما أسلفناه, ندرج أدناه ثلاث نماذج من كتابة التاريخ القومي في تركيا والعراق وإيران.

١-كتابة التاريخ القومي في إيران:

كتابة التاريخ بقصد إثارة (نزعة العظمة), ليست ظاهرة جديدة. كان (ثاسكية/١٥٢٩-١٦١٥) اول مؤرخ فرنسي معروف, نصح المؤرخين بترك اللغة اللاتينية, والاستفادة من لغة الناس العاديين. في السنوات الاخيرة من القرن (١٩) راجع المؤرخون والمفكرون في الغرب الراي المذكور آنفا وسلطو عليه اضواء انتقاداتهم, وبعد سنوات حددوا معاني ووظائف جديدة للتاريخ منها:

* رواية الأحداث كما هي, وبقصد المعرفة والاطلاع فقط.
* العمل للكشف عن الأشياء والوشائج التي تربطنا بالماضي وتبعدنا عنه.

وبهذه الآراء وبصورة تدريجية, فقد التاريخ القومي في الغرب بريقه, المؤرخون القوميون في الغرب حينما كتبوا عن ماضيهم, لم يخجلوا من حاضرهم ولم يشعروا بعقدة النقص تجاهه, (لان حاضرهم كان اكثر إشراقا وتطورا_المترجم). إلا آن المؤرخين القوميين في الشرق تعرفوا على انفسهم وتاريخهم عن طريق مؤرخي ومستشرقي الغرب, وان الشرقيين كانوا يعانون في ذلك الوقت من وطأة التخلف والخوف والهزيمة, ففي هذه الحقبة بالذات بدا الشرقيون بمراجعة ماضيهم, ومن خلال ما كتبه الغربيون عنا, تعلمنا وبصورة بطيئة معاني جديدة للتاريخ, تعلمنا ان نراجع من جديد جميع تراثنا وتاريخنا بحثا وتحليلا وتقييما, كان تاريخنا وحسب المنهج الحديث تاريخا للتخلف والهوان من جهة, تاريخا مليئا بالتفاخر ونزعة العظمة الزائفتين من جهة اخرى, فالى الان لم نستطع الافلات من ذلك التاريخ بصورة كاملة.

في عهد (رضا خان) بدأت إعادة إيران, ومن عهده شعرنا بتعطشنا وولعنا لتاريخ مشرق متسم بالاعتزاز, لتاريخ ازيلت عنه اثار وركامات غزوات العرب والمغول- لتاريخ متفاعل مع مظاهر الحياة العصرية من صروح المعامل

والجامعات والمدن الحديثة, كنا نامل ونطمح من ذلك ان نلهم تاريخا مشرقا حديثا من تاريخ مشرق قديم.

في عهد (محمد رضا شاه) كانت تلك الخيالات موجودة, كان الشاه يطمح ان يبني من التاريخ المشرق الماضي وبالاعتماد على معجزة (بترو دولار) القوة الخامسة في العالم, ان نزعة العظمة, شئنا ام أبينا, جزء من تاريخنا وتقليد خاص في بنياننا الاجتماعي والثقافي.

(كان شأن الكرد في عهد (محمد رضا شاه) يتم تجنبه وكان من المحرمات ولم يتم كسر الطابو الا بعد الصيرورة الجديدة أي الحكم الخاتمي, في الماضي وبصورة اعتيادية كان يمكن محو اللون الكردي من لوحة الحياة الايرانية تحت وطأة وثقل (الهوية الايرانية الجامعة). كان الشاه يعتبر نفسه (نبراس ورمز الآريين), فيؤدي هذا التصور الى ان الكرد والفرس تجمعهما فكرة (وحدة الدم الآرية) ولكن سرعان ما تبين الرشد من الغي, فاتضح ان تلك التبجحات ما هي إلا (العنصرية بعينها). -المترجم-

٢- كتابة التاريخ القومي في تركيا

قبل رضا خان بسنوات, وبقصد خلق وصياغة تاريخ ملىء بالتفاخر والزهو-بدأ المثقفون والمؤرخون الترك بتصفية وغربلة ماضيهم, هؤلاء المؤرخون والمثقفون في نزوعهم الجديد, استفادوا كثيرا من العلماء والخبراء الغربيين المختصين في تاريخ الترك واطلعوا على آخر ما توصل اليه هؤلاء العلماء وحاولوا من هذا الرافد صياغة تاريخ مشرق لهم والارتباط به.

كانت مهمة مثقفي الترك اعقد بكثير من مهمة المؤرخين الايرانيين, لان الترك في عهد العثمانيين والى نهاية القرن التاسع عشر كانوا محرومين من الهوية القومية وان كلمة (الترك) حسب المصادر العثمانية كانت تطلق على فلاحي ورعاة اناضول.

في هذا الوقت بالذات استغل مثقفو ومؤرخو الترك هذه الفرصة فأعلنوا ان (الهيتيين) هم من أحفاد (تورك كوناران), وقد جاءوا قبل آلاف السنين من اسيا الوسطى الى الاناضول وسكنوا فيها (هل هذه الرواية صحيحة وما هو موقف علماء الآثار الغربيين في ذلك الوقت ولاحقا من ذلك الادعاء التركي- المترجم) بعد سنوات اتضح لعلماء اللغات الغربيين, ان لغة الهيتيين هي من اصول اللغات (الهندو اوربية).

انطلاقا من اكتشاف الآثاري (ويلهيلم تومسون) لارقم حجرية وطينية في جنوب بحيرة (بايكال), وقراءة متون تلك الارقم, ومن كتابات كاهوب)_بدا المؤرخون الترك امثال الكاتب والمفكر نجيب عاصم وسليمان باشا وضياء طوط الب (وهو كردي من اهالي ديار بكر) باختلاق قصص واساطير عن تاريخ الترك, ان هؤلاء الكتاب يطمحون بشوق ونهم الى غربلة تاريخ الترك من التراث الاسلامي السلفي.

(اعرف ان الكاتب الفاضل ليس بصدد احصاء القوميات العريقة في تركيا, الا انه مادام يطرح كيفية كتابة التاريخ القومي في هذا البلد, فكان من المحبذ ان يتطرق الى اصول قوميتين أخريين في تركيا وهما الكرد والارمن فحتى ان القوميين الطورانيين يعتبرون الكرد في تركيا اتراك الجبل!!-المترجم)

في عام ١٩٣١ اصدر"مجلس البحوث التاريخية للترك" كتابا بأربعة أجزاء, واصبح لاحقا هذا الكتاب مرجعا للكتب المنهجية في مدارس ومعاهد وجامعات تركيا كافة, ادرج فيما يلي زبدة من افكار هذا الكتاب :

* عنصر الترك من اعاظم (محركي التاريخ) انه احتفظ بتقاليده وشخصيته وتراثه باحسن وجه, انه انتشر واختلط بصورة واسعة في دول الجوار, الا انه لم يفرط بخصوصياته القومية, ان اسلاف هذا العنصر العظيم وخلال العصور الغابرة جدا, بنوا حضارات ودولا مختلفة, وصانوا لغتهم وثقافتهم من الضياع على مر العصور.

* عندما وصل الترك بلاد ميزوبوتاميا "بلاد ما بين النهرين" كانت حواف دجلة والفرات مستنقعات وادغالا فبداوا بحفر الآبار والجداول, وبذلك تطورت انظمة الري والحضارة في ذلك البلد!!

* عندما وصلت موجات عنصر الترك الى مصر وسكنوا في دلتا النيل, لم يكن قد سكن في دلتا قبلهم أي انسان والسكان المحليون يعيشون في حواف النيل, وهم كانوا يعيشون في العصر الحجري, وبعد مجيء الترك فقط, بدات الحياة الاجتماعية في مصر, وانتقل المجتمع المصري مباشرة الى مرحلة حضارية متقدمة واكتشف الإنسان في هذه المرحلة الجديدة!!

* كان قوم (هيتي-خيتي) تركي العنصر والعرق, كان عظم جماجمهم يشبه جماجم السومريين والايلاميين, كانت النساء يشاركن الرجال في الحكومة وفي الاعمال كافة.

* من الترك تعلم الاوروبيون الزراعة وترويض الحيوانات البرية, والفاتحون الترك كانوا في ميادين الفنون والفكر والعلم اكثر تقدما من الاوروبيين كما تعلم الاوروبيون من الترك العيش في القرى والمدن, فتركوا حياة الكهوف وارشدوهم الى الطريق نحو الحضارة!!

تلك الفقرات نماذج من آراء المؤرخين الشباب, كان هذا في الأعوام ١٩٣١ -١٩٤٥ . من عام ١٩٨٠ انبعث جيل جديد من المثقفين الترك من ذوي الأفكار الحرة وبدأوا بمراجعات وتقييمات نقدية للكتابات التاريخية السالفة, وان عدد هؤلاء يزداد يوما بعد يوم في المجتمع التركي, ومن المحتمل ان ما قامت به الدولة التركية في السنوات الأخيرة بتغيير بعض المواضيع التاريخية في الكتب الدراسية, كانت نتيجة تلك الكتابات المعاصرة وتقييماتها النقدية, وكمثال على ذلك لايوجد في الكتب الدراسية موضوع تاريخي يبحث عن ان الترك هم (الهيتيون) القدامى.

٣-المؤرخون القوميون في العراق:

ان العراق كدولة مستقلة لا يتجاوز تاريخه السياسي (٨٠) سنة, ان المؤرخين القوميين في العراق-يجعلون من تاريخ صيرورة الإسلام والعرب واحدة, انهم يذكرون في الكتب المنهجية بزهو وارتياح ان غزو العرب للبلدان ونشر الدين الإسلامي كان عملا حقا وصحيحا, وكان لغرض تحرير البلدان وشعوبها, كما ان مؤلفي تلك الكتب يرون ان شعوب البلدان المحتلة لم تقارع جيوش الاحتلال فقط بل أستقبلت تلك الجيوش بفرحة غامرة لان تلك الشعوب كانت بالفطرة تواقة للاسلام والمسلمين!!

ان المؤرخين القوميين العراقيين, عنما يختارون المواضيع والاحداث والشخصيات يبرزون ويهولون دائما العناصر العربية فقط, وحتى من بين العلماء والمفكرين العرب يبرزون فقط الذين عملوا لخلق تاريخ مشرق للعرب فمثلا لم يبرزوا ابن خلدون لانه تنبأ بأفول شمس حكم العرب وزوال سلطانهم السياسي وان الترك سيحكمون المسلمين.

ان المؤرخين القوميين لا يبرزون ابن خلدون الا انهم يبرزون (ابا عبدالله محمد محمود الصقلي) ويهولونه كخبير عربي في الجغرافيا, عاش في القرن السادس الهجري والف كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الافاق), ورسم خارطة للعالم, ويعتقد هؤلاء المؤرخون ان الكتاب المذكور هيأ للأوربيين ارضية الوصول الى اصقاع الدنيا, وبواسطة خبراء الجغرافية العرب فقط, اقام الاوروبيون العلاقات التجارية مع البلدان البعيدة!!

ان تضخيم دور العرب في تعليم الاوربيين لمختلف الفنون والعلوم_جزء من هلوسة المؤرخين القوميين لخلق وكتابة تاريخ مشرق للقومية العربية, انهم يبالغون بنهم في تاريخ العراق قبل الاسلام, ويرون بلاد ما بين النهرين مهدا للحضارات والتاريخ المشرق للعرب وان لسكان العراق وعلى مر التاريخ دول قوية ومدنا كبيرة, هؤلاء المؤرخون يقولون دائما ان الدول المعادية للعراق وبخاصة ايران والروم والمغول احتلت العراق وزرعت فيها القتل والهدم والانحلال.

ومن المثير حقا ان هؤلاء المؤرخين يرجعون أسباب ضعف العرب والمآسي التي يعانون منها إلى الاستعمار, وبالتصور نفسه يطلقون "الاستعمار العثماني" على حقبة حكم العثمانيين, اعتقد ان تسمية الحكم العثماني بالاستعمار, ينطلق من التصور الخاطئ لمعنى الـ(ملة), حيث يقصدون بالكلمة معناها المعاصر وعلى جميع مراحل تاريخ العرب.

٤- كتابة التاريخ القومي في إيران:

ان الملهم الأساسي في عملية كتابة التاريخ في ايران هو معادات العرب والترك والانزعاج من الآثار السلبية التي تركها حكمهم الطويل وسيطرتهم على الثقافة والتعليم في إيران, وانطلاقا من هذه المعادلة يبالغون جدا في تصوير التاريخ الإيراني قبل الإسلام وبخاصة عهد الساسانيين, وبذلك يرون في هزيمتهم وانتصار العرب كارثة أليمة لا تعوض.

يرى الإيرانيون في هزيمة الساسانيين بداية تاريخ طويل من الذل والانكسار, ويعتبرون تلك الهزيمة تقويضا وانهيارا لحضارة عظيمة مشرقة. ان الايرانيين قبلوا الاسلام دينا, ولكنهم احتفظوا بتاريخهم ولغتهم, وميزوا انفسهم عن باقي الشعوب بهاتين الميزتين. بعد مرور مائتي سنة من حكم العرب في ايران المحترقة, تنبعث ايران من الرماد, وتاتي الى سدة الحكم اسرة ايرانية فتحصل على نوع من الاستقلال عن سلطة الخلافة في بغداد.

المؤرخون القوميون ينظرون بحسرة ولوعة الى ايران ما قبل الاسلام, ويرجعون جميع المكاسب والاعمال الجيدة في العهد الاسلامي وبمختلف الحجج والتنظيرات_الى عهد ما قبل الاسلام. يعتبر المؤرخ الايراني الحديث (آشور) ذلك (الارجاع) كان تسليم لتاريخ مشرق الى تاريخ ميت, وهذا نوع من الجنون. ان الذين يتباهون بتاريخ ما قبل الاسلام ويسمونه تاريخا مشرقا موضع تفاخر واعتزاز الايرانيين_لديهم ايمان راسخ بان: هناك عبقرية نادرة وقرارا الهيا

خص به هذه القومية وجعلها وحدها منبعا لكل الأشياء والأعمال الجيدة في الخليقة!!

خيالات هؤلاء المؤرخين لا تتوقف عند هذا الحد, بل يقولون:- ان منابع الفكر اليوناني ترجع الى الخلفاء الزردشتيين, وان المسيحية وحركة (البوذا) وجذور جميع الحركات الدينية المشهورة ترجع الى ايران, منها ولدت ونشأت وانتشرت! وباختصار ان هذا العنصر الأصيل المختار منح من جعبته العبقرية والحكمة والشجاعة بحيث خرج نفسه خاوي الجيب وخالي الوفاض!! (يرى المؤرخون القوميون ان اهم مكونات (الهوية القومية الايرانية) عدا اللغة الفارسية هو المذهب وانه اصبح في ايام طغيان خلفاء الأمويين والعباسيين احد محركات التاريخ في ايران, ووراء هذه الواجهة استطاعت ايران الاحتفاظ بنوع من الاستقلال عن مركز الخلافة.)-المترجم-

صحيح ان اللغة الفارسية ثروة ادبية وثقافية واسعة, ان هذه اللغة خيط رفيع يربط ايران الحديثة بالقديم, ان الإيرانيين بعد قبولهم الاسلام لم يتركوا لغتهم وقوميتهم فيصبحوا عربا كالقوميات الاخرى. يعتقد المؤرخون القوميون ان انتشار اللغة الفارسية في كثير من الدول الاسلامية, واستعمالها في شؤون الدولة والثقافة, نابع من حيوية الحركة القومية الفارسية في تلك الأيام, إلا اننا نعتقد ان هذه الآراء والتصورات, ما هي الا مفارقات تاريخية, انهم يعتقدون ان اللغة الفارسية لكونها من اللغات الهندو اوربية, يستطيع الناطقون بها ان يصبحوا مثل الاوربيين والامريكيين من حيث التقدم الحضاري والثقافي بل اكثر!!

(داريوش آشوري) ولسنوات طوال, ناضل بجد وقدم فيضا من الكتابات لتصفية وغربلة وتقوية اللغة الفارسية, يقول وبواقعية رصينة عن هذه اللغة:

"كانت هذه اللغة في بداية القرن العشرين ومقارنة مع اللغات الأخرى- لغة آسيوية متأخرة, وبعكس ماضيها المشرق. ان السلطة الثقافية للغة ما,

مكسب لاصحابها المبدعين أولا, وليست حجة وبرهانا على قوة الدولة وحيوية المجتمع " "هناك من بين الاجيال السالفة والراهنة اناس ارادوا ويريدون ان يجعلوا من اللغة الفارسية وتراثها الادبي محورا لـ"الوحدة القومية الايرانية"

إننا وكحقيقة صارخة لا نستطيع بعد الآن ان نبعث الامبراطورية السياسية الايرانية بالاعتماد على سيف (اردشير) و(السلطان محمود الغزنوي) و(نادر شاه), كما لانستطيع ان نبعث امبراطورية اللغة الفارسية بالاعتماد على لسانيات الفردوسي ومثنوي وحافظ الشيرازي...و.. تعيد اللغة الفارسية مجدها الغابر فقط بمدى مجاراتها فاقتدارها الاجابة على كافة متطلبات العصر الكثيرة المتنوعة.

هناك ملاحظة تسترعي الانتباه هي ان المؤرخين القوميين في الدول الثلاث (العراق- تزكيا- ايران)يحاولون ان يتصنعوا ويختلقوا وشائج وروابط تاريخية بين مجتمعاتهم وبين النماذج الاعلى من المجتمعات الاوربية, وان هذه السمة تكاد تكون مشتركة بين هؤلاء المؤرخين (واحيانا تكون الوشائج المختلفة اهون من خيط العنكبوت-المترجم) نعتبر هذا (عقدة نقص) لها جذورها وإرهاصاتها في السلوكيات والثقافات الشرقية, نرى من الضروري ان نذكر قليلا من المفارقات التاريخية من اراء وأفكار المؤرخين القوميين في الدول الثلاث:

المفارقات التاريخية لدى المؤرخين القوميين :-

بدءا أحبذ ان اذكر معنى المفارقة التاريخية Anachronisme وهي عبارة عن شيء يوضع او يحدث في غير زمانه الصحيح-قاموس المورد, في المفارقات التاريخية تخلط الازمان والاحداث, وتهمش او تهمل مميزات وفوارق لمراحل تاريخية مختلفة, كل ذلك لغايات في نفس المؤرخ او الراوي, في المفارقات تعطى الاولوية للاعتبارات العاطفية قبل الاعتبارات الفلسفية والأخلاقية.

نبدأ بتقسيم المفارقة التاريخية بكتابة التاريخ القومي في العراق, حيث يعتبرون الإمبراطورية العثمانية استعمارا, ويستعملون كلمة (ملة) بمعناها الحديث, إن كلمة (امبريالزم) مقتبسة من الإمبراطورية. قبل تشكيل الدولة الإسلامية, كانت انظمة الحكم السياسي إمبراطورية. ان الأنظمة الحالية السياسية في الدول الثلاث من بقايا الإمبراطوريات!!

تطلق الإمبراطورية على الدولة التي تحكم قوميات واعراقا مختلفة, وكانت محتفظة بلغاتها وثقافتها وتاريخها, تلك القوميات كانت تعيش في ظل حكم قومية اكبر واقوى وبدون وجود علاقات عميقة فيما بين تلك القوميات كانت تنطق اعتياديا بلغاتها الخاصة ولا تحتاج الى لغة عامة (مركزية او لغة القومية المتسلطة-المترجم). احيانا كانت لغة ديوان الإمبراطورية العثمانية ولمدة بضعة قرون اللغة الفارسية, كما كانت لغة ديوان امبراطورية (هاخامنشي) لغة ارامية,كانت لغة ديوان الحكم الصفوي تركية, في حين لم يكن الصفويون اتراكا.

في مداخلة سابقة قلت ان (المذهب) كان احد المكونات الفعالة في الهوية القومية الإيرانية, اعود هنا فاقول: يتجلى صدق هذا الراي في شأن الامبراطورية الصفوية, حيث يرى كثير من المؤرخين ان الصفويين كانوا من (القزلباش) وانهم كانوا من اتباع السنة, وحتى يرى البعض انهم او مؤسس الاسرة الصفوية من الكرد, فغيروا مذهبهم الى (الشيعة), وشكل شاه اسماعيل الصفوي دولته المترامية الاطراف في (١٥٠١م) نتيجة لغزواته ومذابحه الكثيرة, وكانت للكرد, كضحية في تلك المذابح, حصة الأسد. -المترجم-

كانت اللغة الفارسية تدرس في المؤسسات التعليمية العثمانية كلغة في المرتبة الأولى, ان المشاكل الحالية حول تداول لغة ما وترك أخرى لم تكن موجودة من قبل, لان اللغة لم تكن من مقومات الدولة, السلاطين العثمانيون كانوا قبل كل شيء قادة دينيين, يعتبرون الكرد والعرب و الترك (ملة الإسلام) وبمعناها الديني وليس بمعناها الحديث, كما أسلفنا التوضيح.

مما لاشك فيه ان اكثرية المؤرخين القوميين, وعن عمد وإصرار يكتبون التاريخ على اهوائهم السياسية, ويحشرون انفسهم في مآزق ومفارقات تاريخية, فمثلا: انهم وبدلا من تفسير أهم كلمة واشهرها تفسيرا عصريا يفسرونها ويحملونها معاني قديمة, ان تفسير كلمة الملة على ذلك النحو يعتبر زبدة خطاب المؤرخين القوميين في المنطقة.

يقول (داريوش آشوري): (ان القومية بمفهومها الحديث ظاهرة عالمية مهمة, ظهرت وتطورت في اوربا من خلال سلسلة من التطورات الأساسية في بنية المجتمع الثقافية والاقتصادية, للتحرر من اوزار القرون الوسطى نحو العصر الحديث), (ان القومية مفهوم وجداني يتعرف الإنسان من خلالها على نفسه, إنها وجدان سياسي في الأخير تحدد هوية للإنسان, انها حصيلة نضال الإنسان في القرون الوسطى للتعبير عن الذات الإنسانية, الإنسان في القرون الوسطى لا يحدد هويته الإنسانية والاجتماعية من خلال الدولة, بل من خلال رابطة الدم والدين فاللغة, ان (الفردوسي) كان اعظم رمز لصيانة اللغة القومية في ايران, إلا انه يقدم كتاب (شاه نامة) لملك تركي وهو (محمود الغزنوي).

الخطاب القومي التاريخي يتضمن عدة مفاهيم مثل: -القومية-الهوية القومية-الاحاسيس القومية-العظمة القومية-النهضة القومية والحدود القومية, كذلك يحاول ذلك الخطاب ان يربط-ولو بخيط هزيل-ظواهر واحداثا ماضية باحد المفاهيم المذكورة آنفا.

من المفارقات التاريخية:

الخطاب التاريخي القومي يتجاهل الفرق بين (العرق-العنصر) وبين القومية, ان الحس العرقي (رابطة الدم) ظاهرة طبيعية قديمة, بيد ان القومية يجرى انبعاثها وإعدادها حسب البرامج السياسية ولتحقيق السلطة القومية ودولتها.

ذلك الخطاب يتجاهل نمط مواقفنا اليوم ومواقف اقدمينا تجاه السلطة المهيمنة, فالاقدمون لم يستطيعوا ان يفكروا وينظروا الى السلطة

مثلنا, ان سلطة الملك او الامبراطور كانت من هبة الله, لهذا عاشت اقوام وقبائل مختلفة تحت حكم الامبراطوريات بدون ان يطالبوا بتشكيل دولة قومية. ان القومية اليوم بلغت عهدا جديدا يريد الانسان في ظلها, ان يعيد صياغة تعريف جديد لكل طبيعة بما فيها لنفسه, في عهدنا يرى الانسان ان هويته القومية تتجلى بهاءً في ولائه لدولة يشكلها هو بإرادته الحرة, وكما جاء في نظرية (العقد الاجتماعي).

ارى ان الاستاذ علي رضا كاتب هذه الدراسة قد انطلق في طرح الافكار الى اجواء مختلفة من الفلسفة وعلم الاجتماع, فعالج بموضوعية, كثيرا من المسائل التي كانت في ايران من المحرمات, فمثلا نراه يبشر ويدعو إلى نظرية عصرية للدولة, يكون ولاء المواطن فيها لدولة يشكلها هو, بدلا من الولاء للايديولوجيات وانظمتها الشمولية, كما انه يدعو الى نظام ديموقراطي حقيقي, ونبذ الدكتاتورية, لقد اصاب الكاتب كبد الحقيقة حين يذكرنا في ثنايا هذه الدراسة بما قاله هيغل بما معناه: ان قمة التعبير عن الذات الانسانية هي تشكيلها الدولة, من الملاحظ انه لم يذكر صراحة أي محرك جديد للتاريخ في ايران الغد, فاعتقد ان هذا مقصود من الكاتب, لان الافكار التي طرحها في الدراسة توحي بان محرك تاريخ الغد وربما اليوم في ايران هو الحوار والتفاعل الإيجابي مع الحضارات العالمية, وتحقيق أجواء الانفتاح امام القوميات الاخرى في ايران, وليست نزعات العظمة الزائفة وتداعياتها المغبّرة. -المترجم-

الخطاب التاريخي القومي يعتبر الانتفاضات والحركات التحررية في الماضي ضد الحكام الجائرين ورد مظالم القوميات المتسلطة ونظرتها الاستعلائية تجاه القوميات الاخرى-يعتبر كل ذلك انتفاضات قومية!

الا ان لكل تلك الحركات جذورها واسبابها الخاصة, على المؤرخ ان يحاول الكشف عن تلك الجذور والخصوصيات, وان يمهد الارضية الخصبة للمعرفة والاتعاظ, فمثلا: لا نستطيع القول ان الحركة (الشعوبية) حركة قومية ايرانية, لان الشعوبية كانت لمقارعة انانية بعض العرب ونزعات العظمة

والاستخفاف بالقوميات الاخرى, ان الشعوبية كانت متواجدة ونشيطة في جميع البلدان الإسلامية وليس في ايران فقط, فأصبحت الشعوبية في تنظيراتها الأخيرة حد الاستخفاف بالعنصر العربي, نعود فنؤكد ان الشعوبية لم تكن حركة قومية, وليست بمقدورها ان تكون كذلك.

على المؤرخ وبعيدا عن مشاعره العاطفية وخلفياته الفلسفية والأخلاقية-ان يعيد صياغة الماضي ويعطيه معانيه الحقيقية كما كان, انه بهذا المنهج فقط يستطيع ان يساهم في تمهيد ارضية خصبة لتحقيق التآلف والسلام بين القوميات المتعددة في البلاد, بل واكثر من ذلك يستطيع المؤرخ ان يرشد ويخلق قناعات للحكام السياسيين بضرورة ترصين وتقوية أسس العلاقات بين القوميات ووحدتها.

التاريخ القومي في الدول الثلاث (ايران-العراق-تركيا) برهن على حقيقة صارخة هي ان استخدام التاريخ كوسيلة لإثارة نزعات العظمة ودونية الآخرين-لم يؤد الى نتائج حسنة, ان جميع القوميات المختلفة في الدول الثلاث لا تشعر ولا ترى صورة حقيقية لماضيها من ذلك التاريخ, الذي تدرسه ويلقي عليها في الجامعات والمدارس, ان ذلك التاريخ (الرسمي-المترجم) لتلك الدول لم يكتب لخدمة مصالح القومية الرئيسية, والثناء على تراثها وثقافتها وتاريخها.

ان ذلك التاريخ القومي ليس فقط لم يساعد على ابراز تلك القوميات-بل ساهم في مسخ وتشويه تاريخها, وكمثال على ذلك:

هل ترك التاريخ القومي في تركيا فرصة امام الكرد في ذلك البلد لان يتحركوا؟ ان الكرد في التاريخ القومي للدول الثلاث لايرون صورة حقيقية غير ممسوخة لماضيهم, ولهذا السبب بالذات يلجأ المثقفون الكرد في اوربا وامريكا الى دراسة تاريخهم وبمنهج مستقل, ان المؤرخين القوميين (الرسميين-مترجم) في الدول الثلاث لم يتركوا فرصة وفسحة للكرد لاختلاق حتى الاساطير والتاريخ المصطنع والثناء على القومية الكردية, الا واستغلوها لانفسهم-وهل بقى شيء للمؤرخ الكردى؟

يحاول المؤرخون الكرد ان يستفيدوا من المستشرقين الغربيين ليكتبوا تاريخا مشرقا بالاعتزاز للكرد, (كما استفاد المؤرخون القوميون والى اقصى الحدود في الدول الثلاث لانفسهم-المترجم), وهدفهم الرئيسي خلق تاريخ متكامل موحد ممتد من القدم, مهمته صياغة ارضية تاريخية لدولة مستقلة على وطن ممتد حدوده من البحر الاسود شمالا, والى الخليج الفارسي جنوبا.

ان الحركة القومية الكردية الانفصالية لها جذورها ومنابعها التاريخية والسياسية والثقافية, ان ما يتعلق بدراستنا هذه, يؤكد بصورة قاطعة هذه الحقيقة, وهي ان المؤرخين القوميين في الدول الثلاث ساهموا كثيرا في تطور تلك الحركة لان كتابة التاريخ القومي وبمقاصدها السياسية كانت تهدف بالأساس الى إذابة وتصفية القوميات المتعددة الأخرى في تلك الدول.

يوجه المثقفون والحكام السياسيون الترك خطابهم ودعوتهم الى القوميين الترك اينما كانوا, للتنقيب واكتشاف الجذور الثقافية التاريخية للترك في اسيا الصغرى, هذا يعني انهم-شاؤا ام ابوا-ولّوا وجوههم عن الكرد واهملوهم في حين إن علاقات أتراك تركيا التاريخية والثقافية والدينية بكرد تركيا اكثر وضوحا واهمية.

"التعددية القومية" في الدول الثلاث باتت حقيقة صارخة لا يمكن طمسها وإنكارها, ولكن التاريخ القومي في تلك الدول اهملها واستخف بها, تلك النظرة ادت حتى الان الى نتائج وخيمة لتلك الدول, وقد تؤدي في المستقبل الى نتائج اكثر وخامة.

اليوم أولى بالمثقفين والقادة السياسيين في تلك الدول ان يفكروا ضمن إطار شعبهم, ويناضلوا لوحدة القوميات داخل بلادهم-بدلاً من الاهتمام بأقاربهم خارج الحدود, عليهم ان يفكروا مليا بان دول الأقارب خارج الحدود تعاني أيضا في دولها من (تعددية القوميات), والقوميون فيها متسمون بالعصبية القومية, وانهم مستعدون ان يشعلوا الاضطرابات القومية في دولهم اولا, وثم لاقاربهم في الدول الثلاث ايضا, لابد ان يعلموا انه ليس لدول الأقارب خارج الحدود تاريخ قومي موحّد مع الدول الثلاث.

إننا نعيش عصر التقدم العلمي والتكنولوجي وبخاصة في ميدان الاتصالات والاعلام. لقد اصبحت حدود الدول والأمم الهزيلة باهتة. ان التقدم العلمي في جميع المجالات قد حطم الجدران الحديدية وسور الصين. ان القوميين الغلاة المتعصبين, الذين تتعشش في افكارهم الوحدة القومية الشاملة, عليهم ان يتأكدوا ان بريقهم لا محالة نحو الأفول والزوال.

نلاحظ هنا وهناك ثقافات ولغات محلية, وتحت وطأة وضغط الشمولية وآليات واضطهاد الدول ومظالمها-نلاحظ ان تلك الثقافات تنتهز الفرصة المناسبة للانعتاق والتحرر, ان عصر (الهندسة السياسية البسماركية) والستالينية وعصر رضاه شاه واتاتورك قدولى وعفى عليه الدهر.

* المثقفون والقادة السياسيون بدأوا يتعلمون بصورة تدريجية احترام الطبيعة وقوانينها وعدم الاستهتار بها (**ان وجود القوميات ظاهرة طبيعية وليس للانسان يد في خلقها**- مترجم)

* يحدونا الامل في ان لايكون الوقت متاخرا لقبول حقيقة وجود الأقوام والأعراق المتعايشة ضمن اطار الدول القومية واحترامها.

* ان دولتنا اليوم حصيلة عدد من عوامل سياسية وايديولوجية في القرن العشرين وهذا الكيان لوطننا غير متكامل وغير ناضج فكيف نستطيع من ذلك الكيان, بناء دولة قومية ليست فقط تتخلى عن خيالات (وحدة القومية الشاملة) بل تهيء الأرضية الصلدة لنمو وتطور التعددية ايضا, وتنظيم العلاقات الانسانية بين المواطنين في المجتمع؟

* هذا سؤال معرفي يجب ان يثار في بيت التاريخ الا ان التاريخ القومي لا يستطيع طرح سؤال من هذا النمط لانه كتب وترعرع في خضم تحجيم القوميات الاخرى وفي اتون المظالم وبأخلاقيات وتصورات خاصة.

* ان ذلك التاريخ عرض لماض متخم بالمفاخر والعظمة, تاريخ موحد يرنو بنهم الى مستقبل زاهر!!

* ان ذلك التاريخ مبارك مقدس لا يحق لأحد ان يكون في ريبة من قدسيته. انه مرآة كبيرة, (يجب) ان يرى جميع افراد القوم ماضيهم في تلك المرآة حتى ولو كانت مغبّرة ومغيمة!!

* لأجل مداواة جروحنا النازفة وتزويد الناس البؤساء بطاقات معنوية, تلحُّ تلك الصورة على إيقاعنا في شباك عشاقها. تلك الصورة منزهة من المآثم ومنغصات الجهل والجنون والبلاهة!!

* ان اوضاعنا المزرية اليوم والمتخمة بالفقر والتعاسة-تعود اسبابها الى سيطرة الأعداء في الماضي علينا, وكذلك إلى غزوات الترك والمغول في غابر الايام!!

* ذلك التاريخ يؤكد انه: لنا وشيجة قرابة مع الأوربيين, لو لم نكن نعاني من تلك المآسي الماضية, لكنا نشاركهم الآن في المكاسب والتقدم التي أحرزوها في مجالات التطور المادي والثقافي!!

* فكيف يستطيع الإنسان ان ينظر بشك وتساؤل في تاريخ له كل تلك المزايا العلاجية والعاطفية؟!

*****

﴿ من حيثيات الأنفال ﴾

أتى على الكردي حين من الدهر يدمي الجروح من جديد" لا لكي تهب رياح الانتقام والحقد" يشهد الله إنني لا اقصد ذلك" بل لكي يتعظ العتاة أينما كانوا وبخاصة الذين يحقدون على شعبنا ويدّعون الإسلام والقومية, ولكي ينظفوا أدمغتهم من ادران الشوفينية المقيتة.

الأنفال وما أدراك ما الأنفال! إنها سورة قرآنية تحكي عن غزوة على المشركين زمن الرسول (ص), انتصر المسلمون فيها وهزم المشركون, كانت الأنفال والغنائم كبيرة لحد كاد ان تمزق صفوف المحاربين, إلى أن نزلت الآية الكريمة: (يسألونك عن الأنفال .....) وبذلك قطع الله ورسوله دابر الفتنة التي اوشك ان تطيح بوحدة المحاربين المسلمين.

وزع الرسول الأنفال عليهم وعلى بيت المال بالعدل والقسطاس المبين, كان هذا قبل الف واربعمائة سنة!! كيف أطلق (جهابذة) السياسة العراقيون وفي أواخر القرن العشرين مضامين تلك الآية القرآنية على ابشع جريمة بحق الكرد المسلمين حتى النخاع؟

يبدو إن العفالقة الفاشيين مجتهدون في الدين والاحكام الفقهية ايضا" وانهم فطاحلة في اللغة العربية وتفسير القرآن" والا كيف حكموا على اكثر من (١٨٢) الف كردي مسلم بانهم كفار ملحدون واحلوا اعراضهم وأموالهم وارواحهم؟

ان هدف الفاشية في العراق ليس الشعب الكردي وحضارته وتراثه الثقافي فقط" بل اصبح التراث الاسلامي وآيات القرآن الكريم ايضا عرضة للتزييف والتلويث, ان زبدة مكونات وعينا التاريخي الجمالي كانت مستهدفة من قبل العفالقة وكتابهم وفنانيهم الشوفينيين, هناك فيض وفير من التراث

القرآني, هناك مئات من مؤلفات ومجلدات في تفسير القرآن قديما وحديثا" كانت حصة علماء المسلمين غير العرب من الكرد والفرس والترك حصة الأسد فيها, فلا نجد أحدا من هؤلاء المفسرين أدلى بدلوه في تفسير سورة الأنفال على النمط البعثي, ان التمييع والتشويه في مضامين الآيات القرآنية ومن خلال حفنة من وعاظ السلاطين ومزيفي التاريخ اصبح سمة شاخصة من نمط الفكر البعثي العفلقي (إن كان هناك فكر للعفالقة).

صحيح أن قوات الأنصار كانت متواجدة في تلك المناطق الشاسعة, ولها مقراتها فيها, وكذلك يعيش بين ظهراني الفلاحين والثيشمرطة علماء الدين وطلابه, كان في كل قرية جامع ورجل دين ومصلون, وفي كل بيت نسخة من القرآن. وحين يحل شهر الميلاد... ميلاد الرسول الذي قال (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)" حين تحل ذكرى ميلاد ذلك الرسول تقام الاحتفالات وتقدم الذبائح والقرابين في جميع تلك القرى الكردستانية احتفاء بذلك الميلاد الميمون.

فكيف اصبح هؤلاء المسلمون الأصلاء, بجرة قلم, كفارا مرتدين عن الدين؟ ان العفالقة اصبحوا مجتهدين مبتدعين في التطبيق فقالوا: وحيث ان المخربين الملحدين يعيشون في تلك الأصقاع والارياف, فان اهل القرى ايضا ملحدون" يحل قتلهم وانتهاك اعراضهم ونهب اموالهم, هكذا وبتلك الحجة الجاهلية سُحقت كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تقول". (ولا تزر وازرة وزر أخرى) و(لا يؤخذ أخ بجريرة أخ...) وعشرات اخرى من الآيات والأحاديث.

الأنكى من الأنفال وعرابيها, والأنكى من قبورها الجماعية واسواق نخاستها وبضاعتها المزجاة" والأنكى من وعاظ سلاطينها ومنظريها العاقرين" الانكى منها جميعا" تسمية المدارس والمكتبات والمستشفيات في كردستان بالانفال تيمنا بتلك الجرائم والاعمال البربرية, فماذا تعني تلك التسمية؟ انها تعني بكل دقة مواصلة غرس شجرة الحقد والانتقام لكي تورق وتثمر.

فلينبعث رواد ومحدثو التربية – الأحياء منهم والأموات وليقولوا كلمة فصل في (الأنفال) وإفرازاتها السمية واهدابها الجرثومية في أنشطتنا الإنسانية وأجيالنا الآتية!! ادمينا جروح الأنفال وسندمي كل الجروح البعثية من جديد لكي يفيق كل الموغلين في لجة القسوة والبربرية" , كل المتعطشين الى رائحة البارود والدماء.

أيها الشوفينيون المارقون! لقد أخذتكم وأعمتكم شهوة الحكم والمشاريع اللاتأريخية ضد شعبنا الكردي, وأغوتكم شراهة الانتقام وحماقة السجال ولكن هيهات أن تفيقوا, فهذا صحو الهي لا يوقظ الا الذين توجد في أعماق روحهم ذرة من بذور الخير, والمصابون بخواء الروح والحقد الدفين تنطبق عليهم فقط الآية القرآنية: (إن من الأحجار لما تتفجر منها الأنهار).

*****

﴿ صحوة في الضمير وموت في عز الجسد ﴾

في اواخر التسعينات نشرت وسائل الإعلام العالمية نبأً غريبا يثير احداث حرب الايام الستة بين اسرائيل ومصر سنة ١٩٦٧, اول الإثارة بدات وكما قال السيد سفير مصر لدى إسرائيل, في أعمال الأكاديميين الإسرائيليين وبحوثهم التاريخية الجادة حول أحداث تلك الحرب ونتائجها وانعكاساتها اللاحقة على المجتمع الإسرائيلي, ثم اعترف أحد الجنرالات الإسرائيليين المتقاعدين بقتل جنود مصريين كانوا أسرى لديه وبحجة عدم وجود عدد كاف من الرجال للاحتفاظ بهم, وبعد ذلك الاعتراف انهالت اعترافات اخرى من جنود وضباط آخرين اقترفوا الجريمة نفسها ولكل وجهة وحجة.

تفاعلت تلك الاعترافات المتأخرة في القنوات الدبلوماسية والإعلامية في مصر ودول عربية اخرى, كما أحيت نتفا من البغضاء والأحقاد بين اليهود والشعوب العربية والاسلامية.

ان صحوة الضمير لدى الجنرال الاسرائيلي والضباط والجنود الآخرين رغم تأخرها – اعتبرها بصيصا من الإشراق في سلوك المحاربين, رغم اننا لا نعرف مقاصدهم من الاعتراف الا انه وفي اكثر الاحتمالات كان بقصد التوبة والمغفرة من الله. وهنا, أستميح القارئ الكريم عذرا فأقول انني غير مطلع على الديانة اليهودية ورايها في التوبة... وهل ان الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب كلها عدا الشرك به كما في الاسلام؟ وايا كان رأي الديانات الثلاث في التوبة, ففي صحوة الضمير والشعور بالذنب وبخاصة بالنسبة للحكام والعسكريين الكبار إشراق إنساني يستطيع علماء النفس والتربية والاجتماع ان يستثمروه لصالح الإنسان ولصيانة القيم النبيلة التي خلقتها البشرية في مسيرتها الحضارية الشاقة.

ما دمنا نحن بصدد صحوة الضمير والشعور بالذنب لابد علينا نحن الكرد ان نثير من جديد قضية الأنفال, وما أدراك ما الأنفال؟ ولكن هل يستطيع المنصف ان يقارن بين الحالتين: حالة جنود وضباط مصريين حاربوا حتى الرمق الاخير والطلقة الأخيرة ثم استسلموا كأسرى حرب, وبين الانقضاض على آلاف القرى والمدن الصغيرة الآمنة في كردستان, ثم يجمع (١٨٢) الفا من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ في سيارات عسكرية وينقلون الى أماكن مجهولة... دفن اكثرهم أحياء وبيعت بعض البنات كجاريات حسان... نقل بعضهم الى المختبرات الكيميائية والبايولوجية لإجراء الاختبارات عليهم... و ... و ... فهل نستطيع ان نقارن بين الحالتين وشتان ما بين الثرى والثريا!!

ان فجيعة الأنفال البعثية تفوق جميع الفجائع البشرية في القرن العشرين بعد مذابح اليهود في المانيا الهتلرية (هولوكوست) وتدمير هيروشيما , الا اننا والألم يحز قلوبنا حيث لم نسمع جنديا او ضابطا عراقيا بعد انتفاضة ١٩٩١ والى يومنا هذا يشعر بذنب او صحوة ضمير رغم ان بعضا منهم كانوا من ذوي المسؤوليات الرفيعة ايام الانفال وانهم عاشوا سنوات في تسعينات القرن الماضي بين ظهراني شعب الأنفال وفي صفوف المعارضة العراقية ايضا, يبدو ان المخططين والمنفذين للجريمتين (الأنفال وقتل الاسرى المصريين) عاشوا اجواء دينية واحدة, فكلاهما ينظران الى قتل المقابل نظرة الجهاد في سبيل الله.

أرجو من القراء الكرام أن لا يتصوروني مولعا بالديمقراطية الإسرائيلية التي نطقت بعد (٢٦) سنة وبالحجة التي تقول ان الجريمة مضت عليها تلك المدة وليس من الواجب القصاص من مقترفيها. في حين ترسل إسرائيل بعد أكثر من (٥٠) سنة رجال المخابرات الى أنحاء المعمورة للبحث عن مجرمي الحرب النازيين. (مع وجود تشابه كبير بين الصورتين الأنفال ومذابح اليهود).

ان العقلية الرسمية العربية ايضا (الدوائر الإعلامية والثقافية خصوصا) لم تتحرر بعد من أدران العصور البالية وان قانون (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) يتحكم بتلابيب وجدانهم والا بماذا تفسرون هذا وكمثال فقط:

أتذكر ان تلفزيون مصر عرضت عن طريق الأقمار الصناعية وفي شهر حزيران/٩٩٥ ريبورتاجا مصورا عن الأسلحة الكيمياوية ومخاطرها على المجتمعات البشرية, كما عرض صورا حية للضحايا ومنها ضحايا حلبجة الشهيدة, حيث تتجلى على الشاشة الصغيرة غابات من قامات الكرد ملقاة على الشوارع والأزقة في حلبجة الا ان تلفزيون مصر لم يذكر كلمة واحدة عن هويات هؤلاء الضحايا والحكومة المسؤولة عن الجريمة ولم يذكر حتى تاريخ حدوث تلك الجريمة او مكانها!! كما ونوجه عتابنا الى أكثرية الدول العربية والإسلامية حيث سكتت جميعها تجاه الأنفال واستعمال الأسلحة الكيمياوية بصورة واسعة في كردستان رغم الادعاء بأننا أخوان لهم في الدين!.

بعد زوال الكابوس الدموي ونظام المقابر الجماعية, لم يبق حجة للسكوت واخفاء المعلومات لدى اخواننا العرب من الضباط والمراتب والمدنيين الذين اشتركوا بصورة او باخرى مجبرين في تنفيذ عمليات الانفال.

فليعلموا ان كتم الشهادة وخاصة في قضايا تحقيق العدالة, حرام ومخالفة لجميع الاديان السماوية والقوانين الارضية. ان البوح بالمعلومات حول الانفال يريح ضمائر الشهود اولا ويساهم في عدم مجيء الطغاة والدكتاتوريين الى سدة الحكم في المستقبل ثانيا, كما يساهم في ازاحة ركام كبير من الشوائب والعتاب عن العلاقات الاخوية بين الشعبين العربي والكردي والتي افسدها نظام صدام شر افساد.

واليوم اصرخ ومعي كل المهتمين بتحقيق العدالة من المثقفين والفنانين والحقوقيين وجماهير الشعب في كردستان واقول:

ان الجبهة الكردستانية ومن منطلق تحقيق امن المجتمع وتنظيم البيت الكردي في تلك الايام الحساسة عام ١٩٩١, اصدرت عفوا عاما عن مستشاري الافواج

الخفيفة والذين قدموا خدمات كثيرة للبعث, اذا كان لذلك العفو مبرراته السياسية والاجتماعية في حينه, فليس هناك مبرر لسكوتهم المخجل المدان عن اداء شهاداتهم حول ما شاهدوه وما أمروا به من تجميع السكان وحشرهم الى المذبحة في ناقلات الجنود وموت المئات من الاطفال والشيوخ في تلك الناقلات.. و .. كما اصرخ ان السكوت عن ذلك (السكوت) اكثر خجلا وإهانة واعتبرها موتا في عز الجسد.

*****

﴿ ختانان كنقمة وكرحمة وعفو للذبح والتدمير ﴾

في جريدة (البيان) الاماراتية, كتب الاستاذ (داود الشريان) كلمة بديعة ذات مغزى, تناول فيها الختان السعيد لولي عهد المغرب اذ اصدر الملك محمد السادس في تلك المناسبة عفوا ملكيا عما تبقى من عقوبة السجن لـ (٧١٧٩) سجينا من مرضى ونساء حوامل ومرضعات ومسنين واجانب.

الكلمة صيغت باسلوب شيق ونكهة تهكمية من العقليات الحاكمة في الدول العربية الاسلامية, يخاطب الكاتب فيها (جورج بوش) ويقول: ان مباديء الديمقراطية وحقوق الانسان والاصلاح التي تنادون بها لا تفرض من الخارج بل يستطيع ملك او رئيس او امير من منطقتنا ان ينجزها من خلال ارادة ملكية خاصة المناسبة ختان او عرس او عودة من رحلة علاجية, كما يستطيع ملك او رئيس ان يجعل الشعب قرابين لفرحته, في حين انك, يا سيادة الرئيس, ورغم كونك قائد اقوى دولة في العالم, لا تستطيع ان تطلق هذا العدد من السجناء بارادتك الخاصة!!

في حديث ذي صلة بالختان المغربي كمحرر لالآف السجناء, ورغم احترامي لتلك الالتفاتة كعمل انساني, انقل للقراء الكرام ذاكرة تروي حادثتين متشابهتين من بعض الاوجه:

١) اعمال مأساوية وقعت في جنوب العراق في بداية القرن العشرين وانقذ الختان ارواح المئات من الجنود في الجيش البريطاني, في اواخر الحرب العالمية الاولى قامت بريطانيا بارسال قوات لاحتلال العراق, فاحتلت سنة ١٩١٤ البصرة حين كانت حاميات من الجيش العثماني ما تزال متمركزة في بعض المحافظات الجنوبية ومنها محافظة الكوت, حيث استطاع ان يحاصر قوة من الجيش البريطاني مما ارغمها على الاستسلام للقائد التركي.

قام القائد التركي بارتكاب مذبحة في صفوف الجيش البريطاني المتشكل من امم مختلفة منها الهنود (ومسلمون وسيخ), فساد الذعر والهلع بين الجنود

من المذبحة التركية. انقاذا لارواحهم من القتل الاكيد, قام الجنود الهنود المسلمون بالتعري واظهار عوراتهم امام القائد التركي ليثبتوا انهم مختونون فمسلمون, ويقولون للقادة العثمانيين: (الهمد لله مسلم)

٢) كان النازيون في المذابح اليهودية (هولوكوست) يعتمدون في معرفة اليهودي على الختان, حيث ان الدين اليهودي وكما في الاسلام يأمر بختان الرجال. علما بان الختان في الاسلام سنة وليس واجبا دينيا, الا انه لا يوجد "كما اعتقد" ذكر مسلم غير مختون, هذا وان الدكتورة نوال السعداوي في احدث مقابلة تلفزيونية صرحت بان ختان الرجال – كما في النساء – يحرمهم من النشوة الجنسية الكاملة.

٣) عفو عام عراقي مختلف عن العفو المغربي, اصدرها دكتاتور العراق صدام حسين قبيل سقوطه, ولم يكن العفو لسجناء سياسيين ولا بدافع انساني, بل كان العفو يشمل الوف المجرمين المحترفين من القتلة ومغتصبي النساء وعصابات تجارة المخدرات والجنس ومرتكبي مختلف الرذائل والموبقات.

ظهر بين افادات الارهابيين الواقعين في قبضة الجيش العراقي والشرطة: ان اكثرهم كانوا من هؤلاء المجرمين الذين شملهم العفو الصدامي, والذين كانوا يجندون من قبل البعثيين القابعين في الجحور او من الاحزاب "الجهادية" لارتكاب عمليات القتل والاغتصاب والخطف في عهد العراق الجديد.

*****

﴿ (سترة) الحروب الصليبية على قميص عثمان ﴾

حينما نطلع على مراحل تطور الحركات الاسلامية ومناحيها الثقافية والفكرية الحديثة وخاصة بعد ثمانينات القرن العشرين, نرى صياغة مبررات تأريخية ودينية لمواجهة ومعاداة كل ما يخص الغرب سواء التوسع الاستعماري ونهب ثروات الشرق بعد سقوط الدولة العثمانية او القيم الحضارية والثقافية التي جاء بها الغرب الى مجتمعاتنا الشرقية.

من تلك المبررات: الحروب الصليبية, التي دامت اكثر من (١٨٠) سنة ومضت عليها اكثر من (٨٠٠) سنة, ومن يتابع البيانات والكراسات التثقيفية للحركات الاسلامية في العراق وكردستان وبخاصة المتطرفة منها, يلاحظ ان من أهم وسائلها لدغدغة المشاعر واثارتها هي الحروب الصليبية, التي مضت عليها اكثر من (٨٠٠) سنة, وايهام الناس ان تلك الحرب ما زالت في أوج عنفوانها الدموي!!

أقول هذا مع التأكيد على ان هناك في الغرب قوى ظلامية ايضا ما زالت تستخدم لاغراض مختلفة الاحداث الدامية للحروب الصليبية لامرار مخططاتها الخفية, من البدهي ان اكثرية الناس, افرادا وجماعات لا ترى عيوبها ومثالبها هي, وان كل حزب بما لديهم فرحون, وهذه نقيصة الانسان على مر الدهور, والا كيف يتجاهل المنظرون الاسلاميون في ايامنا هذه تأريخ الحضارة الاسلامية وعلى الاخص الفترة الممتدة من عهد معاوية الى العهد العثماني؟

بغية تنوير القراء الكرام بمحاولات الامتداد نحو اوربا– اورد ادناه وبايجاز شديد بعضا من تلك المحاولات التوسعية للدولة الاسلامية:

١- حصار القسطنطينة لمرات متتالية خلال (٥٠) سنة من عهد معاوية الى زمن (سليمان بن عبدالملك –٧١٧ م).

٢- فتح الاندلس في عام (٧١١ م) ووصول الجيوش الاسلامية الى وسط فرنسا ومعركة (بوايتيه) عام (٧٣٢ م).

٣- سيطرة الجيوش الاسلامية على جزر ومدن ايطالية ويونانية مثل (كورسيكا) و (سردينيا) و (كريت) و (صقليا) و.....و.

٤- تهديد روما في عام (٨٧٢ م), مما اضطر البابا الى دفع الجزية لسنتين متتاليتين للدولة الاسلامية.

٥- وبعد الانتهاء من الحروب الصليبية بدات دولة الخلافة العثمانية بالاندفاع والامتداد نحو اوربا الشرقية, ثم السيطرة على البلقان وهزيمة (صربيا) و (بلغاريا) واحتلال (اليونان) و (البوسنة) و (الهيرسك) وبعدها تحطيم مملكة المجر.

كان احد اسباب ايقاظ الروح الصليبية في الغرب هو هزيمة البيزنطيين في معركة (منزيكرت) امام (السلجوقيين) المسلمين عام (١٠٧١ م) وشكلت تلك الهزيمة خطرا على بوابة اوربا الشرقية و بر اوربا, في الوقت نفسه ولدت تلك المعركة بداية للاستيطان التركي في آسيا الصغرى فنشوء الدولة العثمانية لاحقا في القرن (١٣) الميلادي.

ذهب بعض المؤرخين الى القول ان الخلاف المذهبي بين الكنيستين الشرقية والغربية, وطمع السلطة الدينية الغربية في اخضاع الكنيسة الشرقية لها كان في عداد العوامل التي ادّت الى الحروب الصليبية.

هنا يجب ان انور القارىء الكريم بان الدفاع عن المسيحية ليس هو السبب الوحيد في اشعال الحملات الصليبية بل كان مجرد ذريعة فقط, اذ نلاحظ ان الكنيسة الشرقية المتحدة مع الكنيسة الغربية اثناء الحرب, عانت من انواع العسف والظلم, مما دعا اسقف الكنيسة الشرقية الى القول: (ان طائفته لم تقاس تحت سلطة المسلمين, ما قاسته عند حكم الكنيسة الغربية لهم) في فلسطين.

انني لا ابريء مشعلي الحروب الصليبية, التي كانت من اكثر الحروب دموية في ذلك التأريخ, وان تلك الحروب كانت خطة توسعية رسمتها اوربا ببركة الكنيسة البابوية لاحتلال الشرق, الا ان حروبا كثيرة اشد عنفا شنت قبلها بسنين كتوسع واندفاعات الدولة الاسلامية الحديثة نحو اوربا وايران وصين هوسا في التوسع.

صحيح ان الحروب الصليبية اضرمت نار الكره والحقد بين الغرب والشرق, فاستعمل الدين فيها ومن الجانبين الاسلامي والمسيحي كوسيلة وليس غاية.

ها نحن في القرن (٢١) ومضت على تلك الحروب اكثر من (٨٠٠) سنة وما يزال اثرها قائما وما يزال يزكى نار الحقد والضغينة في ضعاف النفوس والسذج, وانه لمؤسف حقاان تتذرع قوى الشر في العالمين الاسلامي (بصورة صارخة وكمنابع للارهاب) والمسيحي (بصورة الاحزاب العنصرية في اوربا والآيلة الى الضمور والزوال), فتلك القوى الظلامية البعيدة عن عصرنا تتذرع بما تنبشه في بطون التأريخ ومقابره الدارسة من أحقاد قديمة وتبني عليها مخططاتها الشريرة.

ان تبتغوا عظة فهاكم عظة التأريخ:

كم مرة استغل (قميص عثمان) في اشعال اكثر الحروب دموية بين المسلمين انفسهم, فبعد مرور اكثر من (١٣٨٥) عام على ذلك القميص, ما زالت الشعوب الاسلامية تعاني من آثاره السيئة, منها الطائفية المقيتة في اكثرية الدول الاسلامية الحديثة, في ايامنا هذه وباسف شديد تلبس على ذلك القميص (سترة) الحروب الصليبية وتستخدم شر استخدام في اوساط السذج من المسلمين.

﴿ حدود كردستان الجنوبية تأريخيا وجغرافيا ﴾
خلال خمسة آلاف عام

تأليف / المؤرخ والتراثي / عبدالرقيب يوسف

عرض وتعليق / حسين نيرگسجاري

اتحفنا المؤرخ والآثاري العتيد عبدالرقيب يوسف بكتاب بل بموسوعة شاملة عن جغرافية وتأريخ كردستان الجنوبية – العراق– وما ترتب على الحاقها بالعراق في بداية قرن العشرين ومن خلال (٥٣٩) صفحة من الحجم الكبير.

ان الكتاب لا ينطق عن الهوى بل يعتمد على مئات من الكتب والوثائق التأريخية والجغرافية من مختلف العهود الاسلامية ومنها العهدان العباسي والعثماني, الوثائق العثمانية نادرة جدا حصل عليها المؤلف من دار الوثائق التأريخية في اسطنبول, واحيانا حصل على تلك الوثائق وهو مجازف بحياته, ولم يتسن للمؤلفين الكرد وربما للعراقيين ايضا الاطلاع على تلك الوثائق.

ان الكتاب بحق وحقيق اهم مصدر تأريخي وجغرافي موثوق للذين يصبون الى معرفة تأريخ وجغرافية كردستان العراق والشعب الكردي وما عانوه من المظالم ومشاريع تصفوية وتغييرات ديموغرافية للحكومات العراقية المختلفة من العهد الملكي الى العهد البعثي الغارق في الدم.

مسودات الكتاب تعود الى عام (١٩٦٠), حيث لقى تشجيعا من استاذه (سعيد الديوضي) مدير دائرة آثار الموصل, ثم عرض الكتاب على العالم العراقي (أحمد سوسه) في عام (١٩٦٧) بقصد مراجعته, فكتب ملاحظات قيمة عليها, ثم اهمل المؤلف تلك المسودات لتغط في سبات وبدأ العمل في حقول اخرى من التراث ومنها (فن العمارة الكردية), حيث جاب اكثرية مناطق

كردستان وعلى حسابه الخاص, فاخذ (٢١) الف صورة فوتوغرافية للمباني والحصون والقصور ومناطق آثارية وحتى شواهد القبور لم تفلت من عشقه لتراث شعبه, وما أكثر ما كتبه المؤلف من كتب ومئات المقالات التأريخية والآثارية في المجلات والجرائد العراقية والكردستانية, ودخل في صراعات بلغت احيانا حد المواجهة والمجازفة بالحياة في سبيل صيانة ثروات كردستان الحضارية والتراثية من الوثائق والمواقع الاثرية والمباني والتراث الشعبي والمخطوطات, ...

في عام (٢٠٠٣) ايقظ المؤلف مسودات هذا الكتاب من سباتها وهو أكثر مراسا واغنى بالمعلومات والافكار النيرة حول تأريخ الكرد وتراثه الحضاري, فكان هذا الكتاب الموسوعي الذي يعج بكل ما يشتهيه القارىء النهم لزاد التأريخ والجغرافيا والتراث.

المؤلف – كما يقول– حين يتدرج الى التأريخ الحديث كان حذرا من هاجس الوقوع في اخطاء تحت تأثر العاطفة القومية والتي غالبا تدفع بالمؤرخ الى تلفيق الاكاذيب, كما اجبر صدام حسين العالم العراقي الكبير احمد سوسه وآخرين على تشويه بعض الحقائق التأريخية في سبيل ابراز الدور السامي في حضارة العراق وضمن مشروع (إعادة كتابة التأريخ العربي), كان أحمد سوسه يهوديا ثم اسلم والف كتابه (تأريخ حضارة وادي الرافدين) في شيخوخته, وتوجد في هذا الكتاب عبارات هزيلة تتميز بالاسلوب البعثي الصارخ وأهدى الكتاب الى الدكتاتور مع ذكر مقتطفات من أقواله المسمومة.

خوفا من تلك المنزلقات يلجأ المؤلف الى (١١٠) من اهم مصادر المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين والغربيين و (١٨) من المجلات الثقافية والاكاديمية المرموقة, ثم يلجأ الى اسفاره الكثيرة ومشاهداته وما استقاه من مقابلاته الشخصية مع المؤرخين والمثقفين والقادة السياسيين والمعمرين كشهود أحياء وغالبا كمشاركين في تلك الاحداث.

يورد المؤلف موادا من دستور حزب البعث العربي الاشتراكي والتي وردت نصوصها في ص ٣٠٥ من كتاب (تأريخ الاحزاب السياسية العراقية) للمؤرخ العراقي الشهير عبدالرزاق الحسني, وبموجب تلك المواد تعتبر كافة المناطق الواقعة في جنوب جبال (طوروس) و (زاكروس) في كردستان تركيا (مثل مدينة مرعش – عنتاب – اورفا – دياربكر – الحسكه – ماردين – نصيبين – سلوثي) وكافة المناطق الكردية الواقعة غرب جبال (ثشتكو) جزء من الوطن العربي, فتجلى عنها السكان كما ورد في المادة (١١) من ذلك الدستور, وتطبيقا لهذا الدستور الشوفيني باشر حزب البعث بتعريب الواقع القومي لاغلى المناطق الكردية واجلاء السكان الكرد منها بل وغالبا بتصفية مئات الالوف جسديا.

ان الادعاءات تلك بكون كردستان الجنوبية جزء من الوطن العربي لا تستند الى الدلائل التأريخية والجغرافية, وان علماء الجغرافيا (البلدانيين) والمؤرخين لأزهى العهود العربية وهو العهد العباسي يفندون تلك الادعاءات.

(نشوء اسم العراق)

لم يكن للمنطقة اسم معين في عهود حضارات العراق من عهود سومر الى العهود البابلية, فهناك اسماء كـ (بلاد سومر) على القسم الجنوبي و (بلاد أكد) على القسم الوسط و (بلاد بابل) و (بلاد كشو) في العهد الكاشي, وكذلك سمي بـ (السواد) من قبل العرب قبل الإسلام وبعده بقرون, اما تعبير (بلاد آشور) فلم يشمل وسط وجنوب العراق, اسم (العراق) ظهر في اواخر عهد الساسانيين واطلق على مناطق الوسط والجنوب من العراق الحالي.

ثم ياتي المؤلف بعشرات من آراء علماء الآثار والمؤرخين القدماء والمحدثين حول جغرافية العراق معتمدا على خرائط الجغرافيين العرب والمسلمين امثال: اليعقوبي – البلخي – ابن خرداذبه – الاصطخري – ابن حوقل – المقدسي وعشرات آخرين. اما كلمة (العراق) فقد عرض المؤلف آراء

كثيرة لمؤرخين وجغرافيين قدماء ومحدثين ومنهم الآثاري الراحل طه باقر حيث يرى ثلاث احتمالات (١) كون الاسم عربي الاصل (٢) كون الاسم معربا من اصل فارسي (٣) كونه من لغة قوم مجهولين.

كان الناس ومنهم المؤلف يعتقدون (١) ان سكان كردستان الجنوبية اخذوا معطيات الحضارة من سكان العراق القدامى (٢) ان كردستان العراق الحالية كانت تحت سيطرة دول العراق القديمة معظم الاوقات, الا ان المؤلف يفند تلك الآراء معتمدا على آراء علماء الآثار, حيث اثبت بالحجج والبراهين ان (الطوتيين) حكموا العراق حوالي (٩١) احدى وتسعين سنة, اما (الكيشيون) فحكموا العراق (٤٣٣) عاما, بينما حكمت الدول العراقية القديمة كردستان الجنوبية (٦٧) عاما فقط. يواصل المؤلف في اثباتاته وعرض حججه الموثقة فيقول ان العراق لم يكن مسكونا قبل الالف الخامس او اواخر الالف السادس قبل الميلاد, بينما اثبت علماء الآثار ان كردستان كانت مسكونة وعثروا على آثار الانسان ووسائل عيشه في العصر الحجري, وقبل نحو (١٠٠٠٠٠) مائة الف سنة قبل الميلاد, كل هذه ذكرت بالتفصيل في كتاب (مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة) لعالم الآثار الاكبر في العراق طه باقر.

في عنوان آخر يذكر المؤلف بالتفصيل حدود كردستان من سنجار الى مندلي في اقوال المؤرخين والباحثين ومنهم:

١) السيد فائق السامرائي وكان نقيب المحامين في العراق في تقرير له الى الرئيس جمال عبدالناصر حيث يقول ما نصه: (ان كردستان تعني باوسع معانيها البلاد التي يسكنها الاكراد كمجموعة موحدة متجانسة من الناس وتنقسم هذه البلاد ما بين العراق وتركيا وايران مع بعض الامتدادات الى سوريا, ومن الجنوب الغربي تسير الحدود بمحاذاة سفوح التلال حتى نهر دجلة ثم بعد ذلك شرقي هذا النهر الى الاسفل ومن بعد يعرج خط الحدود شمالا مع خط (جبل حمرين) حتى مندلي). علما ان هذه الفقرة مقتبسة من كتاب (قاسم والاكراد, خناجر وجبال) للسيد احمد فوزي.

٢) السيد عبدالرزاق الحسني في كتابه (العراق قديما وحديثا) ص٣٣: (يقطن الاكراد مدنا وقرى تبتدئ من الحدود الايرانية العراقية على خط يمتد من جبل حمرين حتى جبل سنجار تتصل بالحدود العراقية التركية السورية).

٣) اقوال السيد جرجيس جبرائيل هومي في ص ١٤٧ من كتابه (القوميات العراقية ماضيها وحاضرها.

٤) ميجر ملينغن في كتابه (حياة بدائية بين الاكراد).

٥) باسيل نيكيتين: القنصل الروسي في اورمية وفي كتابه الاكراد ص٢٩.

٦) أدمونس: المستشار البريطاني في العراق وعمل ايضا ضد الاكراد.

٧) الكابتن (هي) في كتابه (سنتان في كردستان).

٨) وكذلك اقوال: (اوليا ضلبي) الباحث السائح, هلال ناجي, المستر لونطريك, محمد أمين زكي, مقولة ونستون ضرضل التي ينقلها السيد جلال الطالباني حيث يخاطب ضرضل الملك فيصل الاول:

* إننا وعدناك بتأسيس دولة عربية وليست امبراطورية, لذلك ان حدودك لن تتجاوز جبل حمرين, ومن جبل حمرين الى ما وراءه فهو كردستان.

٩) لجنة عصبة الامم الموفدة الى ولاية الموصل سنة ١٩٢٥, حيث قالت في احدى فقرات تقريرها: اعتبرت اللجنة جبل حمرين خط الحدود, وان العراق لا تمتد ابعد من (هيت – تكريت) أو منطقة جبل حمرين, وان جميع الادبيات الجغرافية منذ الفتح الاسلامي حتى تأريخ تحقيق اللجنة (١٩٢٥) لم توصف ولم تظهر الاراضي المتنازع عليها يوما كجزء من العراق ﴾ من كتاب (مشكلة الموصل) للدكتور فاضل حسين﴿. اعتمد المؤلف في تحديد الحدود الجنوبية لكردستان العراق على اكثر من (٢٠) خريطة قديمة للجغرافيين العرب والمسلمين في العهدين العباسي والعثماني.

يعرض المؤلف بالتفصيل حدود كردستان الجنوبية في العهود السومرية وان السومريين هاجروا من اقاليم الجبال وعلى ما يراه العالم الآثاري طه باقر والدكتور فوزي رشيد وآخرون – جاءوا من الجبال القريبة من سهول العراق.

كما يقدم المؤلف عشرات من المفردات السومرية. ويقوم بمقارنتها ومقاربتها بكلمات كردية, كما يشير المؤلف الى كتاب آخرين قاموا بالمقارنة نفسها بل ألف كاتب من دهوك حول الاصل الكردي للسومريين, وكذلك يعرض المؤلف حدود كردستان الجنوبية في العهدين الأكدي والبابلي, وان الخصوصية الجغرافية والقومية لكردستان الجنوبية لم تتغير خلال عهد الدولة البابلية الاولى.

(حدود كردستان العراق في العهد العثماني)

كان العراق بعد سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو سنة ١٢٥٨ م والى تشكيل الدولة في عام ١٩٢٢ اي طوال (٦٦٣) سنة محتلا مثل كردستان من قبل الدول (الايلخانية) والجلائرية والصفوية والعثمانية, ثم جمعت الدولة العثمانية في وحدة إدارية أو (ولاية) باسم (شهرزور) واتخذت كركوك عاصمة لتلك الولاية وكانت تلك الولاية تضم مناطق من ايران وتركيا الحالية وتتكون من (٢١) قضاء وبضمنها كرمانشاه وسنجاق (زهاو) ومدينة (مريوان) واخرى, اما المناطق الكردية التي لم تدخل ضمن ولاية شهرزور فقد ذكرها المؤلف بالتفصيل معتمدا على كثير من الوثائق العثمانية وكتب من تأليف عباس العزاوي وعبدالمسيح بهنام و (سياحتنامه) وآخرين كثيرين.

ثم يذكر المؤلف تأريخ مدن كردية مثل (كركوك, خانقين, سنجار, تلعفر, مندلي, شهربان (سعدية) بلدروز- بدرة) ومدن كثيرة, في موضوع مدينة كركوك خصص المؤلف مساحة واسعة من الكتاب وموثقة بعشرات من آراء وكتب المؤرخين والآثاريين عربا ومسلمين وغربيين, وبعد ان يذكر المؤلف آراء كثيرة للمؤرخين حول اسم (كركوك) عبر آلاف السنين يأتي الى ادوار تأريخية للحكومات , وان كركوك كان جزء من بلاد سوبارتو قبل ان يستولي الطوتيون على العراق ويقضوا على الدولة الا كدية, وكانت ايضا في القرن (١٨) قبل الميلاد عاصمة لملوك الحوريين.

اما في عهد (اديابين) وفي العهد (الفرثي) فقد كانت كركوك عاصمة لتلك الدولة, اما في العهد العثماني فكانت عاصمة ولاية (شهرزور) التي تشمل كثيرا من المدن الايرانية والتركية عدا اكثرية مناطق كردستان الجنوبية. وهكذا نرى ان مدينة كركوك كانت تحتل المقام الاول من بين مدن كردستان الجنوبية حيث اصبحت عاصمتها مرارا منذ اواخر القرن (٣) من الالف (٣) قبل الميلاد الى النصف الاخير من القرن (١٩), ولم يذكر اي من الجغرافيين والمؤرخين العرب والمسلمين في العهد العباسي ان كركوك مدينة عربية او تركمانية كما هو واضح في كتبهم وخرائطهم للمنطقة, وقال شمس الدين سامي (وهو مؤرخ تركي) في كتاب (قاموس الاعلام):

(كركوك مدينة في ولاية الموصل بكردستان وتشكل مركز سنجاق (شهرزور) وفيها قلعة و (٣٦) جامعا ومسجدا و (٧) مدارس و... و...), وكذلك اعتبرت دائرة المعارف الاسلامية, كركوك من كردستان, وكذلك عبدالرزاق الحسني في كتابه (العراق قديما وحديثا) ص٢٢٠ يقول: ينقسم سكان كركوك الى ثلاثة عناصر الكرد والعرب والتركمان ولكن الاغلبية الساحقة للاكراد.

كما وضع الدكتور شاكر خصباك في كتابه (الكرد والمسألة الكردية) ص٤١: لواء كركوك ضمن الوية كردستان, وقال هذا الراي نفسه كل من محمد هادي الدفتري في كتابه (العراق الشمالي) ص٤٠٤ وكذلك (ميجر ميلغن) الذي نص على ان حدود كردستان تمتد الى جبل حمرين, وجرجيس جبرائيل و (لونطريك) الذي اعتبر نهر بلدروز الخط الفاصل بين العرب والاكراد, وكذلك لجنة عصبة الامم الموفدة الى ولاية موصل للبت في تقرير مصيرها واكدت اللجنة على كردستانية الولاية وبضمنها كركوك, وكذلك يذكر المؤلف بالتفصيل تواجد العشائر العربية في منطقة كركوك وكيفية هجرتها وإسكانها, في الكتاب بحث مفصل وموثق بالحجج والمصادر التأريخية والآثارية عن تاريخ التركمان في العراق واستيطانهم واكثرية المصادر لهذا البحث هي مصادر تركية وليست عربية او كردية.

يذكر المؤلف بالتفصيل مشاريع تعريب كركوك وضواحيها منذ العهد الملكي, ومن المهم ان اذكر هنا حربا من الحروب التي خاضها المؤلف وحيدا الا من عقله الثاقب وعشقه واخلاصه لتراثه وآثار شعبه, ومن احد الامثلة الصارخة هو مواجهة نظام صدام الدموي حيث قرر هدم قلعة كركوك التراثية الضاربة في القدم.

في هذه الحرب اتصل المؤلف بالمنظمات الانسانية الدولية كالامم المتحدة وشخصيات عالمية واليونسكو وكثير من الدول, وبدات ذروة نضاله حين وجه رسالة الى صدام حسين وبين فيها ان هدم قلعة كركوك خسارة لتراث العراق عامة وكردستان خاصة, وكآخر بصيص أمل اتصل بقوات (ثيشمرطة – الانصار) وطلب من القوة المتواجدة قرب كركوك تهديد المقاول الذي تعهد بهدم القلعة وهو شخص تركماني فابتعد عن عمله لمدة ثم قام بتخريب القلعة مقاولان آخران هما (محمود الكردي) و (محمد فاضل) من سكان كركوك على ما ذكره مؤلف الكتاب.

ومن ابرز ما قدمه المؤلف هو وثائق نادرة جدا حول تعريب كردستان من الأرشيف السري لمخابرات حزب البعث حول خططه الجهنمية لابادة الشعب الكردي او زحزحته عن كردستان واسكانه في جنوب العراق وفي الدول العربية, ومن اهم تلك الوثائق المذكورة في صفحات (٤٧٣ – ٤٩٧) واخيرا ان الكتاب ضخم وغني جدا بالمعلومات التأريخية والآثارية والخرائط والصور, فيا ليت ان تنشر فصول مهمة منه ضمن عدة حلقات ففي هذا العرض المحدود تكون الإفادة محدودة ايضا.

﴿ سياحتنامة مصر ﴾
موسوعة نادرة عن مصر

عرض وتقديم / حسين عثمان نيرگسجارى

اسم الكتاب / سياحتنامه مصر

اسم المؤلف / أوليا جلبي / ترجمة / محمد علي عوني

اكثر الذين أولعوا بالسياحة هم من رجال العلم والدين أو مغامرون بدافع كشف النقاب عن المجهول, تمتاز غالبية الرحلات بدقة الملاحظة عند تسجيل الظواهر المباشرة مقرونة بالانطباعات الذاتية. لقد لعب بعض الرحلات الاوربية دورا كبيرا في اكتشاف أجزاء كثيرة من عالم الشرق وأجناسها العديدة, ومعالم حياتها الدنيوية والروحية مثل رحلة (ماركوثولو – ١٢٥٤ – ١٣٢٤) , ونال الرحالة (ابن بطوطة) بحق سجلا اتنوطرافيا لوصف الاعراق وأصول السلالات البشرية وكل ذلك عن طريق المشاهدة والاختلاط مع الافراد وكذلك عن طريق القراءة السابقة للتأريخ.

تحدثنا كتب التأريخ عن مستشرقين انتحلوا صفة الرحالة وتقمصوا بزي معين للتخفي واندسوا بين الناس لرصد ما يريدونه وكان لبعضهم اهداف سياسية او اغراض مخططة سلفا مثل: التجارة وطلب العلم والسياحة والحج ونشر الدعوة الدينية... وهناك في تأريخ الحضارة الاسلامية رحالون كثيرون يسمونهم (البلدانيون), ومن الرحالة المشهورين في الشرق (أوليا ضلبي) في تركيا, ويرى الدكتور (أحمد فؤاد متولي) مقدم الكتاب ومراجعه ان (أوليا ضلبي) يأتي مباشرة بعد (ابن بطوطة) في العالم الاسلامي وفي مجال السياحة والرحلات.

ولد أوليا ضلبي في سنة ١٦١١ وسماه استاذه بهذا الاسم ويعني (السيد الولي), وانهى تعليمه الاول في كتاتيب الصبيان, ثم تتلمذ على يد شيخ

الاسلام (حميد أفندي)، ثم لدى اساتذة آخرين حتى حفظ القرآن ودرس الشريعة الاسلامية واتقن العربية والفارسية وقرأ تاريخ العرب وشغف باشعار سعدي الشيرازي وجلال الدين الرومي.

كان حب الاستطلاع مميزا لشخصيته فما رأى شيئا او ظاهرة الا وغاص في اعماقه وسجل عنه خواطره، وهو دائم البحث عما هو جديد، عشق السفر والترحال، وقد بدأ اولى جولاته في اسطنبول والاناضول في عام ١٦٣٠ م. تجول (اوليا ضلبي) في مناطق عدة من الامبراطورية العثمانية ودول اوربية، ففي ربيع عمره وشطر كبير من خريفه اصبح رحالا مغتربا عن اهله ووطنه بمحض اختياره، أدى فريضة الحج الى الجزء التاسع من كتابه (سياحتنامة).

كانت رحلته الاخيرة الى مصر والسودان والحبشة ثم رجع الى مصر وانقطعت اخباره بعد هذه الرحلة الطويلة التي استمرت (٨) سنوات، والمرجح انه توفي بعد عامين من اتمام رحلته تلك اي من سنة (١٦٥١ م) ولا يعرف مكان وفاته بالضبط، هل هو في مصر أم في تركيا؟

المجلد العاشر تناول مصر والسودان والحبشة، الكتاب الذي نعرضه هنا هو الجزء المترجم من قبل المرحوم محمد علي عوني والخاص بمصر، يتناول حياة المصريين والفئات المكونة للمجتمع المصري خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي. كما يتطرق الى تأريخ مصر في العصور الغابرة وحكوماتها المتعاقبة حتى يصل الى الحكم العثماني، ثم يصف السناجق والقوانين التي اصدرها السلطان سليم الاول، ويفيض الرحالة (أوليا ضلبي) القول عن جوامع السلطان، ويخبرنا عن مدارس القاهرة ودور القراءة والحديث التي انشأها ولاة مصر وحكامها السابقون. ثم يتناول التكايا والزوايا التي كان يأوى إليها المتصوفة والدراويش، وذكر جميع الآيات التي ذكرت مصر صراحة او ضمنيا، وكذلك ذكر من دخل مصر من الأنبياء والحكماء والعظام المشهورين.

ثم يتناول الحمامات العامة والخانات والمستشفيات ثم يحدثنا عن الخلجان والبرك والعيون والآبار والانهار والجسور. وخلاصة القول انه يتناول كل شيء يخص مصر قديما وحديثا.

(هذا الكتاب وطريقه إلى النور)

يعتبر الكتاب بحق (دائرة معارف) حول مصر, والنسخة المترجمة هذه هي النسخة المحققة والمعتمدة على عدة مخطوطات, وهي مطبوعة اصلا باللغة التركية وبالحروف اللاتينية في اسطنبول عام ١٩٣٨ من قبل وزارة التعليم القومي بعنوان ((اوليا ضلبي / سياحتنامه سي, مصر / السودان / الحبشة). ثم ترجم الجزء الخاص بالمصر من المجلد العاشر للكتاب من قبل المرحوم محمد علي عوني.

بقي الكتاب المترجم مخطوطا الى ان قرر وارثا المترجم (دربة عوني وعصام عوني) ان ينشرا الكتاب مشفوعا بالحواشي التي كتبها كل من الدكتور عبدالوهاب عزام والدكتور أحمد سعيد سليمان على الكتاب, وكتب الدكتور أحمد فؤاد متولي مقدمة قيمة وشاملة, اخيرا وفي عام ٢٠٠٣ قرر رئيس (مجلس إدارة الكتب والوثائق القومية في مصر) نشر الترجمة المذكورة ضمن نشريات دار الكتب فكان هذا الكتاب.

اعتمد الرحالة (اوليا ضلبي) في رفد معلوماته على المشاهدة ثم على القراءة في بطون الكتب وكذلك على الرواية ومعلومات من اشخاص ثقاة, واهم مصادره المقروءة هي: كتابات المقريزي والطبري والسيوطي وابن الكندي واخرى كثيرة من تركية وعربية وفارسية واوربية, الا انه اعتمد في كل مجلداته على اطلس (مينور – Minor) وبعض خرائط الكرة الارضية. يعتبر الكتاب من اشهر الرحلات التي قامت بها عقلية شرقية اسلامية الى مصر, كان المؤلف شغوفا بذكر القصص الخرافية والاساطير التي سمعها في تلك البلدان مهما كانت شطحاتها وبعدها عن الواقع.

(نبذة عن مترجم الكتاب الى العربية)

شاء القدر أن يساهم كردي في إغناء التراث الثقافي والحضاري لمصر وهو المرحوم (محمد علي عوني), جاء من مدينة (سيفرك) بولاية دياربكر جنوب شرق تركيا, بعد اتمام دراسته الابتدائية والثانوية في تركيا واكمال تعليمه الجامعي في الازهر الشريف بمصر, اتقن اللغة الفرنسية الى جانب العربية والكردية والفارسية, عين في الديوان الملكي في عهد الملك فؤاد الاول كمشرف على الوثائق التركية العثمانية كأرشيف في قصر عابدين, كما انيطت به ترجمة الوثائق التركية الخاصة بالاسرة العلوية الى العربية, وقد عمل معه في الترجمة بعض اعلام المترجمين امثال: حمزة طاهر وزاهد الكوثري. ثم حظي في عهد الملك فاروق بمنزلة كبيرة فكلف اضافة الى عمله بتعليم شقيقته اللغة الفارسية قبل زواجها من شاه ايران.

وقبل ترجمته لهذا الكتاب نذكر اهم اعمال المترجم محمد علي عوني:

١) ترجمة الجزء الاول من الكتاب المشهور (شرفنامة) لشرف الدين خان البدليسي من الفارسية الى العربية.

٢) ترجمة الجزء الثاني من كتاب (شرفنامة) الى العربية وهو الجزء الخاص ببلاد فارس (مخطوطة).

٣) تأليف كتاب عن سيرة الأسرة التيمورية (مخطوطة).

٤) كلفته الهيئة المصرية للكتاب بترجمة الجزء الخاص بمصر من المجلد العاشر لكتاب (سياحتنامه).

(كردستان في ثنايا هذه الموسوعة)

اذكر هنا بايجاز شذرات حول كردستان جاءت في ثنايا هذه الموسوعة النادرة, في معرض الحكومات التي حكمت مصر يذكر المؤلف انه قد عمر مصر السلطان (يوسف صلاح الدين) من الاسرة الايوبية وكذلك يتحدث بالتفصيل عن (دولة ايوب بن شادي الكردي) و (دولة الاكراد), ثم ياتي المؤلف في ص ٩١

بتفاصيل عن ﴿ دولة آل عباس الاكراد ﴾[1] في كردستان وتتكون من (١٢) مناطق, مثل: جزيرة ابن عمر, حاكم صوران, حكومة اردلان, حكاري... ثم يقول المؤلف (فهذه الحكومات كانت مستقلة في شؤونها حسب قانون السلطان سليم الاول) الى ان يقول:

(وقد قمنا بالسياحة والمنة لله في هذه البلاد الجبلية الكردستانية زهاء (٧) سنوات حصلنا خلالها على معلومات قيمة ومشاهدات عجيبة وكبيرة لو اردنا تدوينها لوجب علينا ان نكتب مجلدا ضخما, وان كردستان هذا لو لم يكن سدا منيعا وحاجزا قويا بين آل عثمان والعجم لكان العثمانيون في – حيص وبيص – وقلق وخوف مستمرين من العجم... وان الذين ملكوا مصر في فترة زمنية هم من هؤلاء الأكراد العباسيين).

(١) اعتقد ان المقصود بـ (دولة آل عباس الاكراد) هي الدويلات التي تكونت في أواخر العهد العباسي حين تفككت دولة الخلافة بعد احتلال هولاكو لبغداد في عام ٦٥٦ هـ – حسبن عثمان.

*****

﴿ اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ﴾
أليست خيانة وطنية؟!

بين آونة واخرى نقرأ في الجرائد ونسمع من الاذاعات ان القضاة والمحققين منكبون على اعداد لوائح الاتهامات الموجهة الى طاغية العصر صدام حسين وعصبته المجرمة, فاية اتهامات هذه والتي يستغرق اعدادها كل هذه المدة؟ فصحارى البعث وبراري عمره غارقة في بحر من الهمجيات والكمائن والمذابح والخيانات الوطنية, فلماذا يستغرق اعداد لوائح الاتهام امدا طويلا وجرائم صدام شملت كل حي وكل بقعة ارض في العراق حيث تخريب وحرق البيئة الكردستانية والاهوار وزرع مناطق العراق بالمقابر الجماعية.

مما يحز في قلبي انه لم اجد ذكر تهمة (خيانة وطنية) قام بها صدام حسين حين وقع اتفاقية الجزائر المشينة عام ١٩٧٥ مع ايران الامريكية حينذاك من بين التهم. كان (الانتقام) المحرك الرئيسي لنظام صدام حسين, فالانتقام من الشعب الكردي وجراء نضاله في سبيل التحرر والانعتاق يبدأ بافقاره ثم تبعيثه وتعريبه وشراء الذمم وتخريب القيم الاجتماعية الاصيلة ثم انفلته وتصفيته الجسدية, من بين الانتقامات الرهيبة لصدام, اذكر انتقاما واحدا من شعبنا الكردي وهو عقد اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ مع ايران محمد رضا شاه.

فانتقاما من الشعب الكردي وهوسا في اذلاله وافشال ثورته التحررية تنازل صدام عن اراضي ومياه تبلغ مساحتها قرابة نصف ارض فلسطين, فهبت بعد عقد الاتفاقية مباشرة عواصف عنصرية هوجاء من العسف والنسف ضد شعبنا الكردي, فشرع صدام بتشريد اكثر من مئتي الف اسرة كردية مع سجلات احوالها المدنية الى المحافظات الجنوبية وقراها البعيدة تمهيدا لإخلاء كردستان من شعبها الاقدم وجودا في المنطقة.

من تداعيات تلك الاتفاقية إخلاء مناطق كردستان من السكان وبعمق (٢٠) كم من الحدود الايرانية وبموجب هذا القرار الظالم هدمت آلاف القرى الكردية ومدنها, وقام النظام الفاشي بترحيل السكان وتجميعها في مجتمعات سكنية بائسة, واصبح اكثر من نصف كردستان منطقة محرمة على ابنائها, ونتيجة تلك السياسة الهمجية اعدمت مئات من ابناء الكرد من الفلاحين واصحاب البساتين بحجة وجودهم في المناطق المحرمة, وكمثال بسيط على ذلك عثرت على وثائق امنية بعد انتفاضة ١٩٩١ تثبت إعدام (٢٧) شخصا في محافظة السليمانية فقط نتيجة وجودهم في المناطق المحرمة, وكذلك سلمت السلطات الايرانية عشرات من المناضلين الى سلطات البعث فقامت بإعدامهم ومنهم الشهداء شهاب شيخ نوري وصحبه الابرار وآخرون, وحتى اصبحت تجليات كلمة (القرية) في الادب والثقافة الكردية من المحظورات, ومن الطريف انه اعقب توقيع الاتفاقية اسكات الاذاعة الناطقة باسم الثوار العرب في الاهواز, وكذلك اوقف دعم ثوار عمان, هذا عدا البنود السرية لتلك الاتفاقية الخيانية.

كل ما ذكرناه ارتكبت حسب البروتوكول الامني اما البروتوكولان الآخران فهما حول الحدود النهرية والبرية ويختصان بغايات في نفس يعقوب, وكذلك قررت وزارة التربية العراقية العودة الى جعل المواد الاجتماعية في المدارس باللغة العربية, ثم تراجعت وزارة التربية عن ذلك القرار, بغية اطلاع القراء الكرام على مهازل وخيانات العقل الصدامي, اقدم تفاصيل اكثر عن هذه الأتفاقية وتداعياتها المأساوية والمضحكة احيانا وشر البلية ما يضحك!

أولا: صدام حسين هو الذي ادعى زورا وبهتانا انه حامل لواء العروبة والمناضل الصلب لاسترداد الاراضي العربية السليبة, وهو الذي وافق على اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ وتنازل بموجبها لايران عن نصف شط العرب وبطول (٩٠ كم), وكذلك تنازل عن نصف (فم العصفور)[١] واقصد (مصب شط العرب) على الخليج او (الساحل الاقليمي العراقي), وان ايران لم تتضرر من هذا التحديد لان لإيران حدودا بحرية طويلة جدا وتبلغ آلاف الكيلومترات من

عنق الخليج الى المحيط الهندي, هذا عدا مساحات شاسعة من الحدود البرية تنازل عنها صدام حسين لشاه ايران (جندرمة امريكا على الخليج) كما كان يقال في تلك الايام, والأنكى من كل ذلك ان صدام هو الذي طبل وزمر بزعم ان اتفاقية الجزائر مكسب عظيم للعراق والامة العربية!!

ثانيا: صدام حسين هو الذي تراجع عن موقفه السابق واعلن امام (المجلس الوطني!) في ايلول ١٩٨٠ وقبيل شنه الحرب على ايران وقال: (استعادة سيادتنا الوطنية الكاملة على ارضنا ومياهنا وذلك بإلغاء اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥) ومزق صدام الاتفاقية وبانفعال امام انظار ملايين العراقيين والعالم, وبعد ذلك الاعلان شن جيشه العرمرم حربا هستيرية على ايران دامت ثمان سنوات, فاستنجد صدام بالقادسية الاولى و (قعقاع)ها, في تلك الحرب اللعينة دمر العراقيون (النشامى!) مئات المدن والقرى الايرانية, وقتل وجرح وفقد من العراقيين والايرانيين اكثر من مليوني انسان, وتركت الحرب ويلات وكوارث اجتماعية وانهيارات في القيم الانسانية ما زالت تمتد الى عشرات السنين والى حد ان يقتل الأب ابنه لهروبه عن تلك الحرب الدموية!!

ثالثا: قبل ثلاثة أيام فقط من البدء باحتلال الكويت وفي ٣٠/تموز/١٩٩٠ ارسل صدام رسالة ﴿ ودية جدا ! ﴾ الى رئيس الجمهورية الاسلامية يعلن فيها مبادرة جديدة ليست للسلام والاستقرار بين البلدين بل لتحييد الخصم الايراني, الذي له حدود برية مع العراق طولها (١٢٠٠كم) عند احتلال الكويت.

استهزأ صدام بهذه الرسالة الودية بالجيش والشعب العراقي بل بالذاكرة العربية والدولية ايضا, صدام استهزأ بنفسه ايضا واستخفها فماذا قال عن تفاصيل خطاباته وشعاراته وتبريراته المضحكة لقادسيته وجيوشه الجرارة؟

ان صداما في رسالته تلك اكد قبوله للشروط الايرانية لابرام اتفاقية سلام شاملة بين العراق وايران, كما اكد التزامه ببنود اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥.

رابعا: في حين تدعي الحكومة الايرانية الاسلامية إسقاط شاه ايران العميل الذي كانت له اطماع توسعية كشرطي للاستعمار, الا ان ايران الاسلامية لم تلغ

اتفاقية الجزائر كاتفاقية تمس سيادة شعب جار مسلم, ولم تكشف بنودها السرية, بل اعلنت مرارا وجهارا تمسكها بهذه الاتفاقية الظالمة لجارها المسلم, وحتى ان جميع الاحزاب الاساسية للمعارضة الايرانية بما فيها الاحزاب اليسارية ايدت التمسك بهذه الاتفاقية.

خامسا: رغم ان (البروتوكول الامني) من الاتفاقية استهدف ويستهدف الشعب الكردي, الا ان البروتوكولين الآخرين ايضا والبنود السرية استهدفت وتستهدف سيادة العراق, وان بقاء الاتفاقية ﴿ معمولا بها او معلقة ﴾ تشكل ارضية خصبة لتجديد الصراعات الدموية, وهي قابلة للاستغلال من قبل مراكز القوى المختلفة في البلدين باتجاه اشعال الفتن والحروب.

سادسا: ان الشعب الكردي لكونه الضحية الاولى لتلك الاتفاقية, ينظر في كل الزيارات الرسمية وغير الرسمية (للمسؤولين العراقيين) لايران أو بالعكس بعين الريبة والتوجس الى حين أن تبادر حكومة العراق الحالية وعلى رؤوس الاشهاد وبصورة رسمية الى إلغاء الاتفاقية بجميع بنودها وعدم الالتزام بها, وعقد اية اتفاقية جديدة مع ايران يجب ان تراعى فيها مصالح البلدين, وان تكون بنودها شفافة ولا تتضمن بنودا سرية عملا بمبدأ علنية المعاهدات وشفافيتها المنصوص عليه في المادة (١٠٢) من ميثاق الامم المتحدة.

(١) انظر اتفاقية الجزائر لـ (زهير الزاهر) المنشور في مجلة الثقافة الجديدة, عدد ٢٣٥.

*****

﴿ إلى متى منطق (الحد الأدنى من الطموحات)؟ ﴾[1]

بقلم / مامه خه مه

بدء اطمئن الإخوان في وزارة التربية بان الدوافع وراء عرضي للخلفيات والحقائق في هذا المقال ما هي الا تعبير عن حبي للوزارة وللمسيرة التربوية بالذات, انني ايها السادة مشتاق وعندي لوعة لأرى وزارتنا الفتية هي المبادرة والمخططة...هي الراعية لثورة من الانبعاث والصحوة والإثارة لمشروع التربية المصابة بخواء وفتور وفي كثير من حلقاتها. فمعذرة ان كنت قاسيا في بعض الأحكام والمقارنات لاني مبهور بهذا البيت للجواهري حين يخاطب الرصافي الخالد:

قساة محبوك الكثيرون انهم
يرونك – ان لم تلتهب – غير نافع

بعدما سحبت الحكومة المركزية الإدارات عن المحافظات الكردية – اصبحت اجهزة التربية في المحافظات تنكب على تراثها وخبراتها في الإدارة والممارسة, وظلت تلك الأجهزة إلى ما بعد تشكيل الحكومة الشرعية الاولى بدون جهاز قيادي متخصص يقودها, وظلت الجبهة الكردستانية والمنظمات الأجنبية الخيرية تشد ازرها في المسائل المصيرية مثل الامتحانات العامة والكتب... و ...

كانت برامج التربية في المحافظات الكردية قبل الانتفاضة تعيش بين جهازين مختلفين شكلا فقط, وتتسلم المديريات العامة للتربية في المحافظات الكردية الأوامر والتعليمات من الجهازين حسب المهمات الموزعة بينهما سلفا,

---

[1] لحساسية الموضوع من ذلك الوقت وضعت اسماؤهوما - الكاتب

والجهازان هما وزارة التربية في بغداد, الأمانة العامة للتربية للحكم الذاتي في أربيل. ان الجوانب الفنية وتحديد الأهداف الشاملة والأهداف النوعية والتخطيط المستقبلي لكل ما يتعلق بالتربية منهجا وامتحانات, سياسات تربوية, إدخال تقنيات حديثة في العملية التربوية, برامج تدريب وتحديث, تمويل اقتصاديات التربية كل ما ذكرته وما قد فات مني تخطط لها في أروقة وزارة التربية ببغداد, ولا تبقى للأمانة العامة الا ان تكون وسيطا تنسيقيا تبلغ تربية المحافظات الكردية الثلاث بما تأمر بها وزارة التربية, وحتى متابعة تنفيذ الخطط تتم من قبل وزارة التربية مباشرة وبخاصة في الجوانب الفنية.

ولدت أول وزارة للتربية في اول حكومة شرعية على أطلال الامانة العامة وكوريث لها, وللحقيقة اقول ان تلك الامانة قد تراكمت لديها معلومات احصائية دقيقة وغرفة عمليات عن مختلف ميادين التربية في كردستان, وقد أصبحت – لولا الصراعات الحزبية – مؤهلة لتقوم باعمال الوزارة – طبعا بكوادرها الوسطية.

كانت الولادة عسيرة وكان الوليد كسيحا.. اصاب في بواكير حياته الكردستانية الحرة بأمراض الصراع الحزبي (فيفتي فيفتي) التهافت الهستيري على المناصب القيادية والوسطية في ديوان الوزارة. في هذا الوسط الموبؤ فتح عينيه... فوجد نفسه بدون تراث خبروي تقريبا, والبقية الباقية من الخبرات كانت لدى كوادر الامانة العامة الملغاة بقرار الانتفاضة, وقد شوهت تلك البقية ومسخت بصراع الحزبين المؤتلفين في الوزارة.

أتذكر اني في بداية اعمال وزارتنا الفتية (وانا غارق في الحلم الكردستاني) قد جمعت عدة مصادر ثمينة في مواضيع التنظيم والتخطيط ومجموعة تعليمات وواجهت السيد الوزير وأهديته تلك الهدية المتواضعة عسى ان يعرض على هيئة للإستفادة منها. الا ان ما لاحظته بعد اشهر وسنوات – ويا لهول الفجيعة – ان اهتمامات الوزارة كلها كانت منصبة على تصعيد الصراع والمنافسة على:

أي من الحزبين يعين اكبر عدد من الموظفين والموظفات وليست على المنافسة لبناء صرح عصري لمستقبل التربية في كردستان, وقد شاهدت بأم عيني سجلا في ديوان الوزارة يحافظ على التوازن الرقمي للتعيينات بين الحزبين!!

بعد إخراج الپارتى من اربيل في سنة ١٩٩٤ وتفرد الاتحاد الوطني الكردستاني بوزارة التربية .. كان المخلصون في التربية يعتقدون ان الوزارة قد دخلت عتبة جديدة من الاهتمامات والطموح والتحديث, إلا إنها لم تستطع تجاوز ما أصابها من فتور وضمور, حيث لم تستطع ان تحدد مسارها مثل:

الأهداف الشاملة لمراحل الدراسة, الأهداف النوعية للتربية, ان مخطط وتجديد أهداف كمية لبعض مجالات العمل والسعي الحثيث لبلوغها" إدخال تقنيات جديدة في العملية التربوية" المتابعة المستمرة وتقييمها.

ان وزارتنا الفتية صدرها مفتوح لاستقبال الأفعال والأحداث وليست للمبادرة وخلق الأفعال والأحداث, وكان جل اهتمامات الوزارة وحتى ٣١/آب والى يومنا هذا منصبة على عدة مسارات... اعرضها بإيجاز مع مقارنات بوضعنا الحالي والماضي.

أولا: التعيينات التي لا طائل تحتها, فألحق بملاكاتنا المتخمة أصلا" جيش جرار من الموظفين والموظفات الجدد, وحتى المدارس الابتدائية والرياض في الاقضية والنواحي اصابتها التخمة من الموظفين الإداريين, بينما تعاني اكثرية المدارس من ضعف ملاكاتها الخدمية.

ثانيا: تعيين المشرفين الاختصاصيين والتربويين إرضاء وإشباعا لرغبات المسؤولين وبدون مراعاة المقاييس الفنية, هناك حقيقة تربوية – في العراق على الأقل – وهي ان الإشراف أحد أهم ضمانات الأمان للعملية التربوية – بعد المناهج والكتب – ولكن كيف؟! وهل روعيت في انتقاء المشرفين المقاييس التربوية والفنية, اني لا ادخل في التفاصيل" وان اكثرية المشرفين القدامى أدرى بما يجب ان يراعى في الانتقاء" وبالتخطيات التي ارتكبت في هذا المضمار.

إشراقة في لغة الأرقام

كان معدل عدد المعلمين والمدرسين بالنسبة لمشرف واحد في سنة ١٩٨٤ – ١٩٨٥ هو (١٠٩) معلم ومدرس, وفي سنة ١٩٩٦ – ١٩٩٧ اصبح ذلك المعدل (٨٢) وفي سنة ١٩٩٧ – ١٩٩٨ اصبح (٨١). ان انخفاض المعدل يعتبر مؤشرا إيجابيا كما وان تعيين المشرفات واشتراك المراة في هذا القطاع الحساس يعتبر مؤشرا إيجابيا آخر... إلا إن الوزارة مدعوة بإلحاح لوضع برامج مكثفة لاعداد وتدريب المشرفين الجدد لتلافي ما قد ارتكبت من تخطيات في الانتقاء والترشيح.

نظرة سريعة إلى الوراء:

هناك حقيقة أخرى يجب الا تفوت أنظار المخلصين وهي ان وزارة التربية العراقية كانت تنظم سنويا برامج تدريبية مكثفة للمشرفين القدامى والجدد, كما كانت تنظم دورات طويلة الأمد– ثلاثة اشهر او ستة – لتهيئة القيادات الإشرافية.

برامج التدريب:

كانت برامج التدريب قبل سنة ١٩٩٠ تتكون من عدة محاور:

أ) دورات متخصصة للمدرسين والمدرسات والمشرفين ولمدة ثلاثة اشهر او اكثر في (معهد التطوير التربوي) التابع لوزارة التربية.

ب) كانت تنظم ايضا برامج تدريبية تنفذها مديريات التدريب في المحافظات, وتتضمن تلك البرامج دورات وحلقات دراسية للمديرين والهيئات الدراسية وكذلك للموظفين الإداريين.

ج) حتى الأمانة العامة للتربية في أربيل كان لها دورها في وضع الكوادر العلمية في جامعة صلاح الدين, وكاتب هذه السطور اشترك في دورة الأمانة العامة لمدة شهر واحد.

ثق أيها القارئ الكريم بان وزارة التربية في بغداد كانت تنظم متابعات لمدى نجاح البرامج التدريبية وتطلب من مديريات التربية في المحافظات رفع

تقارير فصلية وشهرية عن تلك البرامج ومدى الإستفادة منها, يا لفجيعتنا!... فأين منا فكرة التدريب والتحديث التربوي في كردستان" وهي من أركان التربية الحديثة؟!

هل فكرت وزارة التربية في عهدها الائتلافي ام في عهديها التفردي والمهجري" في التنسيق والاستفادة من الملاكات العلمية في جامعتي صلاح الدين والسليمانية... هل فكرت على الاقل في فتح دورة تدريبية للقادة المشرفين ولمدة ثلاثة او ستة اشهر ليكونوا بعد تخرجهم مدرسين في الدورات التربوية والحلقات الدراسية؟!

ومن العجب العجاب ان بعض المسؤولين سيردّون عليّ ويقولون: أما يكفي كل تلك الدورات التي اقيمت في العطلة الصيفية وبتمويل من المنظمات الخيرية (أطولها لم تتجاوز شهرا)؟ لست مستعدا سلفا للرد لان ما يقولونه في السؤال كاف لتصديق ما طرحته, واوضح اكثر: ان ما هو اشتاق اليه وعندي له لوعة هو ان أرى وزارتنا العتيدة هي المخطِطة والمبرمِجة والمتابِعة والمموِلة وليس غيرها.

ثالثا: ومن اهتمام وزارة التربية: تضخيم فكرة الاستشارة في الوزارة, ان فكرة (المجلس الاستشاري) في ديوان الوزارات العراقية قد برزت بعد انقلاب ١٩٦٨, وجاءت نتيجة حاجة الوزير المعين للخبرة المتوارثة... لان اكثرية الوزراء الجدد كانوا غير أصحاب الاختصاص, وكانوا حزبيين سياسيين بدلا من كونهم تكنوقراطيين, وكذلك نتيجة توسع مهمات الوزارات, فاصبح صنع القرار اكثر صعوبة.

كان المجلس الاستشاري في ديوان وزارة التربية العراقية يتكون من المدراء العامين التكنوقراطيين, وكذلك من خبراء تربويين من الذين عملوا في المنظمات العربية من ذوي الشهادات العالية في التربية والعلوم, وقد يكون من بينهم واحد او اثنان مستشارين شخصيين للوزير (وفي الظل غالبا).

ان فكرة الاستشارة بمفهوم علم الإدارة تعني أما:

أ) تعيين مستشار اداري داخل المؤسسة او الوزارة وبالمواصفات المذكورة ادناه, لتقديم المشورة الى القائد الاداري حين يريد ذلك القائد حل المشاكل وإزالة العقبات في مؤسسته او يريد إدخال تغييرات في أنماط العمل او الإنتاج.

ب) استقدام او دعوة مستشار من خارج المؤسسة (من المكاتب الاستشارية في القطاع الخاص) او من مؤسسة حكومية يوجد لديها ذلك الخبير.

رأي علم الإدارة في الاستشارة وبإيجاز:

أ) تعريف المستشار: الشخص المتخصص الذي يقوم بدراسة المشكلات الإدارية وغيرها من الصعوبات, التي تواجه الدوائر والمؤسسات, ويقوم بتقديم الحلول المناسبة والمشورة للإداريين بشأنها.

ب) القدرات والمهارات الأساسية للمستشار:

١- الخبرة في التخطيط وتنفيذ الاستشارة.

٢- مهارة القدرة على تحليل المعلومات واكتشاف المشاكل وتقديم الحلول.

٣- القدرة على الإصغاء لجمع المعلومات من موظفي الدائرة والرؤساء.

ج) المؤهلات الضرورية للمستشار: مؤهل جامعي – بكالوريوس في الإدارة العامة أو إدارة الأعمال أو العلوم السياسية أو الاقتصادية أو علم النفس.

٢- اجتياز دورات تدريبية متخصصة في الاستشارات.

٣- خبرة عملية يجب توفرها للمستشار في مجال العمل الحكومي أو القطاع الخاص.

٤- اتباع قواعد السلوك للمستشار, كالنزاهة والاحتفاظ بالأسرار...

وأخيرا أتساءل: على أي من المقياسين المذكورين أعلاه (المتبعين في وزارة التربية العراقية او ما يقوله علم الإدارة) ينطبق على حالتنا الكردستانية ذات الحكومتين؟!

إن القائد الإداري- الوزير – لو اختار مديرية العامين من الخبراء المتمرسين في التراث الإداري للمؤسسة – وليس لاعتبارات أخرى.. نعم لو سلك هذا المنحى لما احتاج الى تعيين (١٣) مستشارا في ديوان وزارته!

إدخال تقنيات حديثة:

يعتبر إدخال تقنيات حديثة في العملية التربوية من الأهداف النوعية التي كانت وزارة التربية تهتم بها قبل عام / ١٩٩٠, ومن اواسط الثمانينات بدات اهتمامات مكثفة بمختبرات الكيمياء والفيزياء والبايولوجيا وكذلك بتحديث وطبع وسائل الإيضاح من الخرائط والرسوم والهياكل التوضيحية وكذلك بمختبرات الصوت وتوسيع ورش اقسام التربية المهنية الملحقة بالمدارس المتوسطة.

في سنة ١٩٨٦ قررت وزارة التربية إدخال الكومبيوتر في خمس مدارس إعدادية في محافظة السليمانية, وجهز خمس قاعات مؤثثة بجميع المستلزمات, وشكلت هيئة متخصصة للإشراف على القاعات الخمس, وكانت الوزارة تديف لنا زبد الوعود في عسل الكلام بتوسيع رقعة استخدام الكومبيوتر بحيث يشمل جميع المدارس الإعدادية في المحافظة كحد أدنى في المستقبل القريب, وكانت الكومبيوترات على نظام البيسك (الكلاسيكي حاليا).

تضررت القاعات تلك أثناء الانتفاضة بأضرار طفيفة ولتزعزع الظروف الأمنية والخوف من سرقة محتويات القاعات الخمس- قررت تربية السليمانية وبدعم منظمات خيرية جمع الكومبيوترات في قاعة واحدة وتحت الإشراف المباشر من التربية. وحاليا اصبحت الاستفادة من القاعة محدودة جدا, لبعدها عن المدارس وكلاسيكية نظامها البيسكي.

يعتبر تعلم الكومبيوتر في أيامنا من الضروريات الحياتية, ادخلها كثير من الدول.. حتى في المرحلة الابتدائية, في السنوات الأخيرة بادرت منظمات خيرية – ومنها اليونيسيف – في كردستان الى فتح دورات لتعليم الكومبيوتر – اشترك فيها مدرسون او مدرسات وكوادر ادارية – ومن بينها كوادر الوزارة ايضا, وقد طبعت كراسات في هذا الموضوع.

في مؤتمر التربية لوزارة التربية المنعقد في السليمانية – بداية شهر آب / ١٩٩٧ – دعا احد الضيوف المختصين وهو الاستاذ (احمد شريف) المدير

العام في وزارة المالية – آنذاك – دعا وزارة التربية وكل المخلصين الى الاهتمام بتعليم الكومبيوتر وإدخاله في مدارس كردستان بصورة واسعة.

انا معكم أن الظروف المالية عسيرة وأسباب العسر معروفة, إلا إن هذا لم يكن يقنع أحدا بان الوزارة في عهودها الثلاث, لم تستطع أن تخطو خطوة واحدة متواضعة على هذا الطريق, وان تؤثث وتجهز قاعة واحدة للكومبيوتر في إحدى المدارس الإعدادية.. وأن تضع على خارطة اهتماماتها توسيع الرقعة ... وان تكثف مطالبتها لحكومة الإقليم – والمنظمات للاهتمام بهذا الجانب.

وأخيرا اتمنى أن تجتاز وزاراتنا الفتية مرحلة ((الحد الأدنى من الطموحات التربوية)) وأن تتعامل مع المسيرة التربوية من هذا المنطلق:(ليست لطموحاتنا حدود و (مغبون من استوى يوماه).

١) انظر كتاب (أصول التنظيم والأساليب) للأستاذ محمد شاكر عصفور / خبير في معهد الإدارة العامة بالرياض / ط ٧ – دار الشروق.

*****

﴿ الجهاد: من الهجرة الى الدعوة الى الدولة ﴾

موقف العلماء المسلمين في القرنين الرابع والخامس للهجرة

المؤلف: الدكتور محمد الرحموني / من تونس / رسالة دكتوراه في شباط / ١٩٩٢صدر عن دار الطليعة / بيروت

عرض وتعليق: حسين عثمان نيركسجاري

الجهاد كالاجتهاد من مصدر واحد ومفهومهما غير محددين تحديدا دقيقا ويوظفان في مسائل مختلفة بل متناقضة احيانا, الاستعمال الاول للجهاد في الاسلام كان للدلالة على الدفاع عن الاسلام في عهد النبي, وبذلك صبغ بصبغة مقدسة ولم تفارقه رغم تغير الاحوال, وسواء كان بالمال ام بالنفس.

ان الجهاد فرض في بداية الاسلام لثلاث اسباب: توسيع ونشر الدين, حمايته, ومحاربة المرتدين عن الدين, ان مشروعية الجهاد يرتكز على هذه الفكرة: (ان الدين عند الله الاسلام – آية قرآنية). ولا يقبل من المؤمن أي دين آخر, لذلك بعث النبي الى البشر جميعا وامر امته بتبليغ هذا الدين الى العالمين كافة حتى لا يبقى على الارض كافر واحد.

الجهاد هذه الكلمة المسكينة التي تعرضت وما تزال تتعرض الى تفسيرات وتأويلات بل حملوه بمفاهيم غريبة عن الدين احيانا, وحسب الظروف السياسية وخاصة سياسات دول الخلافة ضد معارضيها وكذلك حسب الصراعات العسكرية ضد الدولة البيزنطية واطماعها.

يرى المؤلف ان مجيء البويهيين والسلجوقيين وفرض هيمنتهم على مقدرات الخلافة العباسية ورغم اندحار البيزنطيين مرات في الشام على يد السلجوقيين, الا انه اعطى فكرة الجهاد ابعادا اوسع من التفسير السلبي والتزوير والتمييع, ان حقبتي البويهيين والسلجوقيين تمتازان بتجذر روح الطائفية وتعميق الشقاق والعداوة بين السنة والشيعة وحتى بين الاشاعرة والحنابلة والشافعية من السنة وبصورة اوسع, واستخدم الجهاد شر استخدام. يذكر هادي العلوي ذلك الدور المشين في تأجيج روح الطائفية في تلك الحقبتين

ويعلق هادي بهذه المناسبة ان الاتراك آخر من جاءوا الى الاسلام وتطرفوا واول من تمردوا عليه.

وارى ان كلمة (الحديث) كالجهاد من اكثر الكلمات مغبونية وتعرضا للتشويه والتزوير والتمييع, الم يكن المحدثون وحرصا على نقاء النصوص, صرفوا اعمارهم في البحث والتقصي, وفي الاخير اضطروا الى تصنيف الاحاديث الى الضعيف والمتواتر والصحيح و ... وحتى ان كثيرا من الفقهاء والمتكلمين نعتوا بعض الاحاديث بـ (احاديث اسرائيلية).

يذكر المؤلف معتمدا على مراجع اصيلة, ان الجهاد في الاسلام لم يكن دائما بمعنى السيف والعنف وان كان بحق معركة متواصلة ودافعة لعجلة التاريخ الاسلامي, فالجهاد المسلح لم يكن سوى مظهر واحد من مظاهر الجهاد المتنوعة (جهاد مسلح, سلمي, جهاد الكفار, جهاد فرق البغاة والخوارج, جهاد هجومي او دفاعي, جهاد نفسي وجداني, وان ابو العلاء يقول:

قنعت فخلت ان النجم دوني فسيان التقنع والجهاد

الا ان المسلمين ياتون دائما وفي كل حالة بنصوص من القرآن والحديث (صراحة او تاويلا), وكذلك ياتون بفتاوى رجال الدين لتبرير عمليات جهادية دموية سواء ضد الخطر الخارجي ام ضد المسلمين انفسهم من حركات المعارضة. واعتقد ان كلمات (الجهاد) و (الملحد) و (الكافر) و (المرتد) وكلمات اخرى تعرضت مفاهيمها لتفسيرات ضبابية, ويذكر المؤلف باسهاب ودقة متناهية ان تلك التشويهات تجري في اطار جدلية (السياسي / الديني).

يقول الدكتور عبدالمجيد الشرفي, المشرف على الرسالة ومقدم الكتاب ﴿ لم يكن الجهاد في الاسلام محكوما بنظرية مسبقة, بل ان جملة من العوامل التاريخية اثرت في الجانب النظري مثل حركة الفتوحات وممارسات الدولة الاموية في مختلف الادارة والقضاء والخراج ومعاملة اهل الذمة, كما ان سلوك بني امية منذ احداث الفتنة الكبرى وطريقة تعاملهم بالنص وتقتيلهم لكثير من مناوئيهم متسلحين بفتاوى صادرة عن العلماء والفقهاء وتحويلهم الخلافة الى

(ملك عضوض). كل ذلك بذل كثيرا من مفهوم الجهاد وادى الى دخلنته ﴿ أي تحويل تطبيقاته من الهجوم الخارجي الى داخل المجتمع الاسلامي نفسه في اتجاهين:

- جهاد اهل البغي واهل الاهواء والبدع.
- الجهاد النفسي والروحي.

يذكر المؤلف ان في مصنفات الحديث النبوي والفقه ابوابا خاصة عن (اهل البغي) و (الخوارج)، وفي القرنين الرابع والخامس للهجرة جاء دور القرامطة والاسماعيليين لينعتوا بالخوارج الجدد، وجند علماء السنة كتاباتهم للرد عليهم حيث يكفرون المعتزلة والشيعة بكل فرقهم. كما ويذكر المؤلف بالتفصيل الرسالة التي كتبها القشيري عن محنة علماء السنة في نيسابور عام ٤٤٥ هـ.

يستعرض المؤلف الدكتور محمد الرحموني مواقف علماء المسلمين في القرنين الحاسمين الرابع والخامس للهجرة حيث تم فيهما التنظير الفقهي لجهاد المخالفين من اهل الملة، واختار لذلك اعلاما من اهل السنة وآخرين من الشيعة، ثم تعمق في الموضوع بتصنيف هؤلاء الاعلام الى مواقف الفقهاء والكلام والصوفية ومواقف شعبية وادبية. ويتضح من زبدة الفصول الغنية بالمراجع المتسمة بالدقة، ان تنظير العلماء المسلمين للجهاد الداخلي بكل انواعه انما هو مظهر من مظاهر غلبة منطق السياسي (الدولة) على منطق الديني (الدعوة) وذلك تحت حجج جاهزة دوما مثل محاربة صنوف (البدع)و (الخارجين) عن الاجماع و ... و ... .

ان المؤلف اختار من بين فقهاء المذاهب اعلاما مشهورين ولهم مؤلفات كثيرة في حدود مذاهبهم، فمثلا اختار من بين اعلام فقهاء الشيعة الكثيرين مثل (الكليني والطوسي والشيخ المفيد) (ابن بابوية القمي) لوفرة مؤلفاته المطبوعة، وكذلك اختار (القاضي النعمان) من الشيعة الاسماعيلية، واختار من السنة الماوردي والغزالي، رغم ان الاخير شهد بدايات الغزو الصليبي، الا انه لم

يحرك ساكنا ازاء هذا الحدث الضخم, مما اضطر المؤلف ان يبحث بالتفصيل عن اسباب صمته وموقفه الغائب من الجهاد.

ارى من المحبذ هنا ان ارفد موضوع الجهاد بـ (الجهاد والتكفير لدى الخوارج) وذلك بقصد وضوح الرؤية لدى القراء الكرام وباختصار شديد, لاشك ان (اعظم خلاف بين الامة الاسلامية هو خلاف الامامة – اي السلطة – في كل زمان) كما يقول الشهرستاني, كان الخوارج يخاطبون الناس بعبارات مليئة بالايمان والعدالة والحاكمية لله والبراءة من الظلم والظالمين, الا انهم وباسم الجهاد اباحوا دماء المسلمين من الابرياء ومخالفيهم في الرأي ومنهم (علي بن ابي طالب), حيث رأى الخوارج ان قتله كان ابتغاء مرضاة الله وانه عمل جهادي ويقول أحد شعرائهم في قصيدة بمناسبة تلك الفعلة الشنيعة:

يا ضربة من تقي ما اراد بها
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

مع كل ذلك تذكر اكثرية المصادر ان الخوارج كانوا اهل العبادة وصلاة مبالغ فيها, كما وتجمع مصادر علم الكلام على انهم نصيون ياخذون بالظاهر ومتطرفون متعسفون في التفسير والتأويل.

﴿ مواقف الفقهاء ﴾

يؤكد القاضي النعمان كشيعي اسماعيلي, ان الجهاد فرض على جميع المسلمين, ولا يمكن الا ان يكون حاكم البلد اماما عادلا, كما واجاز الصلح والموادعة مع المشركين اذا كان في ذلك خير المسلمين, واعتبر القاضي وقياسا على حروب علي بن ابي طالب ضد البغاة, اعتبر القاضي النعمان معارك الفاطميين في المغرب ضد الخوارج واهل السنة جهادا ايضا.

ويأتي المؤلف بقاضي شيعي آخر من الامامية وهو (ابن بابوية القمي ٣٨١ هـ – ٩٩١ م) لهذا العالم الديني مؤلفات كثيرة وله آراء واضحة في الجهاد وادخل في دائرة الجهاد انواعا كثيرة من الاعمال الفاضلة الجمعية والفردية, واشار هنا الى نقطة مهمة وهي ان الجهاد فريضة من الله بالنفس والمال ومع

حاكم وامام عادل, وزبدة القول ان اغلب فقهاء السنة والشيعة يرون ان جهاد اهل البغي واصحاب الاهواء والبدع اهم من جهاد الكفار, وان السنة يرون في الشيعة اهل البغي وكذلك الشيعة لهم نفس الراي في السنة.

اما فقهاء السنة (الماوردي نموذجا) فيرون ان القتال للدفاع عن الدولة الاسلامية واجب مهما يكون حال حاكم الدولة عادلا ام لا, اما محاربة الفئات التي قد تشكل خطرا على الدولة والمجتمع من الداخل, فتعتبر جهادا ومنهم المرتدون واهل البغي وبشرط ان ينفصلوا عن الدولة في منطقة متميزة عن المسلمين, اما المحاربون وقطاع الطرق فانهم اجدر بالحرب من المرتدين والبغاة.

اما راي ابو حامد الغزالي (٥٠٥ هـ – ١١١١ م) عن الجهاد فهو واجب على الكفاية, يذكر المؤلف آراء كثيرة من المؤرخين والمحللين حول موقفه السلبي تجاه الهجمة الصليبية, فبدا ذلك الموقف غريبا للبعض ومنطقيا للآخرين, من تلك الآراء:

- سلبية السلطان السلجوقي ولا مبالاته وكذلك خلفاء العباسيين بأمور الجهاد.
- مرض الغزالي وازمته النفسية.
- سلوكه طريق التصوف, وقد وقف جميع الصوفية موقفا هادئا من الحروب الصليبية ويعتقدون انها عقاب من الله للمسلمين على معاصيهم.
- ان الغزالي رحل عن دمشق عندما غزا الصليبيون الشام, وهذا الرحيل بحد ذاته موقف من الحدث.
- ان تهديد الافرنج الخارجي عند الغزالي اهون من خطر الباطنية.
- انه مذعور امام الحدث, فقد اصابه اللا بالاة.
- انه بعد اربع سنوات من الاقامة في بغداد قرر الرحيل والعزلة.

﴿ موقف المتكلمين عن الجهاد ﴾

يقول المؤلف انه لا يوجد في المصنفات الكلامية الا نتف متفرقة عن الجهاد وهي هامشية وغير مقصودة لذاتها, واهم الموضوعات التي اثيرت في كتب الكلام هي ردودهم على النصارى حيث ينتقدون المسلمين اعتمادهم في نشر الاسلام على السيف والفتوحات, وانحطاط اوضاع المسلمين من جميع النواحي وان اسباب ذلك الانحطاط براي المتكلمين تعود الى الفرق (الضالة) و (اهل الاهواء والبدع) من باطنية واسماعيلية ومعتزلة وصوفية والقرامطة.. و .. وفضائحهم كفيلة باخراجهم من دائرة الاسلام الى دائرة الكفر بل هم اشد كفرا من الكفار ولذلك وجب جهادهم, وغاب جهاد الكفار براي المؤلف عن المصنفات الكلامية تقريبا.

وهكذا نجح دولة الخلافة في جر المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم الى تدعيمها في مواجهة خصومها بحجة حرصها على توحيد الامة بمقاومة التشرذم والتفكك. ان هذا الكتاب غني بل متخم بالمصادر الموثوقة القديمة والحديثة, وكذلك تحليلاته واستنتاجاته, انه كتاب جدير بالقراءة وخاصة عندما اصبح الجهاد في ايامنا غطاء لاشعال حروب اقليمية بل دولية. وخاصة في عراق اليوم.

﴿ مواقف المتصوفة ﴾

ان التصوف في القرنين الثالث والرابع للهجرة كان في مرحلة النضج, إذ كانت مسائل الصوفية أول الامر غامضة وساذجة, وان الافكار والثقافات الخارجية المتسربة الى الاسلام بدات تتفاعل وتتوالد افكارا ومواقف جديدة. ان الصوفية تطرقت الى ان روح الاحكام الشرعية وباطنها اهم من شكلها وصورتها, وان النية مقدمة على العمل و... ... .

ان الناس في القرنين الحاسمين قد استخفوا بأداء العبادات وركنوا في ميدان الغفلات, بل ان القيم النبيلة زالت وحلت محلها قيم زائفة. هذا الوضع المتردي كان حاضرا في تصور الصوفية للجهاد, فالجهاد في نظرهم طلب الحلال وفي الاعمال الصالحة وطلب العلم وفي مقاومة الفرق الضالة من معتزلة ومرجئة وحشوية وجهاد النفس والابتعاد عن مناصب الدولة الا الصغيرة منها يعتبر جهادا ايضا.

واخيرا ان الاحاطة بجميع مضامين هذا الكتاب وفي هذا العرض لعمل عصي عَلَيَّ.

واخيرا الحق بهذا العرض وبقصد الاتعاظ من ذلك الماضي الدموي البغيض جردا تاريخيا لاهم الصراعات المذهبية طيلة القرنين الرابع والخامس للهجرة, واعتمد المؤلف في هذا الجرد على كتب منها: (الكامل) لابن الاثير (ك) و (المنتظم) لابن الجوزي (م) و (البداية والنهاية) لابن كثير (ب), علما بان المؤلف قدم جردا آخر مؤلفا من (١٨٧) فقرة لاحداث الجهاد في القرنين ٤ , ٥ للهجرة. وان احداث هذا الجرد الاخير تخص الفتوحات والغزوات التي خاضتها دولة الخلافة مع البيزنطة والهنود ودول اخرى.

جرد تأريخي لاهم الصراعات المذهبية
طيلة القرنين الرابع والخامس للهجرة

٣٠٩ هـ احضر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الى دار الوزير (علي بن عيسى) لمناظرة الحنابلة في اشياء نقموها عليه فلم يحضروا. (ب) ١٣٢/١١

٣١ هـ مات الطبري ودفن في داره لان بعض عوام الحنابلة منعوا دفنه نهارا ونسبوه الى الرفض.
(ب) ١٣٦/١١

٣١٧ هـ وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين اصحاب ابي بكر المروزي الحنبلي وغيرهم من العامة, والسبب هو اختلاف في تأويل آية قرآنية. (ك) ٧٩/٨١

٣٢١ هـ اشاعت العامة ان الحاجب علي بن بليق يريد ان يلعن معاوية على المنابر, فلما بلغ الحاجب ذلك بعث الى رئيس الحنابلة (محمد البربهاري) الواعظ ليقابله على ذلك فهرب واختفى, فأمر بجماعة من اصحابه فهربوا الى البصرة. (ب) ١٧٢/١١
وفي نفس هذه السنة امر الخليفة القاهر بالله بتحريم الخمر وسائر الانبذة وذلك تحت ضغط الحنابلة, وامام ضغطهم المتواصل نادى صاحب الشرطة في جانبي بغداد بان لا يجمع اثنان من الحنابلة ولا يناظرون في مذهبهم فلم يفد ذلك فيهم وزاد شرهم. (ك) ١١٦/٨-١١٧.

٣٢٣ هـ قويت شوكة الحنابلة وان وجدوا نبيذا اراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في مشي الرجال مع النساء. (ك) ١١٧/٨

٣٦٣ حصلت فتنة بين الشيعة والسنة وذلك ان جماعة من اهل السنة

هـ (عوام الحنابلة) اركبوا امراة جملا وسموها عائشة وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير وقالوا: نقاتل اصحاب علي.(ب) ٢٧٥/١١

٣٥١ هـ في هذه السنة كتب العامة على مساجد بغداد بلعن للمعاوية وعثمان. (م) ٧/٧

٣٩٢ هـ ثار العوام على النصارى فنهبوا البيعة بقطيعة الدقيق واحرقوها. (م) ٢١٩/٧

٤٤٣ هـ (هَمّ الروافض بقبر الامام احمد فمنعهم النقيب وخاف من غائلة. (ب) ٦٢/١٢

٤٤٥ هـ لعن السلاجقة بنيسابور الاشعري (كلاهما سنيان – ح) وذلك لكسب ود الحنابلة قبل الدخول الى بغداد. (م) ١٥٧/٨-١٥٨

٤٤٧ هـ فتنة بين فقهاء الشافعية والحنابلة بسبب الجهر بالبسملة والترجيع في الاذان: فقوى جانب الحنابلة قوة عظيمة بحيث انه كان ليس لاحد من الاشاعرة ان يشهد الجمعة ولا الجماعة.
(ب) ٦٦/١٢ و (م) ١٦٣/٨

٤٤٩ هـ مجاعة ووباء: (وتاب الناس وتصدقوا باكثر اموالهم, واراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن. (ب) ٧١/١٢

٤٦٥ هـ توبة ابن عقيل الحنبلي, وكان الحنابلة قد نقموا عليه سنة ٤٦١ هـ بسبب تردده الى ابي علي المتكلم المعتزلي واتهموه بالاعتزال. (م) ٢٥٤/٨

في نفس هذه السنة امر الحنابلة بهدم المواخير وتبطيلها وصادف ان اغرقت بغداد في السنة التالية فاعتبروا ذلك عقابا من الله. (ب) ١٠٥/١٢

٤٦٥ هـ قدم ابن القشيري بغداد وجلس يتكلم في النظامية ويذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم, وشكى الحنابلة الى نظام الملك, وذهب جماعة الى شيخ الحنابلة وهو في مسجده فدافع عنه, واقتتل الناس بسبب ذلك وثارت الفتنة.

في نفس هذه السنة ازيلت المواخر ودور الفسق ببغداد ونقضت وهرب الفواسق. (ب) ١١٥/١٢

٤٧٠ هـ ورد كتاب من النظام الى ابي اسحق الشيرازي فيه تعظيم لابن حنبل فتداول هذا الكلام بين الحنابلة سروا به وقووا معه فحصلت فتنة. (م) ٣١٢/٨

٤٧٣ هـ اذن للوعاظ بالجلوس وكانوا منعوا منذ فتنة ابن القشير وتقدم اليهم ان لا يخلطوا وعظهم بذكر شيء من الاصول والمذاهب. (م) ٣٢٦/٨

٤٧٥ هـ فتنة بين الاشاعرة والحنابلة بسبب تعرض الوعاظ الاشاعرة للحنابلة بالسب والتكفير.(م) ٣/٩-٤

٤٩٥ هـ في هذه السنة قدم عيسى بن عبدالله القونوي فوعظ الناس وكان شافعيا اشعريا فوقعت فتنة بين الحنابلة والاشعرية ببغداد. (م) ١٣١/٩ و (ب) ١٦٢/١٢

نفي ابن المعلم فقيه الشيعة عن البلد فقامت هيبته. (م) ٢٢٠/٧

٤٠٦ هـ فتنة بين السنة والشيعة. (ك) ١٠٨/٩

٤٤٧ هـ الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد. (كلاهما من السنة) - ح (ك) ٢٥٦/٩

٤٦٩ هـ الفتنة بين الحنابلة والاشعرية. (م) ٣٠٥/٨-٣٠٦

قراءة في هذا الكتاب

« تجديد الموقف الاسلامي في الفقه والفكر والسياسة »

المؤلف: الدكتور محمد شريف احمد / عميد كلية القانون والسياسة في جامعة صلاح الدين باربيل

عرض وتعليق: حسين عثمان نيركسجاري

رغم ان قضية تجديد الفكر الديني في العالم الاسلامي وبعد سقوط الخلافة العثمانية اصبحت الشغل الشاغل للكتاب والمثقفين, الا ان علماء الدين في مصر كانوا روادا حقيقيين لمشروع التجديد, وكان جمال الدين الافغاني في بداية القرن العشرين رائدا لهؤلاء الرواد من امثال الشيخ محمد عبده واحمد امين وعبدالرحمن الكواكبي وعلي عبدالرزاق والشيخ امين الخولي وكثيرين كثيرين, واغلب هؤلاء كانوا من الازهر ومن علماء الدين خارج الازهر.

الا ان تلك المكاسب في مجال التجديد الديني والتي كانت مهيئة للتطور والاغناء في المستقبل, اصيبت بالنكسة بعد ان انتعشت جذور السلفية والتطرف خاصة بعد سقوط الايديولوجية الشيوعية وظهور امريكا كقوة مهيمنة على العالم وكمرجعية للرأسمالية العالمية المتغطرسة, فظهر شعار (الاسلام هو الحل) بين اوساط الاحزاب الراديكالية الاسلامية, والعمل لفرض ذلك الشعار بالقوة لا على الدول الاسلامية فحسب بل على العالم كله.

وبذلك ستجهض مكتسبات حضارية وحداثية في العالم العربي والاسلامي. بمجاراة هذا الوضع الجديد الشائك ظهر في الدول الاسلامية جيل جديد من الاكاديميين في الشريعة والقانون وعلماء دين مخلصين معتدلين في مواقفهم تجاه مختلف القضايا السياسية والاجتماعية في مجتمعاتهم, ان هؤلاء يناضلون بحكمة ورؤية من اجل التفاعل والانسجام مع معطيات الحضارة الانسانية في القرن الحالي, وانطلاقا من التراث المقروء الزاخر الثر للفقه والسنة والعلوم الدينية والتاريخ والفلسفة. من هؤلاء الاكاديميين البارزين المعروفين في

العراق الدكتور محمد شريف, وهو استاذ في عدد من الكليات الجامعية العراقية واستاذ مشارك في جامعتي جرش وآل البيت في الاردن وعميد كلية القانون والسياسة في جامعة صلاح الدين باربيل وعضو مجمع الفقه الاسلامي بجدة سابقا.

رايت ان اعرض بايجاز كتابه الرائع (تجديد الموقف الاسلامي في الفقه والفكر والسياسة) والمطبوع في دمشق/دار الفكر/٢٠٠٤, لما اعتقد ان الكتاب يساهم بجد واخلاص في انقاذ المجتمعات الاسلامية من التخلف والتطرف الديني والمذهبي, ان الكتاب غني بالافكار المشرقة والمستقاة من مناهل اسلامية اصيلة وعالمية وآرائه الشخصية وليس بمقدوري ان اعطي حقه في هذه العجالة, الا اني اجهد ان اقدم بايجاز نتفا منه, واتمنى ان يقرا الكتاب كل من له صلة بالسياسة سواء من الليبراليين العلمانيين ام الاسلاميين بمختلف مدارسهم ومشاربهم. ويقراه علماء الدين ورجال القانون, علما ان المؤلف اخذ الاجازة العلمية من شيخه نشأة واصبح اكاديميا واستاذا جامعيا لاحقا.

خير ما بدا به المؤلف بعد البسملة هو: ان الانسان لاحظ منذ القدم ان التطور سنة الحياة وان دوام الحال من المحال ولا يستطيع اي منا ان يستحم مرتين في النهر نفسه كما قال هرقليطس (٤٨٠-٥٤٠) ق.م, ثم يقول المؤلف [وقد يكون هذا بعضا من تاويل الآية الكريمة التي ترمز الى تطور الاشياء وخلود الخالق (كل يوم هو في شأن) الرحمن / ٥٥,٢٩ والله اعلم].

ومن الشواهد البسيطة في يومنا ان التطور جرف معه كثيرا من القيم التي ظن في حينها انها خالدة كالعبودية والسخرة والتمييز العنصري وقهر الشعوب المستضعفة والانفراد بالسلطة..و.. وفي موضوع التطور يسهب المؤلف ويقول: (فلا يعقل ان يكون الفقه المدني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي بمأمن من رياح التغيير). هذا ما يلمس في طبيعة الفقه الاسلامي وتجربته التاريخية الزاخرة بألوف العقول اللامعة ومجتهدين ومجددين.

ولا يعتمد المؤلف في موضوع التطور والتجديد على المهدوية او على فكرة ان مجددا يخرج في مطلع كل قرن يجدد امر الدين, بل يرى التجديد كضرورة اجتماعية و (مثل هذا التجديد يجري في فقه الحياة العامة لا في الثوابت العقيدية والشرعية المعلومة بالدين) والفرق بين الشرع والفقه عند المؤلف هو ان الفقه فهم بشري وتفسير ظرفي ورؤية محددة بالزمان والمكان فليس بوحي مقدس بل هو وضع بشري قابل للتغيير, اما الشريعة فهي نصوص مقدسة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة, فالشريعة تكتفي بالمعايير العامة كقواعد العدالة ومباديء الانصاف والاحسان او القانون الطبيعي في لغة القانونيين, وللقضاة الحكماء تحكيم المصلحة العامة والحكمة ومقاصد الشريعة وفقا لاجتهادهم الذي يحقق العدل.

ويستمر المؤلف: اذا يكون التجديد ضرورة اجتماعية لا مفر منه, وما دام اكثرية دلالات النصوص الشرعية ظنية وحيث تستجد وقائع وامور لم يصدر بشانها نص قاطع الدلالة وثابت الوجود, فلا يكون من الحكمة ولا من الشرع استدعاء مفردات الفقه القديم او البحث الدلالي عن عبارة الفقهاء وفتاواهم لازمنتهم, بل لابد من فقه تجديدي يلائم الواقع, وييسر الامور ولا يعسرها ويساير روح العصر ولا يقاطعها, ولكنه يستأنس بما هو اصيل ومناسب من التراث الفقهي الغني, يذكر المؤلف ان الامة الاسلامية مرت بسلسلة طويلة من التجديد الفقهي انسياقا مع تطور المجتمع وتوقعات المستقبل, بل هناك تجاوزات لصريح النصوص بحثا عن حكمتها وغايتها, كقيام عمر بن الخطاب بابقاء سواد العراق المفتوح عنوة ملكا للدولة وما قسمه كقسمة الغنائم المنصوصة عليها في الكتاب والسنة, مراعيا مبدا اولوية الحكمة والمصلحة العليا في قضايا السياسة والادارة, او بايقاف حد السرقة (قطع اليد) عام المجاعة, او بحرمان المؤلفة قلوبهم من نصيبهم المقدر بنص صريح من القرآن, ومعلوم انه لم يجر إلغاء مقررات عمر الادارية من قبل الخلفاء اللاحقين فيما بعد, وكمثال صارخ آخر على التطور هو ان الاجتهاد الفقهي يختلف من

زمان الى زمان ومن مدينة الى مدينة كما كانت الحال في الفقه الشافعي الجديد في مصر وفقهه القديم في العراق, وفقه اهل المدينة المنورة وفقه ابن مالك, ان القول بجواز الاجتهاد وانه مفتوح لاهله دائما, اقرار ضمني بتجدد الفقه الاسلامي وتطوره مع تطور الوقائع والاحداث, واما المجاميع الفقهية الحديثة المعاصرة تكاد تجمع عليه, رغم تردد بعضهم في ذلك وتشبث آخرين بالبقاء في حدود عبارات الاقدمين كما كانت الحال في فقهاء (الطالبان) دون اعتبار للزمان والمكان ولقيم الانسان, ويذكر المؤلف حقيقة مهمة وهي ان كثيرا من اختلافات المجتهدين والأئمة كان اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان, ووضعوا القاعدة الفقهية التي مفادها: (لا ينكر تغير الاحكام بتغير الظروف والازمان).

يدعو المؤلف الى مدرسة (فقه المعاني والمقاصد والمصالح) والاعتماد عليها والتوسع فيه, حيث انه قائم على دراسة الواقع ومقاصد الشريعة بدلا من مدرسة فقه المباني القديم والآلية القديمة لعلم اصول الفقه وآلياته اللغوية والبيانية الزاخرة بالاختلافات والظنون: (كفكرة مفهوم المخالفة), (الاخذ باحاديث الآحاد), (وقطعية العموم) (وان الامر للوجوب) و...و..., فمدرسة المعاني تبتغي المواءمة بين الفقه الاسلامي والواقع المتجدد باستمرار.

يذكر المؤلف آليات الاجتهاد حيث يؤصل بنص قطعي من المشرع او بالحكمة التي هي مرجع للفقه بمقتضى آيات واضحة ولا يؤسس الاجتهاد على عبارات وردت من كتب الفقهاء, ولكن يستأنس بآرائهم, والحق انه ما ادعى احد من كبار المجتهدين ان اجتهاده هو الحق ابدا, وقد ردد معظم الأئمة: (اذا صح الحديث فهو مذهبي), ويروى عن الشافعي انه يقول دائما: (رأينا صوابٌ يحتمل الخطأ, ورأيُ غيرنا خطأٌ يحتمل الصواب), هذا شعار معناه حرية الاجتهاد وان الحقيقة ليست حكرا على احد, وان اجتهاد الفقيه لا يلزم احدا, وان مهمة الدولة والقضاء الرسمي هي البت على الآراء الصالحة وان حكم القاضي يرفع الخلاف, ﴿ وان منفذ حكم القاضي هي السلطة الشرعية فقط وليست منظمات وميليشيات مدنية – ح ﴾.

لا يدعو المؤلف الى إلغاء علم أصول الفقه فهو يساعد على ضبط التراث الفقهي للمذاهب الفقهية التاريخية و يقوى ملكة الاجتهاد و يمرن العقل الاستدلالي على التحقيق في الحكم، لكنه يرى انه لا يكفي لمعالجة المستجدات او لتأصيل التجديد، و لان النصوص الشرعية المتعلقة بالمعاملات و السياسات الدنيوية تهدف الى تحقيق مصالح الناس و تيسير أمورهم و هي نصوص قليلة و عامة، فان مهمة المجتهد الباحث عن حكم ملائم لواقعة مستجدة هي البحث عن فقه الواقع أي علم (مقاصد الشريعة) كما قاله العلامة التونسي (الطاهر بن عاشور)، فليس العدل في الالتزام الحرفي دون التقيد بالمضمون (و حيث يكون العدل يكون هناك شرع الله)، و هنا يقول المؤلف: يجوز للمسلم ان يحنث بيمينه و يأتي بما هو خير و مصلحة و يستشهد المؤلف هنا بحديث صحيح: (من حلف على شئ فرأى غيره خيرا منه فليأتي الذي هو خير و ليكفر عن يمينه).

يواصل المؤلف تأييده لدعوة فقهاء محدثين الى تأصيل فقه المقاصد لا الصناعة النحوية والمنطقية و الاستعانة بالإشتقاقات و الافتراضات في الجملة الكلامية دون رعاية الواقع و روح الشريعة و المقصد.

(مدخل جديد للإجتهاد)

لا يدعو المؤلف فقط الى التجديد الفقهي تبعا لتحديد علم أصول الفقه، بل يبحث عن مداخل جديدة توسع مجالات الاجتهاد و ذلك بعدم الالتزام الحرفي للنصوص ، و الذي يشجع المؤلف هو: ان الشرع ما ألغى العرف السليم الذي ساهم في استقرار المجتمع الجاهلي بل اقره و هذب بعضه وألغى ما لا يتفق مع قيم الإسلام الروحية و العدالة و: ان الأصل في الأشياء هو الإباحة و ان الخظر استثناء و منصوص عليه في الشرع، و ان في المسائل الدنيوية مجالات رحبة لاستعمال العقل والحكمة، و ان اغلب الأحاديث الصحيحة للنصح و الإرشاد و ليس الإلزام و الفرض.

(قراءة موضوعية لوظائف السنة النبوية)

ان المؤلف أصاب كبد الحقيقة حين تناول هذا الموضوع الحساس بدقة و تفصيل، اذ ان علماء الدين و انطلاقا من حبهم للنبي حمّلوا الحديث النبوي أعباء و ثقلاً روحياً فأوصلوه بالكاد الى منزلة القرآن في حين ان عدد الأحاديث الضعيفة و المختلقة اكثر بكثير من الأحاديث الصحيحة و ان الله أكد في القرآن على الطبيعة البشرية للنبي و ان النبي نفسه أكد في اكثر من مناسبة وحديث انه بشر معرّض للسهو و الزلات.

لقد فطن علماء أصول الفقه الى تقسيم وظائف الأحاديث النبوية الى وظائف:

- ملزمة هي التي صدرت من النبي تبليغا من ربه لتكون دينا للأمة و قاعدة سلوك و بيانه في لقاء تبليغ للرسالة او توضيح لمحمل القرآن فانه دين و قاعدة.
- وظائف غير ملزمة كالتي صدرت لحكم ظرف و مناسبة، او جرت لرؤية معينة تجاه الحرب والسلام أو تبعاً لخبرة في الزراعة أو الاقتصاد أو الطب أو عن موقف بشرى جبلت فلا تكون قاعدة سلوك واجبة بل تكون نصيحة خاصة أو موقفاً دينياً مباحاً و إرشادا.

فقد شرح المؤلف بإسهاب معتمداً على آراء علماء أصول الفقه و الكلام وظائف السنة فيما يتعلق بفعل النبي (السنة الفعلية) إذا لم يرفقه ما يدل على الإلزام أو على الاختيار أو ما يدل على انه خاص و ليس غيره، فقد ذكروا بصدده أربعة آراء:

- حاصل الرأيين الأولين – العلامة التفتازاني – هو عدم الجزم بحكم ذلك بالنسبة الى النبي (التوقف) و الاختلاف حول حكمه بالنسبة للأمة، فهو واجب الاتباع أو التوقف في الاتباع؟

- حاصل الرايين الأخيرين هو الاتفاق على أن حكمه الإباحة للنبي و الاختلاف في انه: هل يجوز لنا الاتباع أم لا؟

فلا بد إذن من تحديد الصفة التي صدر بها من النبي قولاً أو فعلاً: هل هو بطريقة الإمامة (السياسة و الإدارة) كتولية الولاة و قسمة الأموال و بعث الجيوش أم فصل بين اثنين في أحكام الأموال فتصرَّف بصفته قاضياً، أما إذا تصرف بالعبارات بقوله أو بفعله فتصرف بالتبليغ والفتوى.

ان الصحابة أدركوا مبكرا الفرق بين الوحي و الراي الشخصي. أتى المؤلف بشواهد واقعية من تاريخ و مناسبات في فجر الإسلام و ضحاه، و كلها تثبت بأن التراث المعرفي و الفقهي والأصولي ميَز بوضوح بين ما هو بشرى يقع في دائرة المباح و بين ما هو ديني مطلق يقع في دائرة التكليف والوجوب و قد عرفوا الدين بأنه: وضع الهي سائق لذوي الألباب باختيارهم المحمود الى الخير بالذات و على هذا لم يعدوا الأوضاع البشرية و الرسوم السياسية و التدبيرات المعيشية دينا، ذلك ان تلك الأوضاع معرضة لتغير و تحول مستمرين، و أتى المؤلف بهذه المناسبة بحديث نبوي يرويه مسلم و ابن ماجة و احمد بن حنبل، فقال النبي (ص): (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به و إذا أمرتكم بشيء من راي فإنما أنا بشر).

فقد فرق أصحاب النبي بوضوح بين ما كان غير قابل للاعتراض و بين ما كان رأيا للرسول قابلا للتشاور و التبديل كما حصل في معاهدة الحديبية، أما إذا أشكل عليهم أمر فكانوا يسألونه: أهذا راي لك لنا الحرية في خلافه أم هو الوحي؟

أمثلة على البعد الارشادي للسنة

أتى المؤلف بـ (٨) أمثلة حية من الاحاديث النبوية الصحيحة لها بعد ارشادي اختلف علماء اصول الفقه والفقهاء حول الزام الاتباع او الجواز، اكتفي في هذا العرض بثلاث أمثلة:

١) قال الرسول (ص): (من احيا ارضا ميتة فهي لها), اختلف الفقهاء بشأن هذا الحديث: فهل يجوز لكل واحد ان يحيي ارضا ميتة ولو لم ياذن له الامام (الدولة) حسب قول المالكي والشافعي, ام لا يجوز احياء الممات الا باذن الدولة حسب قول ابو حنيفة؟).

٢) روي عن النبي انه قال: (من قتل قتيلا فله سلبه): راى بعض الفقهاء انه تصرف قيادي فلا يجوز للقاتل سلب اي مقتول الا باذن الامام (الرئيس) وراى الشافعي انه تصرفّ النبي بالفتوى وحكم شرعي فلا يحتاج اذن الامام والرئيس.)

٣) تنازع الفقهاء على التكييف الشرعي لافعال كثيرة اتت بها السنة, فمنهم من حرمها ومنهم من قال بالكراهية او بالحرام لاختلافهم في تفسيرها مثل الحديث النبوي (لانكاح الا بولي وشاهدي عدل), فاختلف الفقهاء حول ضرورة الولي في عقد الزواج الفتاة البالغة الرشيدة.

الآثار المترتبة على الصفة الارشادية للسنة

التوسع في دائرة المباحات وهي المسماة في الفقه بدائرة العفو اي المسكوت عنه او المباح اصلا هو من اهم الوسائل التي تحقق المرونة وتيسر التجديد, حيث تكون الجهات التشريعية مختارة في البحث عن افضل المعالجات وفقا لقاعدة (الحكمة والمصلحة), ويتحقق هذا التوسع باتخاذ التفسير الارشادي للسنة النبوية منهجا لفهم السنن الصحيحة المتعلقة بامور الدنيا, وهناك المسألة الاصولية المعروفة بـ (الاصل في الاشياء الاباحة), لقد فصل الامام الرازي هذه المسالة ونسبها الى الجمهور وقال: (الاصل في المنافع الاذن – الاباحة – وفي المضار المنع) واستدل عليها الرازي بآيات واضحات الدلالة مثل: (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبت من الرزق – الاعراف / ٧ , ٣٢) وكذلك الاستدلال بقياسات ومقدمات منطقية ذكرها المؤلف

بالتفصيل, اتى بآيات صريحة قاطعة, بان الاصل العام هو الاباحة وان التحريم يجب ان يكون بنص قاطع صريح, وصدق الامام الشافعي في قوله المستند على تلك الآيات: (الحلال ما لم يدل دليل على تحريمه).

(زبدة القول)

واذا صح لدينا ان الاصل هو الاباحة, وان حكم المسكوت عنه هو العفو, وان الاصل في اقوال النبي وافعاله فيما يتعلق بشؤون الحياة الدنيوية هو النصح والارشاد لا الالزام, فانه يسهل على الفقهاء في كل عصر ان يجددوا فقههم بما يتناسب مع مصالح الناس وفقا لمعايير زمانهم ولا سيما المجال السياسي الذي يقع جله او كله في منطقة العفو. والحق انه لو التفت علماء الحديث اثناء الجمع والتدوين الى البحث والاستقصاء لمعرفة الاسباب والمناسبات التي قيل فيها الحديث: لاختفت الاضطرابات الفقهية بشان تاويلها, الا ان جامعي الاحاديث النبوية اهتموا فقط باشخاص الرواة وقوة السند, وان الظروف التي ورد فيها الحديث غير معروفة في الغالب, وكمثال على ذلك:

١- ان حديث: (وفروا اللحى واحفوا الشوارب) جاء لتمييز المسلمين عن المشركين عند الالتحام في المعارك الحربية المستمرة ومنعا للاشتباه بزي المشركين, وان صغة النص تدل على ان التشريع زمني.

٢- الرمل في الحج وهو الاسراع في المشي عند الطواف, فقد قال فيه عمر بن الخطاب: (ما لنا وللرمل:- كنا نتراءى به بين المشركين - اي نريهم قوتنا - وقد اهلكهم الله).

علما ان النبي (ص) منع تدوين اقواله خشية الاختلاط بالقرآن الكريم, او خشية من احراج المسلمين بتكاليف اضافية, وقد بدا بتدوين الاحاديث في عهد خلافة عمر بن عبدالعزيز عام /١٠٠ هـ , صحيح البخاري في (٢٥٧ هـ),

وصحيح المسلم في (٢٦٢ هـ), وسنن ابي داود في (٢٥٧ هـ), وسن الترمذي في (٢٨٢ هـ).

(فقه المعاني وفقه المباني)

يعتبر هذا المدخل موضوعا مهما لانه جهد عقلي يبتغي تحرير الفقه الاسلامي من امراض الجمود والشيخوخة, يذكر بالتفصيل قدرات (الفقه المباني) القاصرة على الانسجام مع احداث الحياة المتغيرة والمتجددة, حيث ان فقه المباني هو الفقه المحصور في دائرة الفاظ النص ودلالاته اللغوية والمنطقية (علم المنطق الشكلي – ح) والاصولية دون ربط بالواقع والحكمة ودون رعاية المصالح البشرية, اما فقه المعاني فهو الفقه المنطلق من فقه الواقع. ومقاصد النص, وروح التشريع, والحكمة العامة التي هي هدف النص او التشريع العام الى تحقيقها, فاذا كان الفقه المباني عملا صناعيا فنيا, فان فقه المعاني عمل علمي يقرب روح التشريع الى الواقع.

ولا يعني هذا اهمال فقه المباني, بل يكون هو الاساس للنص الجديد المشرع: وحيا او وضعا لواقعة محددة, اما عندما تتغير ظروف النص وتتبدل الاوضاع, فانه يصعب على فقه المباني معالجة هذه المستجدات. ان فقه المعاني لا يفيد قضايا العقيدة والتعبد والمثل الاخلاقية والتربوية, ففي هذه القضايا نقف جميعا عند ظاهرها ونلتمس معانيها في الفقه المباني, وان – فقه المعاني – اشد مساسا بقضايا السياسة والمجتمع القابلة للتغيير باستمرار.

ياتي المؤلف بامثلة ومناقشات وسجالات فقهية ولغوية واصولية قديمة تبين بوضوح مدى حاجة العصر الى الاهتمام بفقه المعاني ويقول: (انه ليؤلم كل حريص على مستقبل الفقه الاسلامي, ان فقهاء كبارا يوثق بفقههم وتقواهم لا يراعون فقه المعاني في فتاوى تتعلق بقضايا اجتماعية يحسن بهم مراعاة مقاصد الشريعة في معالجتها كما هو الحال مثلا في الافتاء بجواز (زواج

المسيار) فهو صحيح بموجب فقه المباني وغير صحيح طبقا لفقه المعاني، وقس على هذا والله اعلم).

يقول المؤلف في فقه المعاني: (ان فقه المعاني لا ينبغي ان يكون منهج فرد او طريقة شخص، بل يقتضي وجود مجمع فقهي اسلامي عالمي يعتمده في ضبط الاجتهاد وفقا لمقاصد الشريعة الحقيقية، لا وفقا للميول المذهبية والاهواء).

وهنا لا اوافق المؤلف في تصغير منظومة فقه المعاني ومركزته في (مجمع فقهي)، لان السلطات السياسية تتدخل في تشكيلها فتحول ذلك المجمع في خدمة مصالحها، فاعتقد ان التوعية الفقهية والقانونية والثقافية للمجتمع خير وسيلة واينما العدل موجود فهناك شرع الله، ويعتقد المؤلف: (ان المصلحة المعتبرة بنظري هي المصلحة التي لا تتناقض مع روح الشريعة واصول الشرع، وفي هذا الميدان الفسيح يطل الفقه الاسلامي باجتهادات متطورة).

*****

﴿ الى متى هذا الخطاب الجلمودي العنيف؟! ﴾

كتبه / د. هەژار معروف / المانيا
ترجمة وتعليق/ حسين عثمان نيركسجاري

ان العداء التاريخي بين العُرب والاسلام من جهة وبين اسرائيل والغرب من جهة اخرى قد القى بظلاله على الوضع الكردي وخلق تداعيات ومواقف متناقضة وغير ودية لدى الكرد, وخاصة اثناء الازمات والحروب بين الطرفين, والحرب المشتعلة حاليا في جنوب لبنان خير شاهد على ذلك, وان تلك الحرب قد تفجر احاسيس وعواطف قومية ودينية غاضبة في المنطقة.

ان موقف الاسلام السياسي واللاسياسي الكردي وفي اعماق اعماقه النفسية متطابق مع موقف احمدي نجاد, حيث لو يستطيع يغرق اسرائيل باطفالها ونسائها وبانصار السلام ومحبي الحرب فيها, في اتون (هيروشيما) و (ناكازاكي) اخرى, او في احسن الاحوال يرحل اليهود باختيارهم الى ارض الله الواسعة, وهنا اذكر القارىء الكريم ان صداما خطط في تسعينات القرن الماضي اسكان اللاجئين الفلسطينيين العايشين بالعراق والمخيمات الاخرى في مناطق كردستان المؤنفل والمرحل اهلها, وقد فضح المخطط بوسائل اعلام اقليم كردستان في حينه وبذلك يخفف صدام الضغط على اسرائيل لانها لا تقر بحق عودة اللاجئين الى وطنهم.

اما مواقف الكرد القوميين الغاضبين و ضيقي الافق السياسي, ومن شدة ما لاقوه وعمق ما عانوه ويعانونه من عذابات ومآسي عرب العراق وسوريا, هذه جعلتهم لا يشعرون او لا يبالون بعذابات الشعب العربي الفلسطيني, وفي احسن الاحوال يغضون الطرف عنها.

لو نلقي نظرة سريعة على تاريخ المسيرة البشرية ليتجلى لنا ان كامل تلك المسيرة عبارة عن البربريات والمظالم وحروب الاحتلال والعسف والنسف,

وغالبا ادت الى إبادة واختفاء شعوب وحضارات من الوجود, يبدو ان البشرية لم تنأ بعد الا شبيرات عن قوانين الغاب عن الغابة التي خرجت منها منذ مئات الالوف من السنين وحسب نظرية داروين.

هذا الوضع المأساوي الباهت للبشرية لابد ان يجعل النضال اليومي الدؤوب ضد العنف والكراهية (وخاصة الكراهية الدينية والمذهبية) بين البشر رسالة مقدسة لملايين المناضلين والناشطين في العالم, وخاصة في منطقتنا فبدون ذلك لا يرى في الافق اي ضمان لبقاء الانسان على نجمته الزرقاء, والا:

فلماذا وخلال عدة شهور عام ١٩٩٤ قتل اكثر من مليون انسان من شعبي (توتسي) و (هوتو) في رواندا الافريقية وفي حرب عدائية بينهما؟

فها هو الروائي الامريكي الاسود (اليكسي هيل) في روايته المشهورة (الجذور), يسرد لنا احقر الهمجيات في التاريخ القريب, حيث عذابات عدة ملايين من البشر الافريقيين السود, وكيف ان الاوربيين والامريكيين البيض قبل (٤٠٠) سنة قاموا باصطيادهم كالحيوانات من اوطانهم ونقلوهم عبر المحيط الاطلسي الى امريكا وجعلوهم عبيدا في مزارع البيض, فهل اجيال وابناء الذين سيق اجدادهم كعبيد يطالبون الآن بإبادة الاوربيين والامريكيين بصورة عشوائية؟ نيلسون مانديلا لا يقول هذا ولا يرضى به, غاندي لم يهدر دماء الاستعماريين البريطانيين محتلي وطنه هند, بل بالنضال السياسي والثقافي اجبرهم على الرحيل من الهند وقدموا طلب المغفرة من الشعب الهندي ايضا, بل تفضل غاندي وقال: لو نتعامل الآن بمنطق (العين بالعين) فيصبح نصف المجتمع عميانا, واليوم تعتبر الهند من احدى الدول المتقدمة في العالم.

كانت (تبت) محتلة من قبل الصين, وان الزعيم الديني والسياسي للتبت (دالايلاما) لم يجعل الصينيين شياطين و (يأجوج ومأجوج) وحشرات يستحقون الابادة بالقنابل الكيمياوية والبايولوجية.

لم نسمع ابدا وفي حدود علمنا ان اليابانيين خططوا او طالبوا بجعل نيويورك وواشنطن, هيروشيما وناكازاكي ثأرا من امريكا. الجرائم الرهيبة التي

قامت بها امريكا في فيتنام عام ١٩٧٠ هزت ضمير العالم, الا ان العلاقات الثنائية الآن بين الدولتين جيدة وفي طور اعتيادي وايجابي. وان فيتنام الجنوبية كادت ان تصبح دولة صناعية وزراعية متقدمة في الوقت الحاضر.

المانيا خسرت نتيجة هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ربع اراضيها واجبرت على التنازل عنها لبولندا والجيك, في حين ان سكان تلك المناطق الالمانية لا ذنب لهم في اشعال الحرب واوزارها وفي احتلال جيش هتلر لروسيا وبولونيا وجيك, والآن لا يطالب حتى النازيون الجدد بإعادة تلك المناطق الى جغرافية المانيا اليوم.

ليست هناك اليوم جهة سياسية كردية تطالب او تفكر بقصف تكريت وقرية صدام (عوجة) بالاسلحة الكيمياوية او تطالب بانفال مناطق لعرب العراق.

ان عرب فلسطين ليس الشعب الوحيد الذي احتل وطنه وليس الشعب الوحيد الذي ظلم بحقه. ان اسرائيل في عالمنا اليوم حقيقة واقعية, لم تنته بالخطب النارية لجمال عبدالناصر ولا بهزيمة اسرائيل واحتلال (خط بارليف) في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ في عهد انور السادات, ولا بنفخات صدام حسين الصاروخية.

اقول هذا ولا اقصد ابدا الاستهانة بالنضال العادل للشعب الفلسطيني, ولا اقلل من اهدافه ولا اعتبر نضاله العادل عبثا, وهناك حقيقة صارخة اخرى وهي ان اسرائيل لم تعترف بروح غاندية بحق شعب فلسطين في تاسيس دولته على قطاع غزة والضفة الغربية.

لن انسى اريل شارون ومجازره في (صبرا) و (شاتيلا) بلبنان بحق الفلسطينيين, الا ان المطالبة بإبادة اسرائيل ومحقها من الوجود, هل هي مطالبة عادلة وممكنة؟ فلا اعتقد ان اسرائيل تنتهي بصواريخ (القسام) للحماس او تزول بصواريخ وكاتيوشا حسن نصرالله في جنوب لبنان.

تسقط في هذه الحرب الدائرة بين اسرائيل وحزب الله, ضحايا كثيرة من المدنيين الاطفال والنساء من الطرفين ويجب ان تدان تلك الاعمال, ولكن هل توجه صواريخ حزب الله الى وزارة الدفاع او مجلس وزراء حكومة اسرائيل او المجمعات الحربية الاسرائيلية, او توجه تلك الصواريخ الى المدن والقرى الاسرائيلية؟ وهل هناك مراعاة او تحسب للمدنيين الاسرائيليين او اللبنانيين؟

ما جريمة الاجيال الاسرائيلية الحالية والذين ولدوا بعد تشكيل الدولة العبرية عام ١٩٤٨ وبدون اختيارهم, فبدلا من ان يولدوا في لندن وبرلين ولدوا في شمال اسرائيل, وصواريخ حزب الله تمزق اجسادهم اليوم وهم في نومهم خادرون؟

اقصد بالاسرائيليين اليهود والعرب الذين يعيشون في المناطق الحدودية ايضا, حيث – كمثال – قتل بصواريخ حزب الله طفلان عربيان وهما يلعبان امام دارهما.

ان العروبيين القوميين والاسلاميين المتطرفين مؤمنون ومبهورون دوما بهوس المؤامرة ضدهم, فان عراكا محليا محدودا بين طفلين جارين بقرية نائية معزولة بالوطن العربي, فالمذنبون والمحرضون على ذالك العراك هم امريكا واسرائيل وعملاءهم في المنطقة من الكرد والدرزيين والـ (دارفوريين) و.... ضد الشعب العربي النجيب المظلوم.

فليسأل العروبيون والاسلاميون المتطرفون انفسهم, من المسؤول عن الاغتيالات والمذابح التي تجري اليوم بين عرب السنة والشيعة في عراق اليوم؟ علما بان عدد الضحايا من المسلمين العرب والكرد والمسيحيين والتركمان في العراق وفي اسبوع واحد فقط اكثر من مجموع ضحايا الحرب الحالية بين اسرائيل وحزب الله.

او من المسؤول عن الشقاق والعراك بين الفلسطينيين انفسهم بعد فوز حماس في الانتخابات؟ او من المسؤول عن المذابح التي يقيمها الاسلاميون في الجزائر منذ تسعينات القرن الماضي؟

ومن اعجب العجائب ان الاقوام المضطهدة حتى النخاع من قبل العروبيين حينما ينهضون للدفاع عن انفسهم مثل الكرد في العراق وسوريا او شعب (دارفور) المسلم غير العربي في سودان العربية والتي تعيش تحت حكم الشريعة الاسلامية – تجري ابادة تلك الاقوام بالحروب الهمجية او يبادون جوعا وفقرا.

ان اسرائيل ومن موقع القوة اجبرت مواطنيها في القرى والمستوطنات على الاخلاء والرحيل من قطاع غزة, الا اننا نحن الكرد في العراق لم نجد سياسيا حكوميا من عرب العراق او سياسيا في جامعتهم العربية يطالب بصدق وجدية ان يخلي عربي مستورد من جنوب العراق دار احد الكركوكيين المغتصبة حسب مخطط صدام لتعريب كركوك.

فهاهم الكركوكيون المشردون العائدون بعد تحرير العراق الى مدينتهم والساكنون في خيام بملعب المدينة, يقصفون بالهاونات من قبل هؤلاء العرب المستوردين ومن الاسلاميين التكفيريين.

لو ان اسرائيل في الحرب الحالية مع حزب الله لم توزع بيانات تنبيه للسكان وحسبما نسمعها لاخلاء المناطق المهددة بالقصف الجوي, لكانت الضحايا البشرية في لبنان اكثر مما اعلن عنها, ولكننا لم نسمع من وسائل اعلام حزب الله ان ينبه سكان اسرائيل بعربها ويهودها.

ان صدام حسين وجميع رؤساء العراق العرب المسلمين السابقين حينما قرروا قصف القرى ومدن كردستان الجنوبية لم ينبهوا السكان بتخلية قراهم ومدنهم, لتكون الضحايا في صفوف المدنيين اقل, وكمثال واحد من مئات الوقائع الثابتة اليكم هذه الوقائع التاريخية:

- في ١٩٧٤/٤/٢٤ قصفت الطائرات الحربية العراقية بقنابل نابالم مدينة حلبجة وكانت الضحايا مئات المدنيين.
- في ١٩٧٤/٤/٢٦ قصفت الطائرات الحربية العراقية بقنابل نابالم مدينة قلعة دزه وكانت الضحايا مئات من المدنيين.

- في ١٩٨٨/٣/١٦ قصفت الطائرات الحربية العراقية مدينة حلبجة بالغازات السامة وكانت الضحايا البشرية اكثر من (٥) خمسة آلاف قتيل واكثر من (١٠) عشرة آلاف جريح ومشوه, وتخريب المدينة كاملة.

ان الانسان لا يتحمل بعد اليوم سماع هذا الخطاب الجلمودي العقيم الغارق في الخواء, انه خطاب متهريء مستهلك لا يتحمل الترقيع والتأويل والاجتهاد بعد, فكم سمعنا ونسمع يوميا من القوميين العروبيين والاسلاميين المتطرفين ذلك الخطاب.

اني اقدر كثيرا السياسيين الكرد في بغداد ومعاناتهم من التعايش والتفاوض اليومي مع عرابي ذلك الخطاب وفي ظل ظروف مليئة بالكمائن والحرائق, فهل بمقدور الكرد في العراق وسوريا ان يضمنوا مستقبلا مشرقا مع العرب؟ اني في ذلك لمن المتشائمين واخيرا:

يا عصور المعلقات مللنا وقد يمل الجسم من الرداء

*****

﴿ فقرة (ج) واتفاقية كامب ديفيد ﴾

ذاكرة التأريخ إذا احسن انتقاؤها واثيرت في اوقاتها تفيد الأجيال اللاحقة وترشدها إلى حسن اختيار الطرق الصحيحة والى معرفة مواقع الضعف في حياتها اليومية.

عندما قرات قانون الدولة او الدستور المؤقت للشعب العراقي – شعرت من سويداء قلبي اني ككردي مواطن ككل المواطنين في العراق من الدرجة الأولى, ولم اشعر بأي تهميش او تحجيم لأية شريحة او قومية او دين او مذهب في العراق.

وبعد اللقاء الصحفي مع المناضل الكردي (مام جلال) بعد التوقيع على قانون (إدارة الدولة) , تحقق لدى إن إصرار قادة الكرد على تثبيت الفقرة (ج / من المادة / ٦١) هو في خدمة الشعب العراقي عامة وليس في خدمة الكرد فقط.

بعد قراءة متفحصة للفقرة (ج) تذكرت اتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل والضجة المثارة حولها من قبل أعداء السلام في الدول العربية والإسلامية. كما تذكرت انسلاخ منطقة (طابا) عن عودة (سيناء) حسب الاتفاقية إلى مصر, ولم تعاد (طابا) للسيادة المصرية إلا بعد سنوات طويلة وبعد مفاوضات عسيرة دامت سنوات بين إسرائيل ومصر. فلماذا لم تعد (طابا) مع سيناء إلى مصر في حينه" هل لمساومة المفاوضين المصريين وتنازلهم عن حق مصر في السيادة أم ماذا؟

فيا لسخرية القدر وطرافة الحدث في هذا الموضوع, كان السبب – إذا لم تخنني الذاكرة – هو وجود ضعف وميوعة في صياغة نصوص اتفاقية (كامب ديفيد), وكانت الهفوة في النص بدرجة أعطت الرجحان القانوني لصالح

إسرائيل فبقت (طابا) تحت سيادة الدولة العبرية لسنين طويلة. (أو هكذا نشر في حينه)!!

تلك الذكريات عبرت أفق خيالي حين قرأت الفقرة العتيدة (ج / ٦١) من قانون الدولة العراقية حيث لاحظت تخطيا لقواعد اللغة العربية في صياغة تلك الفقرة (وإذا لم يرفضها ثلثي الناخبين) والصحيح هو (ثلثا الناخبين...) فهل العراق وهو موطن الصرف والنحو و (البصريين والكوفيين والبيتوشي والمهدي المخزومي) وفي العراق أرسيت قواعد اللغة العربية ومدارس علم الكلام والفقه والمعتزلة, ومن العراق ترعرع الانفتاح على النصوص المقدسة بـ (الاجتهاد والقياس والتفسير...) وفيه ظهر أول المذاهب الأربعة بريادة الإمام الأعظم (أبي حنيفة النعمان) وهو الذي كان أجرأ إمام في عقلانيته وانفتاحه, فهل العراق بهذه الثروة عاجزة في صياغة دستور مؤقت للشعب العراقي" كلا فأنا شخصيا اعتبر إبداع وصياغة (قانون الدولة العراقية) معجزة في هذا الظرف الحساس السائد حاليا في العراق.

وأخيرا شاء القدر لشعبنا الكردي أن يكون الخطأ القواعدي في صياغة الفقرة (ج / مادة / ٦١) لا يتحمل تأويلا خاطئا من قبل الحاقدين على شعبنا العراقي عامة والكردي خاصة وإلا اتلوا علينا لاثبات تأويلهم السيئ آية (لكل وجهة هو موليها)!!

*****

شعب قلق يبحث عمن يطمئنه

﴿ عبدالباري عطوان ﴾ و ﴿ حجارة من سجّيل ﴾

كتبه / دكتور هەژار عثمان

ترجمه / حسين عثمان نيرگسجارى

قبل وصول الاعصار المدمر (ئيزابيل) الى القرى والمدن الواقعة في شواطيء الولايات المتحدة الامريكية – بادرت المراكز العلمية للفيزياء والرياضيات وعلم المناخ وعن بعد عشرات الآلاف من الاميال عن الارض وباستخدام عشرات الكاميرات في الاقمار الصناعية العاملة مدار الساعة في اعماق السماء بالعمل, باخبار العالم عما سيكون.

كل تلك المؤسسات والاجهزة المتطورة شخصت الاعصار المدمر: سرعته وبعده عن الارض وكافة صفاته, ونقلت تلك الصور الى شاشات التلفاز لتطلع عليها مليارات البشر, وقالت تلك الصور لسكان امريكا والعالم: ان اقصى سرعة الاعصار واقعة في مركزه, وان سرعته هي ٢٠٠ كم في الساعة.

بسرعة البرق اعلنت برامج مكثفة للطواريء ونجدة السكان والدفاع المدني, فاغلقت ابواب المصانع والمدارس والدوائر الحكومية وطولب السكان بالبقاء في منازلهم واتخذت عشرات من الاحتياطات, فلم تمض ايام الا وصدقت النبؤة العلمية: هبت عاصفة ايزابيل في ٢٠٠٣/٩/١٩ ولم يتجاوز عدد الضحايا (١٥) شخصا وقدرت الخسائر المادية بـ (٢) مليار دولار.

يذكرني هذا الحدث الجلل بما قاله (عبدالباري عطوان) رئيس تحرير جريدة القدس اللندنية وفي اجواء كوميدية مشوبة باليأس والضياع حين قال في الاسبوع الثاني من تقدم قوات التحالف باتجاه بغداد واثناء ذلك هبت عاصفة رملية فتعثرت تلك القوات لعدة ايام عن التقدم, حينئذ قال عطوان عن طريق الفضائيات العربية وبحماس زائد: عسى ان تصبح حبات رمل العاصفة

(حجارة من سجيل) فينتصر الشعب العراقي كما انتصر المؤمنون الاوائل على اصحاب الفيل!!

في صورة اخرى على الساحة العراقية نرى عرابا آخر كمقتدى الصدر يلقي باسم الاسلام (خطبا نارية على عشرات الالوف من مؤيديه ويثيرهم وبذلك يستفز منافسيه المعتدلين (عبدالمجيد الخوئي) و (باقر الحكيم) حتى اغتيلا, فيدعي وبخلاف جميع قوانين العقل والمنطق والسياسة والقيم وعلم الاجتماع, انه هو وحده يمثل الحقيقة والعدالة, وان جميع الحقائق والقيم الانسانية موجودة تحت جبته ومئذره!! او في صورة اخرى على الساحة العراقية نرى ايضا المتطوعين من الدول العربية تقاتل جنبا الى جنب مع بقايا النظام الصدامي وتدمر انابيب النفط والبنى الاقتصادية للشعب العراقي المظلوم.

هناك اسئلة حيرت وتحيرنا نحن الكرد الذين الحقنا بالعراق رغم ارادتنا: كيف نطمئن على مستقبلنا قريري البال في عراق يكون زمام السلطة في نهاية المطاف وفي مستقبل قريب او بعيد بيد القوميين العرب او بيد إسلاميين متطرفين, لا سيما وان نسبة عدد الكرد الى نفوس العراق هي الثلث, وان الدول العربية تشكل عمقا استراتيجيا لعرب العراق.

كيف يطمئن الشعب الكردي على ان العرب المسلمين والقوميين لا يستخدمون في المستقبل الآليات الديمقراطية نفسها ضد الشعب الكردي؟

وهل نضمن ان احفاد (الجواهري و هادي العلاوي ونجيب محفوظ وفهد وسلام عادل وكاظم حبيب) سيكونون قادة العراق في المستقبل, ام احفاد (الحجاج بن يوسف الثقفي وعبدالباري عطوان واسامة بن لادن) وهم اسوا المفسرين لقرآن الاسلام, اسلام الدين الذي اخذناه من حضرة (احمدي خاني ونالي ومحوي ومولوي والملا عبدالكريم المدرس والشيخ محمود الحفيد)؟

أليس من العدل والحق ان تقوم جماهير كوردستان الجنوبية (العراق) الآن وبأية طرق سلمية مختلفة بدعوة الاحزاب الكردستانية وبخاصة الحزبين الاتحاد الوطني الكردستاني والديمقراطي الكردستاني ان تطالب العراق

والتحالف والامم المتحدة لتعترف بالواقع السياسي الحالي لإقليم كردستان و (بإدارتي الحزبين الرئيسيين)؟

أليس من السذاجة لنا كاصحاب حق وقضية ان ننتظر التحالف لحين إظهار ما يخططونه لنا في المستقبل؟ أليس من الجريمة انه وحتى بعد سقوط صدام حسين ان لا تتحد ادارتا اربيل والسليمانية؟ لو جازفت احدى الدول الصديقة جدا للشعب الكردي بالاعتراف بكردستان الديمقراطية فأين يقيم ممثل تلك الدولة, هل في (قلاضوالان) ام في (شقلاوة)؟

كم هي الدول التي نالت استقلالها في العالم بالاستفتاء؟ لقد شكل مازيني وكافور وغاريبالدي الدولة في ايطاليا, وبسمارك في المانيا بدون استفتاء, وهل كان تشكيل الدولة العراقية الحالية في بداية القرن العشرين بالاستفتاء؟ -ح-

ان مظلومية الشعب الكردي وحقانية قضيته اصبحت بديهية لا تحتاج الى حجج وبراهين الا لمغتصبي حقوقه وثرواته, أرى ان استفتاء الكرد يثير شكوكا في احقية الكرد في تقرير مصيرهم في تشكيل دولتهم الديمقراطية, فهل يوجد احد من بين (٤-٥) مليون كردي يرفض حقه في تقرير المصير؟ اما استفتاء غير الكرد فيعتبر بدعة لا مثيل لها في العالم لا في الماضي ولا في الحاضر, إذ كيف يُسأل شعب لتقرير مصير شعب آخر؟

واخيرا يقول الحكيم الانكليزي (برناردشو):

﴿ انت ترى شيئا وتسأل لماذا؟ اما انا فاحلم بشيء لم يكن من قبل واتسائل لم لا ﴾.

﴿ إطلالة على الخالدين ﴾

جرى في قاعة الثقافة الجماهيرية يوم ٢/١٥ اربعينية مهيبة لرحيل الشاعر الكردي (حسيب القرداغي) وقد تحدث أصدقاؤه وسياسيون محتفين كل باسلوبه الخاص عن دور الشاعر في صحوة الجماهير الكردية وإغناء فضاءات الشعر الكردي – شكلا ومضمونا – بثروة من البدائع وصور شعرية رائعة. وفاء للشاعر الراحل اربط تلك الكلمات المرثية بروافد كلمات و شواهد مماثلة لشعراء وفنانين عالميين كإطلالة على ما كتب عن هؤلاء بعد رحيلهم الأبدي, فالذي أرومه هنا ليس مقارنة شاعرنا بشعراء الشعوب والأمم الاخرى" بل مقارنة وتماثل نظرة الأمم إلى أدبائها وفنانيها, حيث انهم ومازالوا القلة المستنيرة التي تقدس النبل والقيم والتضحية, والذين يذكرون قادة شعوبهم بين حين وآخر بما قاله الشاعر الاسكتلندي (روبرت بيرنز) :

يا ليت الرب يمنحنا القدرة على
رؤية أنفسنا كما يرانا الآخرون
فتحررنا بذلك من أكثرية التصرفات الخرقاء

أحبذ هنا أن انقل مقولات لشاعر فلسطيني بالمناسبة:

نحن الشعراء لا نجيد شيئا قدر إجادتنا الوداع لأصدقائنا حين يصبحون عاجزين حتى عن التلويحة الأخيرة, لكننا ننسى, وهذه خطيئتنا, ان من واجبنا حين نرى ان نبلغ المرثي... ان نبلغه صدقا وفنا وان نعف عن ثيابه وبقايا كتبه: المقروءة حد الموت... العزلاء الوحيدة... المكتبة الأرملة.

فكم كان الشاعر (ستيفن سبندر) صادقا حين قال: اتمنى ان اعيش شاعرا انجليزيا واموت شاعرا عربيا, لان تكاليف جنازة شاعر عربي اكثر من تكاليف حياته بمرات" فكيف بشاعر كردي كـ (حسيب قرداغي) صحا على بؤس اغرق كل شيء بدء من ابسط مقومات العيش. ايها الشاعر الكردي, يا

صديقي مت تعش ذات قدرك حيث يصبح موتك ضريبة عليك ان تدفعها لكي تعبر عن نفسك!

(١)

السياب شقى الجسد المعلول الذي مات في اوائل نضجه, ما من احد مثله يعترف بانه (لم يحب) وانه لم ينم ليلة كسائر البشر, ان دمه الشحيح الذي رضع منه جيل شعري انتهى رغم شحته كما يقول, فها هو الدكتور احسان عباس يكتب صفحات عن موت ودفن السياب – شبه السري – وعن جنازته التي لا تليق بموظف محترم, كان الجو ممطرا تبلل خشبة التابوت, وتلك صدفة ان تنشد السماء قصيدتها, ان يشارك المطر بكاء في جنازة شاعر كان دوما يرى في المطر احد رموز الخصب والحياة, فالسياب يُعاد اليه الاعتبار بعد موته باعوام, الموت فتح ابواب (جيكور) على سعتها للجميع.

(٢)

هناك بكائيات وكتابات لا حصر لها افرزتها المطابع بعد موت (بيكاسو), فكم من هؤلاء (البكائين) يعرف حكاية (الجرنيكا) في المرحلتين: مرحلة الرسم ومرحلة جدوى الرسم, لقد نفى الجنرال (فرانكو) بيكاسو, لكن هذا الاخير عاد الى وطنه بالطريقة الوحيدة التي تليق بفنان:

تظاهرة كبرى من الفنانين الاسبان واصدقائهم انزلوا لوحة (جرنيكا) الشاهدة الاكثر فصاحة الى الشارع الذي يحمل اسم فرانكو في بلدة (جرنيكا), وهناك تم الخلع التاريخي والتتويج الشرعي, رفعت اللافتة التي تحمل اسم (فرانكو) ووضعت لافتة تحمل اسم الفنان (بيكاسو).

(٣)

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتشكيل الحكومة الفرنسية المؤقتة آنذاك توفى الاديب الفرنسي الكبير (بول فاليري), لقد قال (اندريه جيد) في خطاب احتفائي بالمناسبة: (ليس هناك ما يشرف حكومتنا المؤقتة كما تشرفها الجنازة الرسمية التي ودعت بها فرنسا (بول فاليري). ما من شاهدة شاهقة تحمل هذه الكتابة, لابد اذن على حائط الوطن الامامي, لان (فاليري) كما يقول (جيد) هو صاحب الفضل بضيائه الساطع على مكانة بلاده في دنيا القيم الروحية.

(٤)

حين كان النازيون يقتربون من موسكو صاح ستالين صيحته المشهورة:

انهم يقتربون من قبر (ديستوفسكي), في لحظة ما تصبح البلاد كلها ديستوفسكي وكانه هو عاصمة الروح الوطنية التي تسقط بسقوطها الروح كلها!

(٥)

يروي سامي الجندي انه حين كان سفيرا لبلاده في فرنسا والتقى الجنرال (ديغول), راى صورة لروائي مغمور على حائط الغرفة, عرف فيما بعد ان هذا الروائي المغمور اطلق النار على راسه حين راى اول دبابة المانية تدخل شوارع باريس, واخيرا فقد اصبحنا في عصر يتولى فيه رئيس دولة مهمة نعى (ميشيل فوكو) في التلفزيون.

إذا بالرغم من حصار الدور التاريخي للكتاب والشعراء في عصرنا فان شواهد قبورهم ومراثيهم بمعناها الواقعي والمجازي لم تزل الدليل الساطع على اهميتهم في بلادهم ومعنى وجود امثالهم في تلك البلاد.

(٦)

واخيرا فلسان حال شاعرنا الراحل (حسيب القره داغي) كان يردد دوما هذا المقطع الشعري للشاعر العراقي الراحل (رشدي العامل):

نحن لا نستر في الجيب هويات
ولا نحمل فوق الصدر
غير الحب شارات
فقراء غير انا سعداء
بسطاء غير انا اذكياء
وخطاة من طاحونة الموت
خرجنا ابرياء
اننا نرضى من الارض
بشبر وكفن
ومن العالم
خبزا وسلاما ووطن

فسلام على شعرائنا الموتى الذين يغادرون قبورهم قبل وصول مشيعيهم القليلين الى بيوتهم.

*****

مشروع للمحبة
أو
التصوف و (وحدة الوجود)

جميع الصوفيين – مسلمين وغير مسلمين – يرون ان ليس للانسان وجود مستقل بذاته, واغلب مثقفي مدرسة الوجودية مقتنعون بان الانسان في اتون الألم والتفكير والصراع مع الذات يشعر بوجوده الكامل ويجسده في الحياة.

جميع مدارس التصوف الاسلامي منسجمة وملهوفة بالرياضة النفسية والجسدية. منذ سنوات غابرة تجذر في اعماق المتصوفين الاسلاميين ترك مظاهر وبهرجة الحياة بدء من الاكل واللباس وانتهاء بهوس الغنى والثروة والسلطة, آمنوا من قرارة ارواحهم ان قهر النفس والجسد يطهر الانسان من الأدران ويقربه من الله, فحينذاك ينكشف له كثير من اسرار الطبيعة. وانطلاقا من تلك المباديء كان رواد المتصوفين واقطابهم اختاروا شظف الحياة وكانوا سباقين في الشعور والاحساس بمعاناة الجياع والمسحوقين, والمقياس الوحيد للمتصوفين العاملين في الدولة والمجتمع هو شظف الحياة والابتعاد عن البهرجة الدنيوية.

إطلالة على الينابيع

إن بعضا من الفلاسفة اليونان اقتربوا من فضاءات (وحدة الوجود), وإن الاسس الفكرية للتصوف الاسلامي تاثرت بتلك الفضاءات الفلسفية وازدانت نفسها بالمعارف والمباديء الاسلامية في العصور اللاحقة من صدر الإسلام, وبحكم التطور الحضاري في المجتمعات الاسلامية ولدت مدارس فكرية مثل (القدرية) و (المعتزلة) و (الجبرية) و (الكلام), وكانت تلك المدارس في

صراع مع مدارس التصوف, الا ان جميع تلك المدارس (بما فيها التصوف) كانت في موقع المعارضة والصراع ضد سلطة الخلفاء ومظالمهم وسطوتهم. ان الديانات (البوذية) و (البراهمية) و (التاو) تنظر الى (وحدة الوجود) والتصوف من آفاق اكثر رحبا واشراقا وتؤمن بها, كما ان كثيرا من المثقفين يعتقدون ان جذور فكرة وحدة الوجود ترجع الى هندستان و منها جاءت الى العالم الاسلامي.

كيف ينظر الرواد القدامى للمتصوفين الاسلاميين الى (وحدة الوجود) وما هو استساغتهم لها؟

ان نبي الاسلام محمد (ص) دعا الى حقيقتين:

الاولى / التوحيد ونبذ عبادة الأصنام بجملة (لا اله الا الله) والثانية / الى (وحدة الوجود), كانت الدعوة الى الاولى صريحة واضحة بدون غموض, الا ان الدعوة الى (وحدة الوجود) يكتنفها الغموض وترك فهمها الى النخبة العارفين من المؤمنين, وهؤلاء العارفون تفهموا بعمق الحديث النبوي: (لا موجود الا الله).

وهناك سؤال يثار بإلحاح: ان دعوة التوحيد سواء في القرآن ام الأحاديث النبوية صريحة وواضحة. واين موقع الحديث النبوي (لا موجود إلا الله).

يقول الرواد في الجواب: وردت آيات كثيرة في القرآن بنفس المعنى والسياق مثل:

* (وهو معكم اينما كنتم).
* (فاينما تولوا فثم وجه الله).
* (هو الأول والآخر والظاهر والباطن).
* وكثير من الآيات الاخرى.

ان الله وجود كلي شمولي مطلق, والموجودات الأخرى جزء صغير من الوجود الكلي, تماما كوجود الجليد والامواج في المياه حيث ان وجود الجليد والامواج حقيقة لا جدال فيها, إلا انهما جزءان من الوجود الاشمل وهو الماء,

فلو تعمقنا قليلا لظهر لنا ان الجليد والامواج ليس لهما وجود حقيقي مستقل بذاته.

فالتصوف الاسلامي خطا من هذا الأفق المشرق الواسع خطواته الاولى, واغنى نفسه تطعيما وتشذيبا بالمعارف الاسلامية واحكامها. بقى ان نسأل: كيف يصل الصوفي الى مبتغاه؟ هل النصح وقهر النفس يكفيان ام هناك امور اخرى؟ واسئلة كثيرة تجرنا الى عالم التصوف والغوص في كتب كثيرة. اني احاول في هذا المقال ان اتطرق الى نتف من تداعيات (وحدة الوجود) في التصوف الاسلامي, كما أحاول ان أرفد المقال بنصوص شعرية تنبض بنكهة (وحدة الوجود).

وجد و شطحات

هل يجوز لمتصوف إسلامي أن يقول: أنا الله؟

أن دعاء ذلك يعتبر من المنظور الديني المجرد كفرا وتجاوزا على العقيدة كما انه لا تنسجم مع نظرية (وحدة الوجود) لأن الله وجود كلي مطلق والموجودات الأخرى جزء من ذلك الوجود الكلي, فكيف يجوز أن يدعي جزء صغير انه وجود كلي؟

ويعتبر إدعاء من هذا النوع شطحات صوفية ليس إلا, يرى الكاتب المصري الدكتور (زكي مبارك) أن (وحدة الوجود) من شطحات المتصوفين حيث أن (محى الدين العربي) يقول: (إن الذين يتفهمون وحدة الوجود" فقط هم الذين يقنعون بتوحد الأضداد), يقول الدكتور زكي مبارك في موضع آخر: إن الداعين إلى وحدة الوجود هم الذين لم يؤمنوا ولم يقتنعوا بأن الله ليس له مكان, وبغية الإنقاذ من تلك الإشكالية الفكرية ابتدعوا نظرية وحدة الوجود, إلا أن الدكتور زكي مبارك لم يأت بحجج وبراهين دامغة لإثبات رأيه.

(المتضادات), الحق والباطل

من مسائل (الحق والباطل) يرى المتصوفون الإسلاميون: بتوحد الأضداد حيث يرى (محي الدين العربي) أن جميع الموجودات غير موجودة وباطلة لأنها

لا تملك وجودا مستقلا بذاتها, وما ليس له وجود مستقل فهو باطل (الموجة – الجليد والماء).

يتوضح مما ذكرناه أن جميع الموجودات حقيقة وهي من خلق الله, ومن المحتمل أن نظرية وحدة الوجود كانت جزء من نظرية (العودة إلى الطبيعة) وقوانينها, أو بمعنى آخر إلى الفطرة كما تقول الآية القرآنية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله), ومن الواضح أن عودة الصوفي إلى الله تكون بقهر النفس وتزكيتها من الذنوب والأدران الدنيوية.

منزلة الأنسان

يسمى جزء صغير من موجودات الطبيعة بـ (الإنسان), ويمثل الإنسان أكمل وأجمل صورة للـ (الوجود الكلي) لأنه عاقل ذو إرادة, يفكر ويعبر عن أفكاره, إلا أن جميع أفراد البشر ليسوا سواسية في العقل والإرادة.

فمادام الأنسان ذا عقل وإرادة, فعليه أن يكون صالحا ولا يعادي (القوانين العامة للطبيعة والفطرة), فمن البديهي أن جميع الشرائع والرسائل السماوية والوضعية تخدم هذا المسار.

وبالنتيجة تصبح تلك الأقاويل والانتقادات باطلة حين تقول: أن المؤمن والكافر متساوون بموجب نظرية وحدة الوجود, لأن ذلك التساوي يكون فقط عندما الأنسان يموت أو يكون بدون عقل, وإلا فأن الأنسان الحي العاقل يجب أن يطيع القوانين العامة للفطرة والوجدان.

السلطة والخطاب الثقافي

قلت في بداية هذا المقال أن أغلب المدارس الفكرية في الإسلام مثل (المعتزلة, القدرية والجبرية وعلم الكلام)كانت من جبهة المعارضة لسلطة الخلافة, وأن التصوف الإسلامي ليس خارج تلك الجبهة النضالية.

المتصوفون وانطلاقا من أفكارهم وسلوكياتهم أرسوا في التأريخ الإسلامي تراثا ثقافيا غنيا, والخطاب الثقافي – كما يقول الخالد هادي العلوي – وعبر طول تأريخ الدولة الإسلامية (بعد الخلفاء الراشدين) غير منسجم مع السلطة

السياسية, بل كان ذلك الخطاب في اغلب الأحيان معاديا لها, ويرى (العلوي) أن الخطاب الثقافي من (علي بن ابي طالب) إلى (بليخانوف) كان غير منسجم مع السلطة السياسية, وكان (عدم الانسجام) ذلك يتجلى في أوقات الأعداد للإنعطافات التاريخية انه يتحول ذلك الخطاب إلى التحريض والثورة ضد سلطة الخلافة.

من هنا يظهر بجلاء أن التصوف الإسلامي ومن حيث أبعاده الاجتماعية أكثر قوة وتأثيرا من (روحنة) المجتمع" بل أن نظرة التصوف وتعامله مع الدولة أصبح عقدة عويصة و كما ينظر المثقفون إلى السلطة في أيامنا نظرة الحذر والريبة.

(موقفان تجاه السلطة والدين)

التصوف الإسلامي في مسيرة صراعه مع (الثروة – السلطة – الدين) أفرز موقفين واضحين:

١. الموقف الاجتماعي تجاه الثروة والسلطة, ويتجلى في ريبتهم و حذرهم في التعامل معهما.

٢. الموقف المعرفي مع مراجع ومؤسسات علماء الدين وخاصة الذين هم في خدمة السلطة السياسية (وعاظ السلاطين), في موقفهم المعرفي الثاني يقولون لنا: ليس الدين فقط هو اداء الفرائض بغية دخول الجنة ومصاحبة الحور والغلمان أو الخوف من جهنم, بل الغاية هي الفناء في حب الله ونيل بلقائه والانفتاح على أسرار الحياة, فها هو العالم الديني الصوفي (عبدالرحيم المولوي) يقول مخاطبا الله: إذا كنتُ يوم لقائك خجلان فبالجحيم ! لا ادخل جنتك

كانت زبدة موقف المتصوفين تقول لنا: إذا لم يكن الإنسان ذا وجدان رفيع وضمير حي" وكان يعبد الثروة والسلطة, وباطنه مليء بالحقد والحسد, فما الجدوى من عبادة الله؟!

مشروع لمحبة بلا حدود

وهنا أعتقد ان المتصوف الإسلامي إستثمر جوهر و روح (وحدة الوجود) لتجسيد المحبة, واغنى هذا المجال بلقاح الثقافة الإسلامية أكثر من اية ثقافة أخرى, كما نلاحظ في النتاج الثقافي للمتصوفين العظام ذكر المحبة ومرادفاتها اكثر من اية كلمات اخرى.

بغية نقل القراء الكرام من هذه الأجواء الفاترة إلى حدائق أكثر بهاء وطراوة, ارفد هذا الموضوع بمقاطع شعرية تتقطر محبة بلا حدود, من الطبيعي ان الحديقة مهما كانت اطيافها مشرقة والوان ورودها متنوعة, ستكون اكثر جمالاً, لذا ازين الموضوع بأبيات من الأدب الكردي والعربي والفارسي.

يقول الشاعر الصوفي الكردي (عبدالرحيم المولوي) في كتاب (الفوائح):

تفضل بالعجل بالكأس ساقي!
في صفاء الخمر يتجلى وجه (الباقي)
فلتعمَ عيونُ المنكرين
وليكن الطرب في أقصى عنفوانه
ليجرف من قلبي صدء الدياجير
وليطمئن قلبي بدين الله
ولكي أنادي بين العباد :-
أن الله يتجلى في هذه الدنيا
كما يتجلى في الآخرة

في الأجواء نفسها وفي المعنى نفسه يقول اقدم شاعر كردي صوفي (بابا طاهر الهمداني – العريان – ١٠١٠ هـ) :

ما أروع اللذين ينظرون إلى المنزلة
- عاليها وناصيها - هونا
في ثنايا اللهيب لا يفرقون

بين الرطب و اليابس
والذين يؤمنون بحضور المحبوب
في الكنيسة والكعبة و معبد الأوثان

وبعد (٢٣٠) سنة من (بابا طاهر العريان) جعل محى‌الدين العربي الحب دينا وإيمانا له حيث قال:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان وديرا لرهبان
وبيتا لأوثان وكعبةَ طائف
وألواحَ توراة و مصحفَ قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني

ساهم التصوف في إغناء الأدب والتراث الإسلامي, إلا ان عمر الأدب الصوفي في كردستان لأقصر من المناطق الأخرى, في ديوان (الجزيري) نرى كثيرا من المصطلحات الصوفية منها ما يخص (وحدة الوجود), كما اعتقد ان الأدب الفارسي الصوفي أغني من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي.

يقول (جلال الدين الرومي):

زبدة عمري عبارة عن ثلاثة
كنت خاما – فتنزهت ثم أحترقت

ويقول الشاعر الكردي (محوي):

سوى الوحدة لا شيء في الوجود
الكثرة وهمٌ – والأعداد مكرراتُ الوحدة

في ليلة إعدامه قال الحلاج هذين البيتين:

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت
فلا بلغت ما آملت و تمنيت
وإن أضمرتْ نفسي سواك فلا رعت
رياضُ المنى من وجنتيك وجنت

يخاطب الشاعر الصوفي الكردي (عبدالرحيم المولوي) شيخَهُ عثمان سراج الدين بهذين البيتين:

كم أتمنى من الله أن يصدر أمرا
بتحررنا أنت وأنا من أنانا
فحينذاك أنت بدون (أنت) أكثر منالا وعطاء
و أنا بدون (أنا) أكثر رَوحاً من فيضك

يقصد (مولوي) بتحرر (انت) و (أنا) التحرر من (الأنانية وحب الذات).

المصادر:

- رسائل التعليقات/ معروف الرصافي.
- مدارات صوفية – هادي العلوي.
- العقيدة المرضية/ المولوي / شرح وتحقيق الملا عبدالكريم المدرس.

****

﴿ مدينتك !! ﴾

للشاعر الكردي الايراني الراحل (سواره ايلخاني)

هذه القصيدة لشاعر كردي عاش أواخر حكم محمد رضا شاه, وهو مطارد, مغضوب عليه من قبل جلاوزته, شاعرنا في هذه القصيدة يتنفس أجواء تمتزج فيها الواقعية الانتقادية بنكهة رومانسية, يرى بأم عينيه عذابات شعبه, يرى مدنا تنبعث من جديد وتلبس اثواب الحضارة والتجديد, ترتفع فيها العمارات ومداخن المصانع" بينما يعيش شعبه في ظلام دامس ومسيرة غير متكافئة.

هكذا يحاول الشاعر التهرب ويحس بالاغتراب الحضاري ويلهث لأجل ان ينقذ نفسه بالعودة الى الطبيعة الى الريف الكردستاني... الى الطبيعة والنقاء لكن أنين روحك يا سواره له خصوصية كخصوصيات الآخرين و ان في المدينة ما تثير البهجة والعذاب معا, أفلا تعلم يا سواره ان الجشع وغلواء الشوفينية قد دنست طهر ريفك بل نتفا من طيبتها ايضا, الا تتذكر يا سواره ان شعراء قد سبقوك في معاناتك ونظرتك الى المدينة واهلها وقيمها السائدة. كان (اليوت) الشاعر الانكليزي الراحل قد زفر انين جيل كامل في قصيدته المشهورة بـ (الارض الخراب). كان يحشر القصيدة بالناس البسطاء من قاع المجتمع, يرصد الاحزان والميول المبتذلة, وبذلك اراد ان يستهزيء ويتألم من مظاهر وظواهر في مدن عصرية كبيرة كـ(لندن) وهي منخورة النوى والروح ورفع الوشاح الحقيقي عن انسان المدينة متلبسا بحياة مزرية غير لائقة بهم" حياة لا عدل فيها ولا قيم, يقول (اليوت) عن هؤلاء الناس: انهم يثرثرون ولا يقولون شيئا... تماما كالبرق الكاذب حيث لا مطر في حنانهم الروحي.

هل اتاك يا سواره حديث شعبك في بلد بابان و اردلان حيث واجهوا رياحا عاتية من مغارات التاريخ. وقطعت فيها غابات كاملة من قامات الكرد, في مدينتك (حلبجة) (ديست!!) اكوام من لحم القلب وليمته, هل اتاك حديث شعبك في كردستان الجنوبية كيف هدم ومسح بالأرض اكثر من اربعة آلاف قرية ومدينة" وكيف خنجرت الاقلام صوب الكلمة الممنوعة" (القرية) واصبحت تجلياتها في الشعر الكردي وقصصه جريمة او محدود التجلي (اقصد هدم جميع القرى في كردستان).

هناك شاعر عراقي اصيل مثل (بدر شاكر السياب) طوى مساحة البهجة والحلم في المدينة طي السجل" كشف تلاحمه وغوصه الى الجذور والارض: كثف رومانسيته واحلامه في قريتي (جيكور) و (بويب), لطخ السياب جبين المدينة ودبيب الحضارة فيها بالعار والشنار حين رأى ان المدينة تغزو المقابر ومساكن الراحلين.

يا سواره الراحل نم قرير البال واطمئن ان طهر الريف قد يعود وان (الاحراش والادغال) ستصبح روضا ورضوانا, فناد بين الناس شعوبا وحكاما, ان القرى والارياف حلى تزين صدور المدن ووجه الحضارة الانسانية, نم يا سواره و ان لم تشبع من اليقظة فمن المنام!

يا زهرتي...
في مدينتك قلبي يحز الما وغيلة
انوي الرحيل عن مدينتك
في نيتي...
وبكاس من معين قريتي
اطفىء غليل انتظارك!
سئمت روحي من مدينتك
من ضوضائها القاتمة
من شمسها الباهتة

من حشرجة ليلها البهيم
اعود الى قريتي
عسى ان يحتضن القمر يتم بسمتي!

* * *

كيف اعيش مدينتك وانا
اعادي السرقة والخديعة
مدينتك صرح الحديد والابراج
طير العشق فيها غريب... غريب
سداة النسيج... بل كل النسيج
صفد وقيد بلحن رتيب

* * *

مداخن الاغنياء في مدينتك
تلوث حتى ضوء الشمس النقي
غياث المستغيثين في كل درب
نواح في القلب... دمع في كل حدب
ايد تصافحني لا دفء فيها
لا انسة... لا روح بل من الحطب

* * *

في مدينتك يا وردتي
ثعلب في عزه والليث ذليل
لأرحل عبر طرفة عين ودرب هجير
كيف تصبح الاحراش والادغال
روضا ورضوانا...

* * *

في مدينتك يا غزالتي
حذاء مرقع على العرش
مدينتك ضاقت للعشق مشرعة للحزن

في مدينة قتلة الفقراء
من يقرا رسالة الحب والوفاء؟!
* * *
أنا الولهان لخيمة العشيرة
أنا ابن العشيرة!
لا يطيق جسدي
ثوابيت الازقة الضيقة
سفوح قريتي : من قصيدتي
من روحي الوهاجة"
تمطر ربيعا وقوس قزح
انوي الرحيل عن مدينتك

*****

في رحاب الخالدين

(كوران) النحرير يستفتي حبرا وقصيدة للبياتي في (كوران)

تقديم وترجمة : حسين عثمان نيركسجاري

اتحفنا الاستاذ مصطفى صالح كريم بكتاب رائع (فردوس من الكلمات) عن حبر في الشعر والصحافة والثقافة القومية الا وهو (پيره ميرد) العظيم .

قرات مقالات واشعارا كثيرة لشيخنا وعن شيخنا , الا ان كتاب (فردوس من الكلمات) غمرني في افكار ونصوص وحياة رجل احدث ثورة ثقافية ونهضة عارمة , وناضل لاذكاء الروح القومية في اجيالنا السابقة ومازالت تلك الجذوة الانسانية لم تخمد ولا تهمد , وشكري لمؤلف الكتاب فقد ارتويت فانتشيت من خوانه حتى الثمالة .

زرت لاول مرة حديقة زاهية في ذلك الفردوس وهي رسالة نادرة لشاعرنا الكبير (گوران), ارسلها في بدايات تدشين صرحه الشعري الحديث الى شيخنا الحكيم (ثيره ميرد) في عام ١٩٣٢يستانس گوران براي شيخنا ويستفتي حول قصيدة كردية خالصة نظمها دون ان تشوبها الكلمات التركية والعربية والفارسية كما كان متبعا في تلك الايام .

قبل هذه القصيدة بدا (گوران) بداية كلاسيكية في قصائده ضمن الذكريات والاثار القديمة , وتمتلك هذه القصائد قافية واوزانا موحدة ويسمى (گوران) ذلك النوع من قصائده بـ(تقليد الادب العثماني)ويضمنها الكلمات العربية والتركية والفارسية . من يتمعن في هذه الرسالة البديعة لـ(گوران) تختلج في اعماقه رغبة جامحة في ان يعرف تلك القصيدة التي يطلب (گوران) من شيخنا الشاعر (پيرەميرد) تحديد هويتها ومدى نضجها الشعري .

واخيرا ان (گوران) كما يقول الكاتب والناقد الكردي الرائد (رفيق حلمي) شاعر واقعي وفنان حقيقي اغترف مادة اشعاره من منبع الحياة , اي من الحياة الاجتماعية للكرد وصبها في بودقة الادب ثم اخرجها لنا في هذه الصورة السحرية التي تسمى شعرا .

(نص الرسالة)

استاذي المحترم

يحتمل ان لاتحتفظ ذاكرتكم المرهفة انه في الصيف الماضي وفي دكان حمد اغا العطار , كانت موهبتي الشعرية وفي سياق تشويقي بحضوركم عبرت عن نفسها وابديتم احساسا بتفاؤل مفرط بها بدءا لم احمل التفاتتك على محمل الجد " الا انها جاءت من شخصية ذات صلاحية وتجربة شعرية خصبة ولاانكر ان تلك الالتفاتة الكريمة منك قد اعطت املي وامنياتي شحنة قوية .

انا شخصيا وقبل ذلك اللقاء كنت مفتونا ولهان بحورية الشعر , فبملء اشتهائي ولوعتي اليها عانقتها وتشابكت معها , حورية الشعر تلك اراها كل لحظة في لون وشان مختلفين.

سواء كانت هي ام شيطانة في سيماها " فقد ابدت لي ومقابل كاس من دمي ولواعج كبدي " ودها وخفق قلبها فارتميت في احضانها مرات عدة .

لقد منحني ذلك العشق الهائج المضطرم اكله , فكان عدة اطفال متباينين في كل شئ حتى في دماء اجسادهم , ان بعض الاطفال لايتحملون قطرة دم كردي , وان بعضا منهم يحملون في دماء اوردتهم وشرايينهم قليلا او كثيرا من ملامح خالصة لحورية الشعر ودلعها وغنجها , وان بعضا من الاطفال لايحملون اية سمات من حورية الشعر .

منذ ايام وعند بزوغ الشمس وفي منظر ربيعي جميل زار دنيانا اخر اطفالنا , كان كرديا لحما ودما ومن سيماء الحورية اقرب , فمن الفرحة كدت ان اصيب بصدمة البهجة والانشراح .

كان _ قليلا او كثيرا _ واهنا وهزيلا , هذا عندي لا ضير فيه وما انا مولع به واعشقه حد الانبهار هو معرفة اسرار ولادة الشعر الكردي ومخاضاته وارومته .

في هذه اللحظة انا في غمرة الانشراح والبهجة اذ تحققت امالي واحلامي الجميلة الحلوة وخرجت من ظلمات الالحاد , الان وباحتضان الايمان واليقين تحررت روحي من عذاب الوساوس والظنون .

فبدات سفرا بين حارات ودرابين مدينة حلبجة املا في الحصول على شهادة الجنسية لطفلي وفلذة كبدي العزيز وكلفت هيئة اختيارية (وطن الخيال) تنفيذ طلبي ذلك.

ولكن هيهات..هيهات , اذ ان هيئة الاختيارية اولئك لايعرفون نجل حورية الشعر الا في الزي الاجنبي فقالوا لي :

لايحمل ابنك (هدية الولادة) العربية للمتنبي والمعري ولا المجوهرات اللفظية الفارسية لحافظ وسعدي , ولا خزرات تركية لـ(نفعي وباقي) , لهذه الاسباب ومن البديهي ان يكون ابنك محروما من الذوق وجاذبية الجمال , وكذلك لاترى في سيماء ابنك اية سمات وملامح امه الحورية .

والان انا في خضم من الحيرة والذهول .. كيف لاوانا تعاملت معهم من قبل بعملات مغشوشة مزورة وعملات اجنبية احيانا , وكسبت منهم الاندهاش بما قدمت لهم , واشتريت مرات عديدة من هؤلاء الذوات جملة (اشهد بالله)

يجوز ان هؤلاء لايفرقون بين العملة الجيدة والرديئة كما _ ويحتمل ايضا انني مصاب بالتخبط في فهم الحقائق واخذها معكوسة , ويجوز انهم كانوا مصيبين في ارائهم وانا بي مس من اختلال نفسي شوش ذوقي وفكري ،هل يحتمل اني كنت على ضلالة وفساد , وان شيطانة فاحشة قد اغوتني عن طريق عشق حرام سافل ؟

فوا اسفاه ! لقد خسرت ردحا من زهرة شبابي في سبيل عشق ملوث , وكان حصيلة هيكله المقدس وخاطراته طفلا نغلا حراما !

وفيما كنت هائما تائها في هذا النوع من الجدال , وحائرا بين اليأس والظنون " ذهبت صوب صحاري وبراري الخيال , فلا ادري كم قطعت قليلا او كثيرا من المسافات , وبغتة لاح من امامي منظر علوي ساحر , فغرقت في الحيرة والذهول فغرزت بالارض كالوتد , وجلت بناظري في امامي فاذا هو سفح تل غارق في الخضرة والازهار , وتحتضن اسفل التل غابات كثيفة .

تجلي من ثنايا الورود شيخ بهي الوجه واقفا قبالة الشمس ويزحف امامه واد متموج يفيض ماء , وخريره الهادئ وقطعان الفراشات بالوف الاشكال والالوان ترقص حول الشيخ وتزقزق , والوف من صغار الحوريات ترفرف حوله وهي باحجام الحمامات المتشقلبة ولكنها كانت اجمل منها واكثر وميضا وحفيفا من الفراشات .

في يد الشيخ اليمنى عصا لامع وطويل , ويحتضن جنبه اليسرى قلبا ذا دم حار ونبض كامل ملتصقا بصدره , وكانت خصائل شعره الناصع البياض مرسلة على جيده وكتفيه , ولحيته البيضاء جدا تغطي صدره وقسما كبيرا من قلبه الجميل .

رفع عصاه نحوي فهرولت صوبه , بعد تقبيل حاشية فروه , سألته خاشعا :-

_فداك سيدي من حضرتك ؟

بابتسامة عريضة حلوة قال :-

_ قلندر (الحكيم)

تعرفت عليه ولاحاجة بعد للاستفسار عن معنى عصاه وقلبه اليافع و وقفته المهيبة في هذا المنظر الشاعري البديع .

بادرت واخذت سريعا بيد ابني المنحوس ورميته امام قدمي الحكيم , اخرجت من جيبي صورة اوراق شهادة الجنسية والتي لم توقع بعد , فقدمتها اليه وباصرار مشوب بالاسترحام بدات التضرع والابتهال :-

استحلفك بهذا المكان المقدس , استحلفك بالاشعار التي بين يديك ان تقول لي الصدق كل الصدق .. هل هذا اليتيم البائس ابن حلال ام حرام ؟ لأتحرر من عذابات الوساوس والظنون اذا كان ابن حلال ,واذا كان ابن حرام فاحرق فلذة كبد امه الفاحشة واواريه الثرى حيا .

منذ ذلك الحين وانا اتلظى بنار الانتظار واذوي , فياليت متى اسمع الحكم القطعي من الشيخ المحترم ؟

عبد الله سليمان حلبجة ١٩٣٢

(من اجل ان يولد شعب)

كنا اعلاه متنزهين ولو لهنيهة " في روضة (كوران) النثرية وهو يدشن صرحه الشعري وجنائنه المزدانة بالصور الفنية البديعة .

ما دام القول بالقول يذكرو ما دمنا في رحاب (كوران) " ارى من التشويق والتنويع ان انقل القاريء الكريم الى فضاء شاعر آخر واحد اصدقاء (كوران) هو الشاعر العراقي الرائد في الشعر الحديث (عبد الوهاب البياتي) حيث انشد قصيدة رائعة . ل(كوران) ،

الكاتب العراقي (جليل كمال الدين) عندما يقيّم مسرحية (محاكمة في نيسابور) من تأليف البياتي يقول :- ((في آخر قصيدة للبياتي قالها في صديقه الشاعر الكردي العراقي العظيم الفقيه عبد الله كوران))

من اجل ان تكون نزهتنا اكثر روحا وريحانا اليكم قصيدة البياتي :-

الثلج في جبال كردستان يذوب
والربيع في الوديان
والكلمات ملح خبز الحب والاغان
يمدّ منها الف جسر عبر ليل الموت والفقدان

يزهر في صروفها بستان
يذيب في لهيبها المسوخ ، فجر الكادح الفنان
يولد شعب ، يولد الانسان
فلتصعدي القمة يا عروسة الشعر ويا قوافي الاحزان
ولتعبري البحار والازمان
ولتدركي الفجر الذي يطلع في جبال كردستان
هناك عرّى صدره للشمس والعقبان
شاعرنا (كوران)
من اجل ان يولد شعب ، يولد الانسان

﴿ مرحبا بيننا يا نديم العشق والحرية ﴾

القصائد المشهورة وليدة مخاضات عسيرة, انها من ليمة القلب وتلابيب الروح والدماغ, فكم ازدانت جنائن آداب الشعوب ازدانت وازدادت روعة وبهاء بقصائد خالديها ومبدعيها, فتراث شعبنا من الشعر الكلاسيكي وفي بدايات التحديث لثريٌّ وما زال يعيش في عز تداعياتها.

من تداعيات تلك الهالات النيرة تعلمنا وأحسسنا بان المعاناة الكردية وولعنا بالحياة تستطيع أن تتآلف وتتعانق مع أبجدية لغتنا وكلماتها الوديعة, من تلك الينابيع الصافية انبعثت لدى أجيال الكرد القديمة والحديثة روح التشبث بالأرض واللغة والحياة.

شاء القدر الفني ان يرتقي قصائد مغمورة ويرفع من منزلتها وشهرتها حد القمة والشموخ, اقول بقصائد ولا بشعراء, اذ ان منزلة الشعراء في سويداء قلوب الناس وشأنهم, فقصيدتا (أراك عصي الدمع) لأبي فراس الحمداني و (ذكريات) لأحمد رامي (على ما أتذكر) من القصائد التي شاء القدر الغنائي ان يتعانق معهما ويرفعهما منزلة اذ غنتها كوكب الشرق (ام كلثوم). وهناك حالات أخرى تجمع بين شموخ القصيدة وروعة الغناء معا, فتحدث المعجزة الفنية, كما حدث (مثلا) لـ(حمه صالح ديلان) حيث غنى قصائده او قصائد (سالم), او كما غنى حمه جزاء (نالَةی جودایی-أنين الفراق)من شعر (هيمن), او...او...

من ذا الذي لم يقرأ من الكرد شعر الشاعر المناضل (هيمن مهابادي)؟ من ذا الذي لم يسمع أغنيات شجية بقصائده العاطفية والوطنية؟!.. انه المنارة في الشعر والصدق الفني, انه العاشق الولهان للأرض والإنسان, مزج بجدارة العشق الإنساني وحرماناته بعشق الوطن.

لشاعرنا حصة محترمة من تلك المعانقة الغنائية, وخاصة من لدن مغني ومطربي كردستان الشرقية, الا ان هناك زهرة من قصائد (هيمن) كانت مغمورة وعصية, ابت ان تفتح اكمامها وتفيح اريجها الا بايدي المبدعين الكبار في الموسيقى والغناء.. فكان ما كان!!

لقد احيت فرقة (بيژەن كامكار) في شهر نيسان ١٩٩٩ في السليمانية حفلة غنائية كبرى, هزّت عشاق الغناء الكردي والموسيقى,احتفت بالفرقة جماهير السليمانية وفرقها الفنية ومؤسسات الثقافة والفنون خير احتفاء, استغرقت الحفلة زهاء (٣) ساعات وكانت نهاية الحفلة ومسك ختامها تلك القصيدة المغمورة لـ(هيمن), فأعلت الفرقة القصيدة الى القمة, واخرجتها من سباتها وعزلتها, كما وسكّرت الفرقة الجماهير بغنائها وموسيقاها الرفيعين.

رايت من المفيد أن اطلع قراء الاتحاد بتلك القصيدة بترجمة مقاطع منها:

((آلة عزف مبحوحة))

بلبل بموسم الزهور انا! كسير الجناح!
فيموج قلبي لوعة وأسية
كردي نزيل السجن انا, يوم (نوروز)
في عمق الجراح أشعلت ناري البهية

****

مجمرة المجوسي انا! لانار ولاجمرة
في انتظار مصير, قد لا يأتي قريبا
قبجُ في عز الربيع" لا غنوة ولا صداح
زهرة ذابلة ذاوية, في انتظار رشفة
****

فردوس الملتقى انا! خالي الوفاض
ظل لسيدة! غارقة في سواد الوشاح
شاهدة رمس, لشهيد مغمور
شجرة ظامئة, حد الضمور
دفتر شعر أنا" لقصائد عارية
حامل الأجداث" شمعة على القبور
ثقب مسدود" في ناي قديم
(اضغاث احلام) انا! لذكريات مريرة
****

غصنة ريحان انا! بمنأى عن البزل
آلـة عـزف انـا! مبحوحة معلقة
قطرة ندى تائهة, على أوراق صفراء
هل تعرفون من أنا! بؤرة لكل الأمراض
ثمالة شعاع الشمس أنا! فصل الخريف
(من الكبر عتيا بلغت)" عصاب المزاج حزين المحيا
حقيقتي؟ كيف أستطيع أن اقولها
وأنا من وجودي, لفي شك مريب!!

موقف الكاتب في نهاية القرن

﴿ نحو آفاق ارحب للكتابة ﴾

نشر الأستاذ فاضل العزاوي في مجلة-المدى-الدمشقية مقالة قيمة حول موقف الكاتب في نهاية هذا القرن, ولكون المقالة محاولة جدية لاكتشاف آفاق جديدة للكتابة.. آفاق اكثر انفتاحا على الواقعية-قمت بتلخيصها لرفد القارىء الكردى بما يفكر به الاخرون, كما اضفت باقتضاب ما اعتقدها كخصوصيات للكتاب والفنانين الكرد.

في بداية المقال يذكر العزاوى مقولة للكاتب التركي يشار كمال:- (ربما امكن للكاتب الاوربي ان ينأى بأدبه عن الصراعات السياسية الدائرة داخل مجتمعه مادام ثمة آخرون يعبرون عن موقفه بوسائل غير ادبية) لكن مثل هذا الترفع على السياسة يكاد يكون مستحيلا بالنسبة للكاتب في العالم الثالث, فان حدة الصراع ترغمه على ان يتخذ موقفا منه والا فَقَدَ أيّ معنى للكتابة.

في الوقت الذي ينغمر فيه كتاب العالم الثالث في الصراعات السياسية والفكرية, ويتعرض بعضهم حتى الى القتل-نرى ابتعادا واضحا عن مشكلات الحياة السياسية في الكتابة في الغرب وخصوصا في السنوات الاخيرة, هذا بعكس ما كان سائدا في الخمسينات والستينات, اذ كان الكتاب والشعراء يقفون في قلب العاصفة عندما كانت مواقف كتاب من امثال اندريه مارلو واراغون وسارتر..و.. وتشكل الضمير الحي لزمنهم, وتؤثر مواقفهم في مواقف الملايين من الناس, كان نقد الراسمالية وخوائها الروحي احد الاسس لاتجاهات الحداثة في الغرب, رغم الانتقادات التي كانت توجه الى الاشتراكية كنظام سياسي شمولي- كان الكتاب والشعراء في الغرب يؤمنون ويحلمون ببديل اكثر انسانية, بديل يتجاوز الراسمالية والاشتراكية القائمتين في الواقع.

بعد سقوط الاشتراكية (كسلطةو نظام–ح) بات الكثيرون يشكّون أساسا في كل مخططات يوتوبياتهم القديمة–لم يعد ثمة سوى الواقع البارد للحياة التي سوف تتغير وفق القوانين الخاصة بها, بدا العالم كانه يقف على مفترق جديد, واكتسبت الواقعية سحرا خاصا كبديل عن الايديولوجيات الشمولية التي تذبح الحاضر لصالح فردوس في المستقبل قد لايأتى ابدا, كان الامر يتعلق بنهاية يوتوبيا معينة بالذات–ولكنه القى بظله الثقيل على اي يوتوبيات اخرى.

في هذا الوضع السياسي الجديد وكمرحلة انتقالية في تاريخ العالم نحو اشكال تنظيمية سوف تنشأ من ضرورات الواقع الفعلى–لن يجد السياسيون صعوبات كثيرة في التعامل مع الحقائق الواقعية المجردة والقبول بالممكنات وحدها, متخلين عن دعاواهم القديمة في الحلم بتغيير العالم على هواهم, وبهذا المعنى سيفقد السياسيون كثيرا من القهم السابق الذي حوَّل بعضهم الى اصنام فوق البشر, السياسي الان ليس سوى مدير للواقع خلال فترة محددة من الزمن, ويعتمد في قراراته على كثير من الخبراء في الدولة والمجتمع, هذا التطور يعني إرتقاء بالمجتمع البشري الى مستوى جديد من الوعي بذاته وردا لاحتكار الفرد للسلطة.

ان التغيرات الهائلة التي دخلت على الوضع السياسي العالمي تشكل الان واحدة من المشكلات الكبرى لادب التسعينيات (وما بعدها–ح)–فبإمكان السياسي ان يكتفى بالتعامل مع الواقع وممكناته, بينما الكاتب يعيش على الرؤيا الفكرية والجمالية لمستقبل الواقع الذي يكتشفه كل مرة بطريقته الخاصة, فبقدر ما ترتبط السياسة بالعابرة في الحياة يرتبط الادب بالمطلق فيها, وصدق بيكاسو حين قال: (ليس الواقع هو ما اراه وانما ما افكر فيه)).

وهنا أستميح من الاستاذ العزاوي ان اضيف باقتضاب ما يهمّ الكتاب الكرد:– الكاتب الكردى لم يتح له ان يحلم بيوتوبيا لكيان مستقل, ويعبر فيه الانسان الكردي عن وعي بذاته–ففي قمة الوعي بالذات يبادر الانسان الى

تشكيل كيانه ومجتمعه المدني (كما يراه هيغل), لو القينا نظرة بسيطة الى المساحة المسموحة لنا بالحلم لرأينا ان الكتاب الكرد الرواد كانوا اكثر وعيا بذاتهم, فيوتوبيا الأدباء الكرد بعد الحرب العالمية الاولى بسنوات لم تكن لتتجاوز حدود إنعطافة سياسية تقدمية في الدول الاقليمية, فيعترف فيها بالهوية الكردية وترفع عن جماهيرها المظالم القومية والطبقية ولو الى حين.

لقد انهارت يوتوبيات كتاب الدول الاقليمية في اقامة العدل والمساواة في النموذج المحتذى, فانهارت يوتوبياتنا نحن الكرد في الحصول على نصرة المركز الايديولوجي الاممي لنا لخلق الإنعطافات في الدول الاقليمية-فستكون مهمة الكاتب الكردى اكثر صعوبة, واعتقد انه آن الاوان للكتاب والفنانين الكرد ان يرنوا الى آفاق ارحب واكثر اشراقا بالآمال الكردية, وان يبنوا يوتوبيات جديدة للمستقبل في نتاجاتهم.

وفي معرض ضرورة الفرق بين الافقين السياسي والجمالي للادب والفن يقول الاستاذ العزاوي: ان الافق السياسي انتماء الى الواقع الفعلي بينما الافق الاخر هو رؤيا لواقع متخيل يخلقه الكاتب بنفسه, تكون العلاقات بين الايديولوجيا والنظام والابداع كالاتي:- فبقدر ما يمتلك الابداع استقلالية خاصة بعيدا عن متطلبات النظام والايديولوجيا" يختلف النظام عن الايديولوجيا ايضا حيث يعبر عن مصلحة الذين يمسكون بالسلطة الفعلية, بينما تؤدي الايديولوجيا دور الكاشف الضوئي الذي يفترض ان يضيء طريق النظام, ان مايريده الكاتب ليس تأكيد صحة النظرية ولا الدفاع عن مصلحة الحاكمين وانما ان يمنحنا حساسية جمالية جديدة تجاه الحياة نفستها, وان يعمق فينا المعرفة بشرطنا الانساني, حيث تتحول الايديولوجيا نفسها الى افق مفتوح, تكون رمزا قبل ان تكون وسيلة معرفية او نظاما من القيم المحددة.

قد يرى الكاتب نفسه على النقيض تماما من رؤية السياسي للواقع في لحظة تاريخية معينة, وهنا يأتي العزاوي بمثال:- عندما حدثت انتفاضة ١٧ حزيران عام ١٩٥٢ في المانيا الشرقية والتي قمعت بالقوة-بادر بعض الكتاب

المرتبطين بالنظام الى ادانة الانتفاضة ولكن شاعرا وكاتبا كبيرا مثل (بريخت) الذي لايشك احد في مدى ارتباطه بالماركسية كتب قصيدة بعنوان (الحلّ) جعلت النظام كله يرتعش, حيث قال في المقطع الاخير للقصيدة:-

أفلم يكن اكثر بساطة
لو ان الحكومة حلّت الشعب
وانتخبت غيره؟!

ان الأدب الحقيقي كان دائما معبرا عن روح الزمن الذي يوجد فيه وضميرا حيا للحقيقة وسط اكوام من الاضاليل التي ينتجها البشر, انه يسعى الى تحرير فكر الانسان وعواطفه من الايمان الاعمى والتعصب وهنا ايضا تنعدم الحصانة ضد الخطأ والجريمة امام اكثر الايديولوجيات انسانية.

وفي نهاية المقال يستخلص العزاوي فيقول:-

ان التغير الذي حدث في تاريخ العالم في التسعينيات زاد في الحقيقة من المشكلات, فمع الانتهاء من فكرة النموذج المحتذى: اصبحت مهمة الكاتب اكثر صعوبة وخطورة, لابد من ان يساهم في اكتشاف طرق لم يسلكها احد من قبل, فبدلا من الكتابة وفق وصفات ايديولوجية, او قد يرتدون على انفسهم ليقدموا لنا كتابة لاتقول شيئا-نعم بدلا من كل ذلك سوف يجد الكاتب الحقيقي فرصة افضل ليصل الى جمهوره, وهو اذ يفعل ذلك لن يتجنب مشكلات زمنه التي يراها بعينيه هذه المرة متحررا من عبء الضغوط القديمة.

*****

﴿ رسالة من أنفالستان العراق ﴾

إلى (مجلة الثقافة الجديدة)

تحيات نضالية حارة ... نتمنى لكم الموفقية في نضالكم حيث تواصلون العمل في احدى اهم مؤسسة لا ينتهي العمل فيها ابدا وهو (مشروع تحقيق طموحات الانسان في الامن والعدل والعيش الرغيد), ولحسن حظ الانسان – وربما من نكده – ان طموحاته ليست لها حدود, ومن الآليات التي تستخدمونها في ذلك المشروع (الكلمة) بكل فضاءاتها وايحاءاتها واشراقاتها المستقبلية, والكلمة كما يقول شاعر مغترب اجدى بان (لا تدافع عنها بل تنقلها الى موقع الهجوم), وانا لا اقول الهجوم بل نريدها زادا وماء يشفي قليلا من غلواء جوعنا وعطشنا.

إننا في كردستان العراق نعيش حالة حصارات قاسية, ومن اشدها قسوة الحصار الثقافي, فلولا بعض الروافد التي انتم من اصفاها" لأصبنا بالضمور والكبوة, الا انني لا اخفيكم ان الماء في تلك الروافد الثقافية لا ينساب انسيابية طبيعية بل هو الآخر قد جرى عليه التغليب ويباع كالمياه المعدنية باسعار خيالية, وقليل منا – وهو من الحظوة– ان يحصل على استعارة قصيرة الامد وهي لا تسمن ولا تغني من جوع. رغم علمي بمحدودية قدراتكم المالية" الا انني اعتقد انكم – الفرقة الجهادية في المشروع – تستطيعون ان تنظروا الى ما اسميه اقتراحات متواضعة وهي:

اولا: تدحرجت الدول الاشتراكية السابقة الى الهاوية المزرية التي تعيشها الآن فتلك الردة الشاملة لثلث البشرية تحتاج مزيدا من البحث والغوص في اسبابها ونتائجها والرؤيا المستقبلية الأوضح للمناضلين من اجل تحقيق الاشتراكية... اي نوع من الاشتراكية؟ هل الاشتراكية العلمية التي كانت تتحكم فيها ثوابت مقدسة وتفضي بنا في النهاية احيانا الى نوع فاتر من (الميتافيزيقيا الثورية!)

ان صح التعبير- ام الاشتراكية التي يصبح كل نسيجها (الفلسفي والسياسي والاقتصادي) مشرعا للمساءلة والنقد؟ صحيح ان ما قدمتموه كثير الا ان اكثره يكتنفه الغموض و الضبابية, ومن السذاجة السياسية حقا ان نعيد جميع اسباب تلك الردة الى الاستعمار ومشاريعه, فننتظر مزيدا من الغوص والوضوح.

ثانيا: نطالع في كثير من اعداد المجلة عروضا وتقييمات لمجموعات شعرية وقصصية اصدرها كتاب مغتربون, مع كثير من الاحترام والتقدير لهؤلاء الكتاب والمقيمين, فان ما يكتبونه ما هو الا تعبير عما عانوه ويعانونه من الحياة اليومية في الغربة او في جحيم الوطن. الا ان ذلك النهج الأحتفائي للمجلة (نشر نتاجات المغتربين) يجب ان يوازيه نهج آخر... نهج جديد لمصلحة المغتربين ايضا وضمن (الأدب والفن) برفدنا بالروايات والكتب الحديثة النادرة عرضا وتحليلا, نحن لا نعتقد ان جميع الروايات والكتب الحديثة تخلو من زاد لمسيرتنا" ويغنينا النهج الجديد – الى حد ما – عن الحرمان من بعض الينابيع النائية, لقد اصبح من الثوابت ان الفنون الأدبية وبخاصة الرواية تؤرخ الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع, وتقوم الرواية بجمع ما اختزله المؤرخون والأكاديميون نسيانا او تناسيا.

إننا نطمح من عرض الروايات والكتب الى ان يكون بأسلوب شيق ويعكس تلابيب وكوامن نفوس أبطالها وكاتبيها وان لا يُحمَّل كاتبها وأبطالها وهما وتأويلا – بأيدلوجيات عقيمة فيفضي بنا الى قرف وفتور.

أخاف ان تتهموني بالتأثر بالأفكار وفنتازيا التشويق البورجوازي , فأقول في اتهام كهذا أهون جواب وهو بيت لمتنبي:

اذا الشيخ قال أفا فما ملّ الحياة إنما الضعف ملاّ

٣- يشكو كثير من (مولعي ومدمني) المجلة ومن منطلق التذويق السوقي والحس التشكيلي, يشكون من نوعية الخط الذي تكتب به المجلة, ويقرفون من ذلك الخط, فيطالبون وبإلحاح كتابة عنوان المجلة بخط الرقعة الرئيسي أو أي خط آخر (غير الكوفي)!

قصة قصيرة

﴿ المسرحية التي لم تنته بعد... ﴾

كتبها وترجمها من الكردية : حسين عثمان ئيرگسجارى
السليمانية – كوردستان العراق

في تلك الامسية كانت السماء كالوضع النفسي لـ (خسروي)، مغبر الوجه، فألقت بكلكلها على صدر مدينة (هـ)، فقرر ان يقيم هو ونصف بطل عرق حفلة في احدى زوايا النادي، كان خسروي كما رواه فيما بعد; خائر القوى النفسية والجسدية بدرجة لا يحتمل أي إحتفاء ببعض من الوجوه البشرية، والذي أضناه حتى النخاع هو موعد لقاء مع خطيبته (ثروين) فالمفروض ان يتم اللقاء قبل خمسة ايام في العاصمة، إلا ان تاخر خلفه (ثروين) ونكوص وعده مع الخطيبة جعلا من حياته جحيما لا تطاق، انه يتلظى ويحترق على جمرات الانتظار.

أسرع خسروي في لملمة نفسه وخطا صوب النادي، بدا انه يعتقد ان الخمر سيكشف له مجاهل الارض، لحظة مغادرة غرفته كما قال لم يترك سوى توصية لخادمه ; بارسال أي شخص غريب يسأل عنه الى النادي.

كنت ولاعمال خاصة بعيدا عن مدينتي منذ شهر، متاعب السفر وهزهزة السيارة قد استنزفتا جزءا كبيرا من طاقاتي، في مقهى على الشارع الرئيسي جلست، وحينما كنت احتسي الشاي، شاهدت خسروي والكآبة في سيماه والسرعة في خطواته، لاحظت زوبعة نفسية في كل حركاته، وحتى ان شعر راسه لم يتمثل للتمشيط والتجذيب، عندما عبر امام المقهى ودار حول الشارع، كانت عيناي الفضوليتان تتابعانه بنهم.

لملمت تلافيف دماغي وبدفعة واحدة إحتسيت الشاي وبدات مع نفسي حوارا صعبا:

لمدة ثلاثة أشهر وانا لم أزر النادي, فقررت في الحال, ان أزور مع حقيبتي السفرية النادي الوحيد في المدينة, واصب نصف بطل من النار السائل على العروق والتلافيف المجهدة, وفي النادي ايضا اتعرف على اخبار المدينة, فقررت ان اجرجر جسدي المتعب صوب النادي.

النادي – وكما أحسست – كان خاليا تقريبا من رواده, قفرُ النادي دفعني بقوة الى البحث عن اخبار المدينة, أمعنت النظر في كل بقعة من زوايا النادي, فلم أجد من معارفي واصدقائي احدا, يبدو ان القدر قد هيأ جميع المستلزمات لعرض تلك المسرحية الرهيبة.

وأخيرا قررت ان أجد زاوية مهجورة واقيم فيها احتفالي البائس, وبغتة صادفت (خسروي) وهو قابع في زاوية نصف مظلمة, كان وكما بدا لي منهمكا بتهيئة كأس جديدة. بدءا حاولت أن لا يراني, إلا انه وما ان شاهدني وانا احمل حقيبة سفرية ومتاعب السفر ربما كانت بادية عليّ, أبحث وكما اعتقد خسروي عن شخص ما, فقام متوثبا في مكانه واستقبلني بحفاوة تنم عن لقاء ينتظره بنهم وشوق.

كدت ان اضطرب, الا اني تمالكت نفسي, سمعت عنه انه حلو الكلام, حسن المعشر وصاحب نكات, فوجدت نفسي امام موقف محرج... فقررت عدم البوح, ربما لئلا يشعر بالخجل, لم استطع الافلات من إحتفائه المسرف بي, فشدني من كتفي واجلسني قباله وقال:

- منذ ايام يا سيد (پروين) نقلت الى هذه المدينة خلفا لي وعيناي تعبتا من طول الانتظار!

لقد غرقت في واحة من الخيال, كبرق خاطف مرت امام ذاكرتي عشرات القصص والافلام البوليسية الرهيبة, وآخرها جريمة معقدة حدثت في لندن, واصبح الكشف عن خيوطها عصيا على جميع مؤسسات الشرطة, ولكن شاءت الصدفة بعد سنتين وعن طريق أهون خيط – أن تنفك الغازها (امر نقلك خلفا لي, يا سيد پروين), وهنا أيقنت ان اسم جنابي الليلة هو (پروين), وسأصبح

فيها ممتلأ... لا ضير, فحينما كنت طالبا في الاعدادية مثلت في مسرحيتين, فالليلة أبعث تلك الموهبة الخامدة وأصقلها من جديد, باسلوب اعتيادي وبابتسامة تشي بانزعاج قلت لـ (خسروي):

- بعد هنيهة سأسرد لك يا مولانا أسباب تأخري.

بدت على محياه مسحة إحمرار توحي بالندم, فاعتذر لي وبادر بسرعة الى طلب العرق والمزات.

- يبدو انك تعب جدا, حضورك كان في وقته, لقد انقشعت الغيوم السوداء عن روحي.

* كنت شغوفا ان اعرف أسراره واقراها مليا فقلت:

- اراك تشرب ببطء شديد... ها أنت ولحد الآن تداعب نصف بطل... هيا... هنيئا وعلى طريق التعانق مع اهدافنا وآمالنا...
- والآن أطلب مزيدا من المشروب, (فرفع كأسه) هيا على طريق الوصول بأهدافنا... لكن...
- ولكن ماذا؟
- منذ سنتين وانا أعيش في هذه المدينة بعيدا عن الاهل والاصدقاء, تستوجب وظيفتنا ان نكون انت وأنا في كل يوم عدة أشخاص, وندس انوفنا في أسرار ونفوس هؤلاء البشر وشؤونهم, وغالبا تصيبنا التداعيات المسرفة في شؤونهم بالتيه والدوار.

وهنا تجلت لي حقيقة خسروي ودوره الشائن في المدينة ودوري في هذه الليلة, ولكي اكون مسيطرا

* على زمام المبادرة وصفاء الذهن, فعلي تقنين الكؤوس, لا مناص فانا الآن على خشبة المسرح, فقلت:

- أرى ان وظيفتنا من احسن الوظائف, وان مصالح شعبنا العليا من صلب عملنا, يجب علينا مراقبة هؤلاء الجهلة الرعاع, والا سيصبحون

لقمة سائغة للمشاغبين, فكل مخالفة وفكرة وافدة نطمرها بالسجن والعقاب.

- نعم... نعم بالسجن والعقاب (مستهزئا).
- من احسن المعالجات في هذه الايام.
- يبدو هكذا كنت هناك... لا تثريب... فنحن ايضا كنا نفكر على هذا المنوال, تعودنا على تلك الاساليب الكلاسيكية ونستمع الى تلك الالحان البالية... ولكن...

* لقد وجدت الفرصة الذهبية, فاردیت كلمة (لكن) الى نحرها وبادرت أطلبه بإلحاح:

- ارى من المحبذ جدا ان تعجن جميع تجاربك وخبراتك المكتسبة وتجعلها لي لقمة شهية.
- يا سيد (پرويز) لقد اصبحت فكرة الوطنية في هذا العصر وخاصة لدى هؤلاء الرعاع لا تقاوم بالسجن والعقاب... بل ان العنف يجعلهم اكثر إصرارا على العمل والمقاومة, فنتيجة لعشرات الاخفاقات والتداعيات توصلت الى انماط خاصة في العمل, فإليك هاتان القصتان:

منذ مدة وبوشاية رجالنا علمت ان هناك عضوا نشطا في احدى تنظيماتهم باسم (رزگار) وانه في حفلة بمناسبة (نوروز) القى كلمة مؤثرة أشعل نار نوروز في قلوب الحاضرين, فقررت في الحال ان اذبحه واحرقه بنفس كلماته... لكن متى وكيف؟

بدا لي خسروي مرهقا, لقد رشف بنهم رشفة من كاسه, واشعل سيجارة, انتهزت هذه الفرصة لتجميع افكاري ولأكون اكثر استعدادا لاكمال هذه المسرحية الرهيبة, بشعور من الزهو عاد خسروي الى اكمال قص(رزگار):

في عصرية يوم ربيعي بديع يخرج الناس من بيوتهم للنزهة, رأيت رزگار مع أحد أصدقائه جالسين في ظل شجرة, وكانا كما نحن الآن, يشربان يبدو من حالهما انهما يرغبان في التستر والا يراهما أحد, في طريق عودتي كانت الشمس تشرف على الغروب, المطر الربيعي بدأ بالهطول, خطر ببالي الاقتراب منهما بسيارتي... ثق بانني في تلك اللحظة أجهل سبب اقترابي منهما, إلا ان هطول الامطار وعامل السكر دفعا بـ (رزگار) وصديقه الى الانزلاق نحو سيارتي الجيب, يحتمل انهما لم يعرفاني ويحتمل الا يكون كذلك, الا ان هؤلاء القوم بسطاء وسذج...ذووا قلوب صافية وخاصة عند أوقات شرب الخمر.

- والنتيجة؟
- في ضواحي المدينة نزل صديقه, أوصلت (رزگار) الى وسط المدينة, تجولنا شوارعها, في بعض الاماكن العامة ازخيت سرعة السيارة لكي يراه الناس جيدا, أخيرا نزل قرب بيته.
- حقا كانت أروع نزهة!
- لم تأت النزهة بعد, لم تبق كلمات ويمين للبراءة عن علاقته بـ (خسروي) الا وقدمها (رزگار) الى رفاقه واصدقائه, أنا وعن طريق بعض من رجالي أجّجت نار الشك والاقاويل ضده, في مدة قصيرة ونتيجة نأي الاصدقاء والاقرباء عنه, أصيب بالمرض والضمور, وفي النهاية خنقه الشك وذبحه ذبحا!

هذا هو الانسان الكوردي, وباحدث أسلحة فتاكة يجعلونه مسخا خاوي الروح, عزيزي رزگار! لقد حاول الذين يعرفونك جيدا إبعاد التهمة عنك, إلا ان ذلك الشك اللعين اصبح زلزالا جرف كثيرين الى الهاوية, فأضطر الجميع ان يصطفوا ويطلقوا النار على الظلام, بزلزال الشك انزلق آخرون الى مزابل الخيانة, ولكن كما تبين في هذه الليلة كنت نقيا ولم تصبح شوكة وسَلِم

المناضلون من لسانك, فاذا الموت منحني الفرصة فسأردّ اليك الحياة المترعة والخلود.

كان خسروي حين يسرد هذه القصة المخزية, يتألق زهوا وشعورا بالانتصار, إرتشف من كأسه حتى الثمالة وقال:

- الوقت متأخر وانت متعب, وما تراكم عندي لا يتم سرده في ليال.
- أنجح الاساليب خطيت, وعلى هداك سأهتدي بل وأزيدها توابل ومطيبات, وكم اتمنى ان تسرد لي القصة الثانية.
- لاداعي... لا داعي وسيأتي يوم ما أجمع مذكراتي في كتاب وأطبعه.
- يبدو انك مولع بالكتابة والقراءة ايضا, وفي الحقيقة انك مخلص لشعبك!
- ولكن مذكراتي تنقصها قصة أخرى, فليتني أتمم فصولها.
- خطط لي وسأنفذ حذافيرها.
- الوقت متأخر يا عزيزي (پروين).
- الوقت في بدايته, لنطلب مزيدا من الخمر, يبدو انك تشعر بنقيصة ان ساهمتُ في كتابة صفحة من مذكراتك, هل انت بخيل الى هذا الحد؟
- يمينا لم اقصد ذلك, إنها قصة كقصة (رزگار), احد اعضائهم النشطين وكما سمعت انه شجاع جدا, وخبير في عمله, اردت ان أوقعه في مصيدة, إلا انني تأخرت في ذلك.
- اطمأن فسأكملها بأحسن منك... اعطني عنوانه كاملا وسترى!
- من ثنايا التقارير والروايات الشفوية اعرفه, إسمه (أوميد), وعدني أحد أصدقائنا ان يعرفني به, الا ان ذلك كان من نصيبك.
- ولك الفضل في الكشف والتخطيط.

- يبدو انك لا تميل الى النوم يا (پروين), ولكن صحتي سيئة, قم لنرجع الى البيت وهناك جدد كأسك واطلع على مذكراتي, انه غني بچرزات (رزگار) وأمثاله فاجعلها مزة كأسك!!

في بداية جلستنا كانت مجمرة ذكرياتي خامدة بعض الشيء, يغطيها رماد المشاغل اليومية, الا ان الكلمات الاخيرة لـ (خسروي) وارواح الشهداء (رزگار) والآخرين قد صبَّت على تلك المجمرة سيلا من النفط, كدت ان أحترق وأصبح رمادا, فلولا قراري بالانتقام لما انطفأت تلك النار وانفضح أمري.

المدينة كانت نائمة في حضن الظلام وأمواج الشك والحقد تعصف بها, وحش الشك كان متربصا في كل زاوية, في طريق عودتنا الى دار خسروي كاد الشك ان يخنقني كيف لا... فيجوز ان يكون خسروي أفضل مني تمثيلا في هذه المسرحية, يجوز – من حيث لا أدري – أن أكون في نفس مصيدة (رزگار), الا ان خسروي انقذني من ذلك الكابوس المريع, فعصف بذلك الشك وقال:

- عزيزي ثرويزا هاك مفتاح المنضدة, ليس بمقدوري الجلوس معك, ليلة سعيدة هانئة.

القيت نظرة سريعة على الغرفة, كنت شغوفا باعداد كأس جديد, ومن ثنايا مذكرات (خسروي) تعانقت مع (رزگار) وضحايا المدينة الآخرين.

حين انتهيت من اعداد الكأس والمزات, علمت بدقة ان خسروي وقادته اطلقوا عدة وحوش كاسرة للعسف والنسف, ومن أشرس تلك الوحوش (الشك), لقد غلّفوا الجدران الداخلية للنفوس والارواح بالشك, فأصبح تشخيص الانقياء عصيا في حين كان قضم اللسان وشراء الذمم سهلا.

وبغية اسدال الستار على الفصل الثاني من المسرحية وتهيئة المستلزمات الضرورية للفصول الباقية – جمعت كل ما هو ضروري وحشرتها في الحقيبة السفرية, ووضعت هذه الورقة على المنضدة:

﴿اطمأنك يا سيد خسروي, سيقوم شعبنا في يوم من الايام وعلى نفقته الخاصة بطبع مذكراتك, وسينشرها في أصقاع الدنيا, هل تدري لماذا يا مولاي: لان تلك المذكرات صفحة دامية من تأريخ نضالاته – ليلة سعيدة – اوميد﴾.

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده
تصيده الضرغام فيما تصيدا

قصة قصيرة

﴿ على هدى – ديدباء وجورج أوريل ﴾
نحن والانسان

كتبها / رحمان محمود أحمد
ترجمها عن الكوردية / حسين عثمان نيرگسجارى

يحتمل ان لا توجد قبيلة او عشيرة بين الاحياء وفية مثلنا, فشيمة الوفاء ورثناها من آبائنا وأجدادنا, صحيح ان احدا لحد الآن لم يسجل علينا خيانة واحدة, نحن والذئاب من قبيلة واحدة, الا انه ومن المؤسف ان حدث العداء بيننا ومازال لحد الآن, ولمرات عديدة سالت بيننا دماء كثيرة, وبعد محاولات عديدة لاجل الحوار والتصالح بيننا وكما سمعتها, فقد رفضت الذئاب التعايش بسلام معنا, كما رفضت ان نبني معا حياة مع الانسان على الارض يسودها السلم والوئام بدلا من العداوة والبغضاء, ان الذئاب بدلا من التعايش معنا ومع الانسان اختارت الغابات والوهاد وطنا لها والاحتفاظ بما تركها لها أجدادها القدماء, ان الذئاب تتهمنا بخيانة بني جنسنا, ونقول لها:

نحن لا نستطيع باعمال التخويف والهجوم والعداء مع الانسان ان نحافظ علينا وعلى نسلنا, يجب ان نكون مفيدين لهم ومفيدون لنا, إلا ان الذئاب وبأسف كانت متغطرسة ومغرورة بدرجة تعتقد انها هي وحدها موجودة على الارض! فمنذ ذلك الوقت اصبحنا والذئاب أعداء لدودين, نسيت ان اقول ان الثعلب لعب دور الوسيط بيننا وبين الذئاب, علما ان الثعلب ايضا من قبيلتنا, وظهر بعد مدة ان وساطته كانت توفيقية انتهازية, يروى ان الثعلب قال لاجدادنا: ان بقاءكم والاحتفاظ بنسلكم من الانقراض والجوع منوط بالتعايش مع الآخرين, بالتخويف والهجوم على الآخرين لا تستقر الحياة. ومن جهة اخرى قال للذئاب: لا معنى للحياة الا مع العصيان والتمرد حتى لو كانت النتيجة

التضحية بالحياة, ومنذ ذلك الوقت سادت بيننا وبين الثعالب ايضا علاقات متوترة مشوبة بالعداء وصلت احيانا الى سفك الدماء.

باختصار توجد معاهدة ابدية بيننا والانسان على ان نتعايش بسلام ووئام, الا ان هناك تصرفات خرقاء من قبل بعض البشر يرتكبونها بحقنا, أقولها معاتبا حيث نضطر احيانا ان نلعن معاهدة التعايش مع الانسان ونحسد الذئاب حيث تعيش بعيدا عن هراوات الانسان ورفساته المتعجرفة!!

الآن حين أقص عليكم تلك الحكايات, فقد هرمت ودبت الشيخوخة والضعف في جسمي, وسقطت انيابي, لقد صرفت عمري في هذه القرية, أظن انك لا تعرف اين تقع؟ انها تقع في الوجه الآخر لحدود الصوت والانباء, بعد ان هدم قريتنا ذئاب متوحشة من ذلك الجيش الذي جاء من صحارى الرجال المقدسين.

لم يكن هناك احد يروي كوارث ونكبات اهل هذه القرية من الانسان والحيوانات, في تلك الغزوة دمرت القرية ولم ينج من اهلها الا انا ومالكي, كنا لسنين نتعايش مع هؤلاء الذين يناضلون ويحاربون الجنود الذئاب المرتدين ملابس البشر, كنت ككلب وفي لوطن هؤلاء نتعايش ونتعاون, في تلك الايام العصيبة قمت بأعمال كثيرة من مراقبة المسالك والطرق والحراسة واحيانا كنت حمالا لامتعتهم.

كنت وحتى اليوم الذي دمرت قريتنا ودفن اهلها من قبل جيش الذئاب, لم اعرف ان الانسان كالحيوانات الاخرى نوعان: نوع مثلنا يريدون التعايش بسلام وهم أوفياء, ونوع آخر كالذئاب, فلماذا الانسان يتقاتلون ويخربون أوطانهم وهم من عرق وأرومة واحدة كالذئاب ونحن في الوقت الذي يعتقد الانسان انهم افطن واذكى مخلوق على الارض؟ هل هم عاجزون عن حل مشاكلهم بالحوار؟ ويحتمل كون وسيطهم ثعلبا ماكرا.

انا من مواليد تلك القرية, اتذكر اني كنت جروا مع ثلاثة اخوان واختين, امنا كانت معنا عطوفا رؤوفا, الا ان ابانا كان مجهولا لا نعرفه, نحن الكلاب نتآلف مع امنا فقط فهي التي تهتم بنا وتأمن حياتنا.

اتذكر انه قبل ان يموت اخواني واخواتي, امطرنا يوما صبي عنيف ومتهور بالحجارة بقصد إيذاءنا, كانت امنا في تلك اللحظة غائبة عنا, فلما عادت شاهدت الصورة, هاجمت الصبي وعضت فخذه, آه يا امي العزيزة.. فلما عاد الصبي الى البيت باكيا, خرج رجل اعور شبيه بذئب اعور, فبادر الى شد امي بالحبال وقتلها بعصا غليظة.. رأيت امي والدماء تتدفق من انفها وفمها, وكنا نحن الجراء (جمع الجرو) نزعق ذعرا والما, هل هناك كارثة أشد ايلاما وحزنا من رؤية قتل الام.. اف يا امي العزيزة! والى آخر لحظات إحتضارها كانت ترنو الينا وتذرف عيناها دموعا.

بعد موتها بأيام, مات اخوتي واخواتي جوعا, ذلك الموت الذي تسمونه (فطسا وفقعا), ما هو الفرق في الحقيقة بين الموت والفطس, نحن مع كل هذا الوفاء حين نموت تقولون فطسوا, وانتم مع كل خياناتكم تجاه شعبكم ووطنكم يقال لكم ماتوا او توفوا. بعد تلك الفاجعة الاليمة إهتم بي واشفق علي احد الخيرين من اهل القرية, وكان يناديني بالصغير و بـ (بازة – صقر). رويدا رويدا تصاعدت سنوات عمري, كنت اصاحب مالكي في السهول والجبال مع قطيع ماشيته, اساعده وانفذ اوامره, رغم إنعدام لغة مشتركة بيننا, الا انه بالصفير والاشارة يناديني: (بازة.. بازة!) وانا بالنباح والعواء اتفاهم واياه.

كان مالكي يعطني طعاما جيدا, وبنى لي كوخا صغيرا كمأوى في الليل واحتمي به في الصيف والشتاء. كنت من جانبي حارسا لبيته ليلا واجعل من نباحي تنبيها له بوجود خطر يداهمنا. آه لايام الشباب, كم هي قصيرة وسريعة الافول! احيانا نذهب الى الصيد مع كلب سلوقي, نعم السلوقي منا, الا انهم منعزلون, وهم أكثر منا احتراما ودلالا ورفاهية لدى الانسان, وهم اسرع منا في العدو والهجوم, وامهر منا في الصيد والانقضاض على الفريسة, ان

السلوقي كالكلاب ومنذ القدم اختاروا التعايش مع الانسان بدلا من العيش في الجبال والغابات.

في أيام الصيد عندما يحفزون يصطادون الارانب والحجل وحيوانات اخرى, ومرات كثيرة يتقاعسون ويتباطئون في الصيد, كنت اجاهد لكي اكتشف ذلك السر: لماذا مرات يباطئون في الركض فتهرب الفريسة, وعندما سألت عن سلوقي معمر في قريتي, أجابني: (إن الفريسة تعدو وتركض لنفسها, أما نحن فنصطاد لغيرنا).

الدنيا في تغير مستمر وغالبا يأتي التغيير ويداهمك بغتة وليس في حسبان أحد, قبل تدمير المنطقة وقريتنا من قبل ذلك الجيش الذي رجاله يشبهون الذئاب, نعيش عيشة بهيجة رخيمة, كان مالكي غنيا, له قطيع من الحيوانات, كذلك له مضيف كبير يستقبل يوميا ضيوفا كانوا أوفياء لوطنهم وحملوا السلاح دفاعا عنه, وكان لي يوميا وجبة طعام دسم او وجبتان من بقايا طعام وعظام المضيف.

آه لعهد الشباب! كنت أجمع كل يوم أحسن العظام لكلبة سماها أهل القرية (شهباء), اضعها أمامها والحس بلساني وجهها ورأسها وهي متمددة, وبغنج ودلال كلبي تغمض عينيها, كنا في الصيف نتمدد في دربونة ولا ادع ذبابة على وجهها, الا وابعدها عنها بذنبي, وأجعل من ذنبي مروحة لها, واتمنى ان تكون لي عشر ذيول لتكون مهفة بها ابعد عنها قيض الصيف والذباب الكلبي, آه لك يا عزيزتي شهباء!! نسيت ان اقول لكم انه نصادف احيانا نحن الكلاب ان يظهر بيننا كلب كسول لا يستطيع القيام بعمل وله نفس وضيعة, نحن نسميهم متشرد وكسلان وانتم تسمونه كلب سائب وموتور.

يقوم ذلك النوع من الكلاب بالانقضاض على فراخ الدواجن ويلتهمونها, او يولجون رؤوسهم في كوارة ومخازن الطحين والحبوب في البيوت, ويمتهنون السطو واللصوصية في البيوت, وبإختصار انهم لطخة عار في تأريخنا, هذا

النوع من الكلاب لم يركنوا الى التمرد كالذئاب ولا يعيشون بالنبل مثلنا, ولاجل العيش يقترفون كل ذلة وحقارة.

في الحقيقة يوجد بين البشر ايضا ناس يشبهون الكلاب السائبة, انهم يتمردون على أخلاقيات والقيم الانسانية, ومستعدون للقيام بأبخس الاعمال واحقرها لأجل العيش فقط.

عندما قام جيش الذئاب الكاسرة بهدم قريتنا وسيق اهلها الى صحارى الرجال المقدسين ودفنوا أحياء كما تبين بعد نباح وعواء التحرير, ظهر هؤلاء الرجال المسخون السائبون كأدلاء أذلاء لذلك الجيش وهم يخونون مولد آبائهم وأجدادهم, إنهم نسخة طبق الاصل لكلابنا الموتورة. كانت شهبائي عندما قامت الآلة الضخمة (بلدوزر) بهدم قريتنا هاجمت بأنيابها الحادة تلك الآلة, لكن وبأسف شديد قام أحد من هؤلاء البشر السائبين وبسلاحه البريء من الشرف بقتلها, وسالت دماؤها على الخربة التي كنا نأمل ان نبني عليها كوخا صغيرا تعيش فيها جراؤنا في المستقبل مرفوعة الرؤوس وا حسرتاه عليك يا شهبائي العزيزة!! وبعد هدم قريتنا إخترنا حياة الجبال والكهوف والسهوب, تصدينا لذلك الجيش الذي رجاله ذئاب وأدلاؤه أذلاء ساقطون.

عشنا هكذا لسنوات الى ان غنينا ونبحنا للحرية والتحرير, الآن انا ومالكي نعيش ايام الشيخوخة واهنين بني مالكي على خربة مضيفه الكبير العامر بالضيوف يوما ما, غرفة صغيرة ليلوذ اليها وينغض بعضا من اتعاب ولواعج أيام انتظاره الطويلة, كما وبنى لي وبجانب غرفته وعلى خربة كوخي القديم كوخا صغيرا بقدر وحدتي.

زرنا انا ومالكي وبعد اعلان الحرية, قصر الحرية المتلألأ المزدان, على اكتافنا وفي روحنا حمل ثقيل من الألم والامراض والجوع, يسكن قصر الحرية رجال كانوا ايام الوفاء ضيوفا دائمين في مضيف مالكي, قال حارس القصر لمالكي: (هنا ليس مكانا للتسول, اذهب الى مكان آخر).

تعرفت على حارس القصر جيدا.. انه هو لحما ودما.. انه الاعور.. انه الذي كان دليلا ذليلا لجيوش الذئاب, فقال الحارس لمالكي: (لماذا تصاحب هذا الكلب العجوز السائب اقتله). عدنا الى قريتنا المخربة يائسين واهنين والى غرفتنا وكوخنا المليئة بالغصة والوحدة, في كل يوم يجلس مالكي تحت الشجرة اليابسة الوحيدة على تل القرية وهو يرنو بعينين ضامرتين دامعتين الى الغرب ويخاطب نفسه: (متى يعودون؟!).

قصة قصيرة

فـي ناقلة ايفـا

ما اروع لحظات لقاء الاحبة وافراد العائلة بعد معاناة ولواعج الفراق ، كما وانا مولع بتلك اللحظات العطرة رغم ندرتها عندما يعود الاحبة من الخارج بعد سنوات من الغربة والضياع .

هنا استميح القاريء الكريم اذ شاغلته بفنتازيا خيال رومانسي ان صح التعبير ، من الان ابث لكم هموم عائلتي الصغيرة وما اصابها من الارزاء والكبوات ، المنتجان الوحيدان في العائلة هما انا وابنتي المعلمة ، والباقون هم المستهلكون .

فتلك زوجتي شيرين رغم انها مريضة ، تعجن الامها مع متاعبنا فتصنع منها غذاء واكلات شهية ، والاولاد مبعثرون نهارا في ازقة حينا واروقة المدارس ، وعندما تجمعنا مائدة الطعام " تصبح اخبار المحلة والمدارس من اشهى المقبلات لنا .

في ذلك المساء المشؤوم وقبل ان نلم حول مائدتنا دلف الينا بغتة احد الجيران ، يتقاطر من سيمائه الحزن والغضب فأنبأنا متلعثما :- فرع الحزب في المدينة اصدر قائمة جديدة لترحيل مجموعة من العوائل التي لم تصحح قوميتها الى العربية " كأن الله اخطا في خلق الناس شعوبا وقبائل ومختلفين في الالسن " .

من يرحل حسب هذه القائمة والى اين ؟ ، كلفت دائرة امن المدينة والشرطة بالعمل ، يقال ان رحلتنا هذه المرة الى الحلة او الرمادي ، وكالمعتاد في المرات السابقة تسلب دورنا وتسجل على ازلام السلطة المستوردين من المناطق العربية .

في ذلك المساء اللعين ساد الهول والفزع كل عائلة في المدينة وحتى شقيقي (رزكار) المخبول ، كنت احاور نفسي:- " من يدري ان عائلتنا ضمن هذه القائمة ؟ اذا لم نكن فسنكون حتما في قائمة اخرى ، فحسب مخططهم العنصري يجتثون عن هذه المدينة الانسان الكردي حتى عملاءهم الكرد الموتورين " .

يا لهول الكارثة عندما يجوش رئيس العائلة ببكاء صارخ " بدلا من ان يكون مواسيا وظهيرا معنويا لهم ، تذكرت في هذه اللحظة رواية (الرجال تبكي بصمت) لاحد رواد القصة في العراق وهو (عبد المجيد لطفي) من اهل هذه المدينة ، واعتقد انه تنبا لحالنا هذه رغم ان الرواية تخص نضال الشعب الفلسطيني ، ان الادباء والمبدعين يتنبأون ويتواردون الخواطر احيانا ، انهم انبياء بدون وحي سماوي وذووا قيم ارضية !.

بعدما افقت من الصدمة الاليمة ، حاولت ان اخفف من روع اسرتي وفزعهم ، فاعدت اليهم نتفا من معنوياتهم المنهارة ، اني هنا لا استطيع ان انقل اليكم تفاصيل صور البكائيات لنساء و رجال حارتنا الطيبين ونواحهم على مصابنا الجلل ، لا انقل اليكم قسوة ووحشية رجال الامن حين داهموا بيوتنا وكيف حشرونا وعدة عوائل اخرى في ناقلات ايفا العسكرية !! .

كان شقيقي المخبول (رزكار) عندما قتل اخي الجندي في الحرب الايرانية – العراقية وعندما توفي ابي " لم يبك فقط بل كان يضحك مقهقها ويغني اغنيته المحببة (به وبه و)اما اليوم ونحن في ناقلة (ايفا)قد هزه الترحيل القسري فانفجر في اعماقه بركان من الغضب ثم بدا بالتعبير عن وضعه المزري المبكي بكلمات وجمل لا يقولها الا العقلاء وكأنه لم يكن في يوم من الايام مختل العقل !! ساورتني الفكرة الشائعة وهي ان رجة وصدمة ما " ربما تشفي مختلا او كئيبا ، والا فبماذا افسر كل هذه الجمل والكلمات المعقولة وهي تنسال من شفتيه وهو في ناقلة ايفا وعلى مسمع من رجال الامن القساة ؟ ! (لو في سفرنا وتشردنا

هذا " يتشافى رزكار فنحن الرابحون) ؟ ! فنحن لسنا مكبلي الايادي والارجل ، فعندما نستقر في الحلة او الرمادي " نبيع حاجياتنا ونبدا خلسة رحلة عكسية جديدة ولو على صدورنا الى كردستان ، الم يبدا الكرد (الهماوند) المرحلون قسرا الى ليبيا ايام العثمانيين رحلتهم الماساوية الى كردستان فوصلوها ؟ ! .

وهناك في كردستان سنكون بين ابناء قوميتنا واقاربنا ، وهناك يعيش شقيقي وابناء عمي ، وهناك اقارب زوجتي وهم يعيشون في السليمانية واربيل وكفري وكلار.

لقد بدات كل هذه الخيالات والهواجس بل الاكثر تنهش في اعماقي وتهيجها حد الغثيان ، كنت ولعدة لحظات اضحك واواسي عائلتي وابعد عنهم الهموم والكدر ، ومرات يختلط الضحك بالبكاء ، واحيانا يعصف بي الخوف من التجنن ويتشافى (رزكار) من جنونه (هذا حسن ، فتراجيد الشعب الكردي مستمر لمستقبل منظور ، وفي كبوة وصدمة اخرى اتشافي ، ويحتمل ان يختل شقيقي (رزكار) للمرة الثانية وانا ايضا !).

بينما انا اعيش في دوامة من الخوف والحزن وفجاة انتابني موجة من الضحك الصارخ مقهقها ، فوجدت زوجتي تهزني بعنف من الكتف ويشوبها التوتر والانفعال فقالت :-

- يا رجل ! من العار والشنار ان تضحك ونحن امام دائرة الامن ومحشورين في ناقلة ايفا وامام مصير مظلم بل هو في كفة العفريت ! .
- عزيزتي (شيرين) ما يضحكني هو عودتنا من الحلة او الرمادي الى ملاذنا كردستان .. الى اقاربنا ، وهناك هم يعيشون احرارا بدون خوف ، ولكن كردستان تعاني ايضا من فتن وحروب هي من خلق ونسج اعداء الكرد ، فلماذا لا اضحك ملء شدقي ولا ابكي بمرارة ، لماذا لا يختل عقلي بل لماذا " لا املأ البحر بصاقا وارميه على جبين ابوتي " كما قال كوران ؟ ! ايها القاريء الكريم ! ثق انا لست شيخا ذا كشوفات وكرامات ، ولا عرافا يقرأ الحظ والمستقبل ،

الا ان كلما تصورتها وتنبات بها – عدا تجنني– " فليتاجل الى حين ا "
تحققت في الواقع ورايتها ، واكثرها بهجة ومسرة هي شفاء اخي (رزكار)
وتعافيه من جنونه ويعمل حاليا بمصنع اهلي في احدى مدن كردستان !! .